



# الشركاء المتساكنون في ثورة ١٩١٩





الشُّرَكَاءُ الْمُتَشَاكِسُونَ

في ثور ١٩١٩



الدكتور محمد راجوادی

الشُّكَاةُ الْمَتَّسِكَةُ

فِي تَوَلَّى ١٩١٩



ω

الطبعة الأولى

1441 هـ - 2020 م

رادمك - ISBN

978-625-7810-62-3



للطباعة والنشر  
والتوزيع

## هذا الكتاب

ليس هذا الكتاب كتابا واحدا فحسب ، و لا ثلاثة كتب متآزرة ومتوازية يجمعها مجلد واحد ، وإنما هو في حقيقته كائن حي يستهدف مقاربة التاريخ العربي المعاصر عبر فضاءات مختلفة ، وهو على الرغم من كل الضغط الذي مارسناه على حجمه أكبر من أن يكون جمعا لكتب منفصلة (أو متصلة) عن ثلاث شخصيات متباينة الأداء و التكوين والتاريخ والأثر والمكانة ، ومع هذا فإن في وسع القراء أن يجدوا بين دفتي هذا العمل ثلاثة كتب يقدم كل منها كل ما يريدونه من دراسة جادة : مستدثة ومتعمقة للشخصية التي يتناولها كتابها ، وذلك من دون أن نتعسف ونخضع أيا منهم لقاعدة لا تسري عليه.

أما هذا الكتاب من حيث هو كائن متماسك متصل الأوصال والفصول فحريص على أن يؤدي دورا ليس بالسهل ولا باليسير ولا بالهين و لا باللين ، و هو أن يؤصل لثورة ١٩١٩ في ضميرنا وفي وجداننا كما أنه حريص على الفكرة الناطقة بأن زعامة سعد زغول لثورة ١٩١٩ تأكدت من خلال تأييد شعبي واسع النطاق والمدى والصوت والحركة ، ومن خلال فوزه المستحق على أقدر الكواكب المناوئة الذين رأوا طريقا مختلفا لتحقيق غاية مصر من الثورة ، و قد رأينا أن نستخدم في وصف هؤلاء التعبير القرآني الجميل الذي اخترناه عنوانا لهذا الكتاب .. ومع إيماننا بهذه الفكرة ودفاعنا عنها و تأصيلنا لها فإننا نؤمن بحقيقة موازية لها و مقترنة بمسارها وهي أنه لولا وجود هذه الزعامات المناوئة ما برزت قيمة شخصية سعد زغول ولا صواب رؤيته، ولا أشرق جاذبية إستراتيجيته ، ولا تثبت قدرته على تحقيق نجاحاته في طريق الفوز لمصر بالاستقلال.

وعلى غير ما يصوره المؤرخون ، لأسباب معروفة لم يعد من السهل إخفاؤها حتى و إن لم نصرح بها ، فقد كان أول هؤلاء الشركاء المتشاكسين أو هذه الزعامات المناوئة هو أكثرهم شبابا وأولهم رحبلا وأقصرهم عمرا وهو الشيخ عبد العزيز جاويش ١٨٧٦ - ١٩٢٩ الذي آلت إليه مع الزعيم محمد فريد زعامة الحزب الوطني بعد وفاة مصطفى كامل باشا الذي أيقظ روح مصر بحياته و وفاته ، وقد كان الشيخ عبد العزيز جاويش صورة مبكرة من سعد زغول لا ينقصها إلا ما تهيأ لسعد باشا بحكم الزمن من مراس السياسة ، وقدرة المناورة ، وحصيلة التجربة ، ولغة الحوار وفيما عدا ذلك فقد كان الرجلان في نسيجهما وملسهما وثمارهما وتلاميذهما وطنيين إلى النخاع ، و أصوليين إلى اللب ، ومصلحين جذريين إلى ما لا يمكن وصفه إلا بالثورية .

وقد كان الحزب الوطني نفسه يضم عددا من الكواكب أو بالأحرى التوجهات التي تمثلها زعامات تقليدية مرتبطة بالحزب الوطني وبعيدة عن توجهات الشيخ عبد العزيز جاويش ، ومن هذه الزعامات على سبيل اسماعيل أباطة باشا الذي كان هو نفسه رئيساً لوفد مصري تكون قبل عشر سنوات من الوفد (الكبير) وذهب وفد اسماعيل أباطة في ١٩٠٨ إلى لندن نفسها وليس إلى باريس ليفاوض الإنجليز في أمور مصر والمصريين.

كان الأول مكرر من هذه الزعامات المناوئة أو من هؤلاء الشركاء المتشاكسين هو عدلي باشا يكن ١٨٦٤-١٩٣٣ وهو أوسطهم عمرا و وفاة ، وقد كان في زمن الثورة أكبرهم سنا وهو الذي شاء حظه أن يكون على الدوام البديل الأنعم ملمسا من سعد باشا المعروف بخشونته، والأهدأ نفسا من سعد باشا المشهور بعنفوانه ، والألطف تحميسا من سعد باشا الموهوب بخطابته لكن عدلي باشا يكن مع كل هذه الميزات من القبول و الرضا والتقدير و الارتياح والاحترام كان يفتقد إلى ما يتمتع به الفلاح المصري من الصبر على المكاره ، وتحمل المر ، وانتظار الفرج ، وإظهار التجلد.

كان ثالث هذه الزعامات هو عبد العزيز فهمي باشا ١٨٧٠-١٩٥١ ، و الحق أنه لا يحتل الترتيب الثالث إلا بصعوبة شديدة ومجاملة مفرطة أو بوضع اليد ، لكنه موجود بقوة كما أن وجوده لا يمكن إنكاره و ذلك لأن نمطه كان معهودا في نخبة ذلك الزمان ، وقد كان هذا الرجل بمثابة التلميذ الأول لسعد زغلول (وإن لم يكن الأنجب ولا الأوفى ) ، وقد كان شأنه شأن كل التلامذة الأوائل يحتاج أستاذه القريب منه في السن بما علمه من صواب من دون أن يدري أن الصواب أعمق من أن يدركه العقل وحده ، وأن الحق أبعد من أن يصل إليه الطريق القريب، وأنه إذا كان قد تعلم كل ما علمه له أستاذه فإن أستاذه لا يزال يعلم أكثر مما يعلمه هو ، و فضلا عن هذا فقد كان عبد العزيز فهمي باشا أقل في كل صفاته العقلية والشخصية من سعد زغلول فقد كان أقل منه فهما و علما وخطابة وتجربة وحصافة وكياسة ومجاملة وصبراً وتحملاً وتسامحا وانتباها ودهاء و ذكاء .

ومع هذا فقد سولت لعبد العزيز فهمي نفسه أنه يمكن أن ينال التفوق لا الندية فحسب، و من ثم فإنه ساق نفسه إلى نوع من أنواع التلاحي غير المبرر مع فكر سعد ومبررات سعد ونظريات سعد وسلوك سعد وطموح سعد ، و ظل يسير في هذا الطريق حتى انتهى بنفسه إلى أن يكون جنديا من جنود الثورة المضادة ، بل أن يكون وزيراً عاديا في وزارة زيور باشا الذي هو أول مظلات الثورة المضادة.



وبالإضافة لهذه التوجهات التي مثلتها وعبرتها عنها هذه الكواكب الثلاثة فقد عرفت كواليس الحركة الوطنية توجهها خافتا ذا منطوق يبدو جذابا ، وكان أصحابه من الذين يحسون بعقدة قريبة من عقدة النقص ، وإن لم تكن هي عقدة النقص نفسها التي يستلزم تشخيصنا لوجودها أن نشخصها مكتملة الملامح ، لكن هؤلاء على أقل تقدير كانوا لا يتصورون الزعيم فلاحا ولا الرئيس فلاحا ، و لا يتصورون من يعترف بأنه فلاح يصلح لأن يكون زعيما ، ولهذا فإنهم أخذوا يبحثون عن أفضل أمير من أمراء الأسرة المالكة ليلقوا إليه بزعامة الوفد على نحو قريب مما تصوره الأسطورة التي تحكي قصة العبد الذي تحرر فجأة ، ورزق مع تحرره مالا وفيرا ، فكان أول قراراته أو خياراته ( بلفظ أدق) أن يشتري لنفسه بالمال سيدياً جديداً يعامله بصورة أفضل من سيده القديم ، ويمكن لنا للتعبير عن اختيارات هذا التوجه أن نبحث في أولئك الذين بدأوا يرون أن تتمثل زعامة الوفد في شخصية كشخصية الأمير عمر طوسون الذي لم يكن هو نفسه ليرحب بهذا التوجه الذي يسعده بالقطع ، ولكنه لم يكن يرى نفسه أهلا له مهما حدثته نفسه بجاذبيته.

يأتي هذا الكتاب لينضم إلى مجموعة كتبنا السابقة عن أعلام هذه الحقبة ، وهي الكتب التي لقيت من التقدير و الإقبال فوق ما تستحق ، وفي مقدمتها كتابنا المرجعي عن زعيم الأمة مصطفى النحاس باشا ، وكتبنا عن اسماعيل صدقي باشا ، و علي ماهر باشا ، و محمد محمود باشا ، و عثمان محرم وربما يكون كتابنا عن ابراهيم عبد الهادي و عبد الحميد بدوي باشا مفتي الحقبة الليبرالية رأيا النور بعد طول احتباس في المطابع منذ عشر سنوات.. ولست أدري هل يتحقق أملي في أن يصدر هذا الكتاب إن شاء الله مع توأمه "القضاء والسياسة في عصر الرئاسة" و " المقامر و المغامر و المكابر " ، " قبل مشرق النهضة "

و بهذا تتراكم هذه المجموعة المخصصة لرسم البورتريهات السياسية مع مجموعة سابقة استقر وجودها في مكتبتنا و دراساتها منذ نهاية القرن الماضي ، تضم أربعة كتب هي : " على مشارف الثورة " و "في كواليس الملكية " و "في رحاب العدالة " و " العمل السري في ثورة ١٩١٩ " و "في ضوء القمر : العمل السري والاغتيالات السياسية " .

وبهذه الكتب تكون موسوعتنا عن الحقبة المصرية الليبرالية فيما قبل ١٩٥٢ قد أوشكت على الاكتمال ، وهي الموسوعة التي استغرقت كتابتها من حياتنا قرابة خمسة وأربعين عاماً تنوعت فيها مصادرنا بأكثر مما هو مسجل و معروف ومتصور عن تنوع مصادر كتابة التاريخ، ولولا فضل الله علينا في كل يوم من أيام

هذه السنوات الخمس والأربعين ما استطعنا أن ننجز هذا الإنجاز الذي ندعو الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به .

وليس لنا أن نقول بعد كل ما في هذا الكتاب من الاجتهاد في التحقيق والموازنة والتلخيص والعرض والتقييم والمقارنة إلا أن هذا بعض ما وفقنا الله إليه من بعض ما يسره لنا من بعض ما فتح الله علينا به .

وكلي دعاء إلي الله أن يوفقني إلي تقديم ما تبقى من أعمالي ، وقد طال العهد بتجاربها الطبيعية في ظل غربتي ومرضي و تشردي و استيحاشي ، والوقت لا يسعني، والجهد يتضاءل، والذكاء يخبو ، و الألمعية تنطفئ ، والقلب يئن ، والنظر يكل ، والعقل يتشتت ، والذاكرة تتبدد ، و السهل يتعقد ، والنفس ينقطع ، والأمل يتضعف، والعمر قصير، والواجب كبير ، والمؤجل كثير ، لكن رجائي يتضاعف في فضل الله جل جلاله وكرمه .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التجمل، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقوى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدني برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يذهب عني ما أشكو من ألم ووصب وقلق، وأن يحسن ختامي، وأن يجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاه . والله سبحانه وتعالى أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني . والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغني، والبر والتقوى، والفضل والهدى، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل ، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وإخلاص المؤمنين ، وشك الأطباء، وخيال المبدعين ، وتساولات الباحثين .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي ، بالطبع وبالتأكيد، كثيرة ومتواترة ومتنامية، فله سبحانه وتعالى - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل .

د. محمد الجواد

## الباب الأول

### عبد العزيز جاويش الزعيم الوحيد الذي اكتتب الشعب لتتويجه وساما من الذهب

#### الاشتباك بقضايا الوطنية

الشيخ عبد العزيز جاويش هو أبرز زعماء مصر في عهد الليبرالية اشتباكا بقضايا الوطنية والهوية معا لا يتفوق عليه أحد في ذلك الاشتباك الواسع الممتد ، ولا يناظره فيه إلا الزعيمان مصطفى كامل وسعد زغلول اللذان قادا هذه الحركة في معتركها ، أما النحاس باشا ومعاصروه فقد تولوا الزعامة والقيادة بعد أن كانت الهوية المصرية قد تحددت على المستوى الرسمي بالاستقلال والدستور والبرلمان والحياة الحزبية . ومن حسن حظ مصر أن الشيخ جاويش كان هو الروح التي منحت الحياة للحركة الوطنية ، وأنه كان هو القلب الذي أنبض ونبض أداء زعامتي مصطفى كامل وسعد زغلول على الرغم مما هو معروف للكافة من اختلاف توجهاته ومساره وخطابه عن سعد زغلول لكن الدراسة التاريخية المتأنية والمتعمقة كفيلا بأن تثبت لنا أن تنبؤ جاويش واستنارته الإيجابية لزعامة سعد زغلول كان حقيقة مطلقة حتى مع اختلاف التوجهات السياسية المعلنة .

فضلا عن هذا فإننا قبل أن نمضي مع ملحمة حياة الشيخ عبد العزيز جاويش نحب ألا ننسى القول بأن الشيخ عبد العزيز جاويش كان هو ذلك الرجل الذي وقع عليه اختيار الزعيم التركي أتاتورك ليكون القائم بمهمة وزير الثقافة والإرشاد في الدولة التركية الجديدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وقد قام هذا الرجل بهذه المهمة بالفعل ، لكنه لما وجد الزعيم التركي أتاتورك يحدد عما يراه صوابا و يشرع في إلغاء الخلافة العثمانية قرر أن يفارقه ، ولم يكن أمامه من مخرج إلا الهرب ، والعودة إلى مصر سرا ، وهذا موضوع لحديث طويل آخر إن شاء الله .

#### رموز النهضة القومية

إذا ما قدر لمصر المعاصرة أن يرتفع سهمها في المحيط الدولي إلي ما تنشده أدبيات المصريين المتطرفين (في شوفونيتهم المصرية) أو المصريين المخلصين (التمسكين بانتماء مصر كلية للإسلام وانتماء الإسلام لمصر) ، فسوف يكون اسم عبد العزيز جاويش من حيث الرمزية هو أبرز رموز النهضة القومية بلا جدال، نعم سوف يكون اسمه سابقا حتى على أسماء الزعيمين سعد زغلول، ومصطفى كامل، والمعلمين جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، ذلك أن جهود هؤلاء جميعا قد تجمعت وتبلورت على أفضل ما تكون في شخصية جاويش، وآرائه، ونشاطه، وأثاره.

ومع هذا فإن التفكير التاريخي المعاصر في مدي التأثير الذي تركه كل زعيم لا يجعلنا نقدم اسم عبد العزيز جاويش على هؤلاء، وإن احتفظنا به معهم، أو قريباً منهم، مع الاعتراف بأن جهود الشيخ جاويش وإمكاناته كانت كفيلة بأكثر مما حققه غيره لولا أن التيار الوطني كان لا يزال (بل لا يزال حتي الآن) أضعف من أن يفي لمصر بآمال عبد العزيز جاويش لها، وهي آمال تستند إلي واقع بأكثر مما تعول على خيال، لكن همة معاصريه وظروفهم لم تتح لها أن تمضي إلي نهايتها على نحو ما كان جاويش يؤمل ، و مما يؤسف له أن الأمر لا يزال كذلك .

### قيمه العملية

الأستاذ عبد العزيز جاويش هو النموذج الأول في العصر الحديث للزعيم السياسي ذي النزعة الخلقية الذي مارس السياسة في أعلى مستوياتها باقتدار، ومارس التربية والتعليم بسعة أفق وذكاء، وقدم لوطنه تلاميذ أفاضاً في كل ميدان، و احتفظ بأخلاقه العالية، وروحه السامية طيلة حياته. وهو أيضاً النموذج الأول في العصر الحديث للزعيم السياسي لم يعرف عنه أنه تنازل عن مبدأ أو هدف، وقد جمع العلم والفهم والحماس والعمل الدؤوب. و تعددت مواهبه كما تعددت إنجازاته وأثاره، وقد سبق عصره وسبق أنداده ولم يحظ اسمه حتي الآن بما يستحق من تخليد وتكريم على الرغم من أن جميع الفرقاء قد كرموه عن اقتناع .

من وجهة النظر المادية البحتة أو المادية الجدلية فإنه إذا كان مضي السنوات كفيلاً ببلورة الحقائق تبعاً للأثر مع إغفال التحزب فإنه يمكن لنا من الناحية البروتوكولية وبعد انقشاع غبار المعارك أن ندرك على سبيل الاجمال أن هناك مكانة عالية لزعماء الوطنية في مصر تالية مباشرة لمكانة زعمي الأمة سعد زغلول باشا ومصطفى النحاس باشا اللذين مارسا مهمة الرجل الأول في الدولة وأن الشيخ عبد العزيز جاويش بك مع الزعيمين مصطفى كامل باشا و محمد فريد بك يحتلون هذه المكانة متفوقين بذلك على كل رؤساء الوزارات والأحزاب ومتفوقين على الملوك والحكام وعرابي باشا والبارودي باشا .

ومن الإنصاف أن نذكر أن ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في بدايتها كانت واعية تماماً لهذه الحقيقة فيما يخص الشيخ جاويش لكنها لأسباب قاهرة بعد عقد من الزمان قبلت على مضض بأن تتظاهر بأنها قبلت أن تؤخر مكانة الشيخ عبد العزيز جاويش بك وكان هذا التنازل غير المبرر مظهراً من المظاهر المبكرة و المكتومة للمضي نحو هزيمة ١٩٦٧ .

### الخطاب السياسي الذي أبدعه الشيخ جاويش

نعلم أن الشيخ عبد العزيز جاويش قد توفي مبكراً، وقد تعود المؤرخون في مثل هذه الحالة أن يقولوا إنه لو قُدر لحياة مثل هذا الرجل أن تمتد لكان قادراً على أن يُعمق ما أنجز، وأن يخلد ما كتب ، وأن يضيف إلى ما شرع فيه من علم وسياسة أكثر، لكني لا أظنه كان قادراً على أن يتحول عن مبادئه الجميلة التي عمل لها وتفانى من أجلها.

## مكانة الشيخ جاويش في تاريخ الفكر السياسي

ونأتي إذاً إلى قيمة الشيخ عبد العزيز جاويش في تاريخ مصر، فنجد أنفسنا أمام سياسي مؤثر استطاع في لحظة مناسبة أن يبدع خطاباً سياسياً عبقرياً استبقي فيه لوطنه هويته بعيداً عن قصر النظر الذي يميز الرؤى البرجماتية، وعلى حين كانت هناك نزاعات إقليمية تحد من مستقبل مصر وحاضرها فقد كان الشيخ عبد العزيز جاويش قادراً على أن يستشرف المستقبل الذي تتمناه كل دولة لمستقبلها حين تقود محيطها الذي هي فيه.

كان عبد العزيز جاويش بفطرته الذكية وحسه الديني والوطني الصادق يعرف بدقة معنى الفكرة القائلة بتكامل الكيانات السياسية المستقلة، وببساطة موحية فإنه كان يعرف ما نعرفه الآن عن الفرق بين إنجلترا ككيان وبريطانيا ككيان أكبر من إنجلترا، كما كان يعرف الفرق بين بريطانيا ككيان والمملكة المتحدة ككيان أكبر من بريطانيا، وعلى حين كان أنداده يفهمون الدولة القومية فهما نافيا لفكرة الوحدة و متعارضاً معها فإنه لم يكن يقبل على نفسه ولا على فكره السياسي والوطني أن يتقبل الترويج لأية فكرة انعزالية تحت مسمى الاستقلال، وذلك من قبيل الفكرة التي قبلها العسكريون فجعلت مصر مقيدة بحدود كالتي صارت إليها في ١٩٥٦.

كان الشيخ عبد العزيز جاويش يعرف أن متطلبات حلمه الكبير تتجاوز الخطاب السياسي للزعامة القاهرية المتاحة في ذلك العصر، والتي لا يراوح تأثيرها منطقة وسط القاهرة، وهكذا فإنه من بين كل الزعامات المتاحة كان هو الرجل الذي استحضّر الجذور لا من الماضي ولكن من الحاضر الذي لا يعرفه أهل الحاضر، ونادى عبد العزيز جاويش بالوجه الإسلامي والإفريقي لمصر الإسلامية والإفريقية على نحو عصري لم يسبقه إليه أحد، وإن لحقه كثيرون / بل وإن لحق به الجميع بمن في ذلك سعد زغلول نفسه الذي كان بيني زعامته بالاستيلاء التدريجي (والمستحق أيضاً) على الأرض المحروثة المجهزة التي كسبها عبد العزيز جاويش من قبله بفكره المستشرف لعناصر القوة.

## المقارنة بين زعامة سعد زغلول وزعامة عبد العزيز جاويش

إذا أردنا أن نقارن بين زعامة سعد زغلول وزعامة الشيخ عبد العزيز جاويش فإننا نستطيع أن ندرك بكل سهولة أن زعامة سعد زغلول أوسع مظلة من زعامة الشيخ جاويش لكن هذه المظلة الواسعة تستند أساساً إلى العمود الذي أسسه وأقامه وقواه مصطفى كامل ومحمد فريد ومعهما الشيخ عبد العزيز جاويش من قبل أن يمد سعد زغلول قماش خيمته أو نسيج خيمته فوق هذا العمود أي من قبل أن ينشغل سعد زغلول بالقضية الوطنية و يهبها حياته.

كان مصطفى كامل باشا صوتاً سماوي النزعة والطابع، وكان الشيخ عبد العزيز جاويش قلب هذا الصوت، وبتحديد أكثر فإنه كان القلب الخافق والمخفق والنابض والمنبض، فلما جاءت زعامة سعد زغلول منذ نهاية ١٩١٨ وبوضوح أشد في ١٩١٩ وما بعدها لتستكمل دور زعامة مصطفى كامل ولتحقق ما لم يحققه ذلك الزعيم الذي كانت الأمة قد شيعته في ١٩٠٨ وعرفت في

يوم جنازته المشهودة قوة البُلورة الظاهرة للعيان لفكرة الكفاح الوطني ، كان الشيخ عبد العزيز جاويش لا يزال يمثل قلب الزعامة الذي انتقل من جسد إلى جسد آخر من قبل ان يعرف العالم تقنية نقل الأعضاء ، وهكذا انتقل قلب الوطنية من جسد إلى جسد آخر حتى مع تجدد الدم الذي كانت الزعامة تتطلبه أو تعتمد عليه في حياتها .

### خطابان مختلفان

وبالطبع فإن الفارق بين سعد زغول باشا و الشيخ عبد العزيز جاويش كان يتمثل ضمن ما يتمثل في مفردات الخطاب السياسي و يظهر ضمن ما يظهر في تجليات الخطاب السياسي ، فقد كان خطاب سعد زغول أكثر استيعابا من خطاب الشيخ عبد العزيز جاويش، وكان هذا هو العنصر الحاسم و الأهم و الأكثر تحقفا و توافقا مع الظروف الجديدة إذا ما قورن بالخطاب السياسي الذي يمثله ميراث الحزب الوطني الذي كان في توجهه يستند للارتباط بدولة الخلافة العثمانية بينما كان الخطاب الذي بدأ سعد زغول باشا يقدمه ، هو والوفد ، مستنداً إلى الواقع الجديد بعد الحرب العالمية الأولى و نتائجها ، و بعد أن تعرضت الدولة العثمانية نفسها للهزيمة في الحرب العالمية الأولى ، وبدأت هذه الدولة نفسها تتوافق مضطرة و مكرهة مع شروط الإذعان (وربما الإذلال ) التي تكالب المنتصرون على فرضها عليها بوحشية وقسوة و تشف في مرحلة الاحتضار ، وكان هذا الإذعان تمهيداً سيكولوجيا وفسولوجيا للاختفاء، وهكذا كان خطاب الحزب الوطني العظيم الذي هو حزب مصطفى كامل و محمد فريد و عبد العزيز جاويش قد أصبح (دون قصد منه ودون تغير أو تحول في أيديولوجيته) مختلفا تماما مع واقع جديد فرضته نتائج الحرب العالمية الأولى ، ولم تكن هذه النتائج قد أتمت بلورة نفسها مباشرة ، و إنما كانت آخذة في النضج و التحدد والتشكل على نحو ما عرفناها من التاريخ .

### مقاربتان مختلفتان

أجاد سعد زغول باشا و من كانوا معه في الوفد المصري تقديم أنفسهم للتعامل مع هذا الواقع بدءا من ذهابهم في ١٣ نوفمبر ١٩١٨ لمركز القوة الجديد في دار المعتمد البريطاني يطلبون فيه أن تتال مصر حقا في استقلالها جزاءً لتعاونها مع البريطانيين في الحرب الكبرى كما كانت تسمى (أو على الأقل لعدم وقوفها ضدهم).

وصحيح أن موقف مصر كان خضوعا لقوة السلاح لكن الوفد اجتهد في أن يصوره في صورة مختلفة بعض الشيء عن هذا الانهزام .

ومن ثم فقد وسعت مظلة الوفد طوائف لم يكن الحزب الوطني قادراً على إظهارها بمظلته مهما كانت بلاغة الشيخ عبد العزيز جاويش وقدراته البيانية، فقد تحول الأمر من بيان ذكي للأمال المشروعة إلى بناء عملي على أمر واقع لم يكن (للأسف الشديد) منحاذا إلى مصر ولا قابلاً للانحياز إليها إلا بطريقة يبتدعها قانونيون وطيون أذكيا (يمثل سعد باشا قمتهم ) يلبسون الحق والواقع بالأمال والماضي .

## عوامل نجاح سعد

كان هذا التحول والتشكيل هو جوهر نجاح سعد زغلول باشا الذي تحقق في مزيج نادر من الحكمة والحيلة مستعينا في الوقت ذاته بقدرات اتصالية فائقة عند من تصدوا للتعامل (ولا نقول التعاون) مع البريطانيين من قبيل عبد الخالق ثروت باشا وعدلي يكن باشا وحسين رشدي باشا ومتجنباً بأقصى ما هو ممكن الصراع مع أسرة محمد علي سواء تمثلت في السلطان أحمد فؤاد (الذي أصبح الملك أحمد فؤاد بفضل ثورة ١٩١٩) أو في أمراء طموحين مستحقين للملك والمجد من قبيل عمر طوسون وعزيز حسن وكمال الدين حسين ومحمد عبد المنعم وعباس حلیم) ومتجنباً أيضاً طائفة ثالثة ممن أصبحنا نسميهم الآن التكنوقراطيين التقليديين الكبار ، من قبيل محمد سعيد باشا وإسماعيل سري ومحمد توفيق نسيم ويوسف وهبة.. الخ، ومستوعبا توجهات وطنية متعددة يُمثلها حمد الباسل (بالعرب والبدو) ومحمود سليمان باشا وابنه محمد محمود (بالصعيد) وأحمد لطفی السيد (بالنخبة الصحفية والفكرية) والمكبائي والصوفاني وأحمد يحيى (بالزعامة السكندرية والأقلية) .

## بقاء الحزب الوطني مع الوفد

ورغم هذا كله وبفضل إخلاص وبلاغة وفكر الشيخ عبد العزيز جاويش بقي الحزب الوطني، إلى اليمين من الوفد ، وبقي قادراً على أن يستوعب عقليات وقامات وطنية سامقة أتاح لها العمر أن ظلت تؤدي دورها حتى ١٩٥٢ من طراز محمد حافظ رمضان باشا وفكري أباطة باشا وعبد الرحمن الراجعي ومصطفى مرعي. أو انتهى بهم العمر قبل ذلك من قبيل عبد الحميد سعيد الذي توفي في ١٩٤١.

## صراع سعد زغلول و عبد العزيز جاويش

يحفل تراث الشيخ عبد العزيز جاويش بكثير من الصور الجميلة الرائعة المعبرة عن الحكمة التي يجب أن تعالج بها أمور السياسة، ومع أن هذا التراث تعرض للتحريف في كثير من القضايا وفي كثير من الأوقات فإن نسيجه الأصلي لا يزال ناطقا بكل القيم العليا والمبادئ السامية والفهم العميق ، والأفق الواسع، والأمل العريض، والانتماء المخلص..

ولم يكن حظ الشيخ عبد العزيز جاويش في أي من هذه المزايا بأقل من حظ سعد زغلول نفسه، حتى وإن كانت الجماهير قد تركت الحزب الوطني لتكون في صفوف الوفد الذي كان (بلا شك ، وكما فصلنا القول ) أكثر قدرة على احتواء القوى الاجتماعية وحشدها بل حشرها لثورة وطنية تشترك فيها طوائف تمثل أكثر من تسعين في المائة من الشعب المصري لا يتأخر عنهم إلا طائفة صغيرة جدا كطائفة الأرمن حين كانت تحت قيادة متعصبة وقصيرة النظر.

## قيمة جاويش في نظر سعد

لم يكن سعد زغلول باشا في أوج زعامته يحسب حساباً لأي صوت غير صوته إلا صوت الشيخ عبد العزيز جاويش (أو كما كان يسميه أو يكتبه في مذكراته شاويش (بشيينين وليس بجيم

وشين) ، ذلك أنه كان يدرك تمام الإدراك أن الشيخ جاويش هو القادر على أن يقود خطوات الجماهير إلى تكتيك يختلف عما مضى هو فيه، ومن ثم فقد تضطرب الخيوط في يديه أما الباكون بمن فيهم عدلي وثروت وصدقي وعبد العزيز فهمي فقد كان سعد زغلول قادراً على الانتصار عليهم من أول وهلة بما يمثله النجاح المعتمد على صراعات الورقة الاستراتيجية ، و ذلك من قبيل قوله جورج الخامس يفاوض جورج الخامس ، أما تنافسه مع الشيخ عبد العزيز جاويش فكان إذا دخل هذا الطريق كفيلاً بأن يجعل سعد زغلول يخسر كثيراً من أرضيته التي يظللها بمظلته الواسعة، وهكذا كان من الضروري لسعد باشا أن يحد من وجود الشيخ عبد العزيز جاويش ، ومن صوت الشيخ عبد العزيز جاويش ، ومن تأثير الشيخ عبد العزيز جاويش إلى أكبر قدر ممكن (بل وغير ممكن) .

### **دلالات المراسلات السرية**

ولهذا فإننا الآن لا نعجب حين نرى أن المراسلات السرية بين سعد زغلول باشا وعبد الرحمن بك فهمي رئيس التنظيم السري للوفد ولجنته المركزية تكشف عن توجهات سعد الواضحة وغير الملتبسة التي يقول فيها لعبد الرحمن بك فهمي ما معناه: حسنا فعلت إذ حطمت السرداق الذي كان الشيخ عبد العزيز جاويش سيخطب فيه، وكان سعد باشا بأوتوقراطيته وديكتاتوريته يرى (ومعه الحق البرجماتي في ذلك) أن عبد العزيز جاويش وجماعته كانوا مؤثرين حين يشوشون عليه ويشوشون عليه.

### **صواب قرار سعد**

وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر فإننا هنا نجد أن الشجاعة الأدبية تلزمننا بأن نقول إن قرار سعد زغلول كان صائباً لأن البديل كان قاتلاً، وإذا أردنا أن نتصور البديل فإنه يتمثل أمام أعيننا بكل وضوح صارخ في كل الخطوات المدمرة التي أحرزتها الثورات المضادة للربيع العربي متمثلة في الوطنيين حسني النية وقائلي الخبرة ممن استقطبتهم السلطات العسكرية والأجنبية بالخداع أو الترهيب أو الإذلال ليتركوا اختيار الصندوق واختيار الشعب ويتحولوا بإرادة قاهرة لأنفسهم إلى عبيد للبيادة.

### **التجربة الملهمة**

ومن حسن حظ تاريخنا أن قصة الشيخ عبد العزيز جاويش وسعد زغلول كانت متاحة أمام كل دارس مجتهد ، حتى وإن لم يتعظ بها تيار ثورات الربيع في عالمنا العربي بعد مائة عام من التاريخ.

وعلى نحو ما أنصفنا سعد زغلول في ديكتاتوريته فإننا لا بد أن ننصف الشيخ عبد العزيز جاويش في روحه الرياضية ، وفي نزعة الوطنية المخلصة التي لم تدفعه لحظة واحدة إلى أن يكون في صفوف الثورة المضادة، حتى وإن بقي إلى اليمين من الوفد ومن سعد زغلول ، وهكذا يتضح لنا بُعد جديد من أبعاد العظمة والاصالة والإحسان في شخصية ذلك الرجل الوطني العظيم



### مقارنته بالأستاذين الأفغاني ومحمد عبده

فإذا ما انتقلنا إلى الأصول الفكرية للنهضة الحديثة فإنه يمكن النظر إلى عبد العزيز جاويز على أنه الرمز الثالث للإصلاح الديني مع جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وقد فاق تأثيره العملي في هذا المجال جهود سلفيه حتى وإن لم ينتبه إلي هذا المؤرخون، حتى وإن تعدد عدد من أبناء مدرسة محمد عبده تجاهل دوره محتفظين لأنفسهم فرادي بمحاولة خلافة محمد عبده. وقد ذهب المستشرق تشارلز أدمس في كتابه عن الإسلام والتجديد في مصر إلى ما استطاب للكثيرين أن ينقلوه عنه وهو أن الشيخ عبد العزيز جاويز كان تلميذاً لمحمد عبده، ولكنه كان في حياته السياسية العنيفة كان أقرب إلى جمال الدين الأفغاني منه إلى الشيخ محمد عبده! وواقع الأمر أن التوجهات لا تقاس هكذا، ولا تقاس بمعزل عن الظروف التي دعت إلى الاعتدال أو التطرف، وربما كان منهج جاويز أكثر قرباً من منهج الشيخ محمد عبده لو أن الظروف تعاقبت في اتجاه آخر في السنوات التي أعقبت وفاة محمد عبده.

### تأثره بالأستاذ الإمام محمد عبده

كان تأثر الشيخ عبد العزيز جاويز بأستاذه محمد عبده عميقاً، إذ كان حريصاً على حضور دروسه في التفسير، ثم على انتهاج طريقة هذا الأستاذ في الكتابة والبحث والمحاضرة، وقد فسر الشيخ عبد العزيز جاويز بعض أجزاء من القرآن الكريم فكان تفسيره في رأي الدكتور محمد رجب البيومي أقرب التفسير إلى أسلوب الشيخ محمد عبده.

### كتابه المبكر "الإسلام دين الفطرة"

كتب الشيخ عبد العزيز جاويز كتابه الشهير "الإسلام دين الفطرة" ١٩٠٥ في لندن، متبعاً فيه طريقة الإمام في البحث الديني، واستشهد كثيراً بأرائه.. واستوحى الشيخ عبد العزيز جاويز اسم الكتاب من قول أحد طلبته الإنجليز أثناء تدريسه بلندن: "يخيل إلي يا شيخ أن هذا الدين لا ينافي الفطرة".. فسعى الشيخ عبد العزيز جاويز لتأصيل المفاهيم حول الإسلام وبيان أثر القرآن في تحرير الجنس البشري.

حين نفذت الطبعة الأولى من كتاب "الإسلام دين الفطرة" قامت جريدة "المؤيد" بنشره كاملاً في نفس السنة، ثم أعيد طبعه أكثر من مرة، وترجم إلى اللغة الإنجليزية

### مقارنة العقاد بين عبد العزيز جاويز و محمد رشيد رضا في تأثرهما بالأستاذين

يقول الأستاذ العقاد في معرض حديثه المتحامل عن الشيخ جاويز:

"..... وبين الشيخ رشيد رضا والشيخ جاويز جامعة لا غنى عن الإشارة إليها لتقدير كل منهما معاً، وكل من دخل معهما في هذه الجامعة، فبعد جمال الدين ومحمد عبده أصبح من هم كل شيخ ناشئ أن يصبح أستاذاً إماماً أو نمطاً آخر من جمال الدين. ومن هنا نشأت مدرسة رشيد رضا، ومصطفى المراغي، ووطنطوي جوهرى وعبد الحميد الزهراوي، ومحمد الخصري، ومحمد المهدي، والنجار، وغيرهم.

"ولكن الشيخ عبد العزيز كان يتشبه بجمال الدين؛ حيث يتشبه أقرانه على الأكثر بالأستاذ الإمام."

"وفارق آخر بينه وبين الشيخ رشيد أن الشيخ رشيد كما قلنا كانت به جفوة عن الفكاهة والكياسة. أما الشيخ عبد العزيز، فقد كانت فيه من أبناء البلد الظرفاء مشابهة كثيرة.

### مكانته في الحزب الوطني

استقر النظر إلي الشيخ عبد العزيز جاويش على أنه ثالث ثلاثة الرموز التاريخية للحزب الوطني مع الزعيمين مصطفى كامل ومحمد فريد، وفي الحق أن التأثير العملي الضخم الذي تركه الشيخ عبد العزيز جاويش في هذا الحزب وصحافته وكوادره يفوق تأثير الزعيمين الأولين ، حتي مع كون مصطفى كامل صاحب الفكرة، وباعث النهضة، ومع إخلاص محمد فريد البالغ للفكرة ، وتفانيه فيها ، أما الشيخ عبد العزيز جاويش فقد لعب دور زارع الأمل والصحة، وصانع نخبة الحزب، وفكره السياسي والعملي بما كان يكتبه كل يوم إلى أن أن أوان الصراع الفكري والاجتماعي والسياسي ، وبما كان يتناوله في كل مقال من فهم وطني، وتنظير عقيدي على أرفع مستوي، وهو ما لم يكن أحد غيره قادرا عليه، وهو بلا جدال أبرز كتاب الحزب الوطني، وأبرز كتاب جريدة اللواء.

أما دور عبد العزيز جاويش في التمهيد لثورة ١٩١٩ فدور لا يمكن نكرانه، حتي مع ما نعرفه عن أنه لم يكن ممن قاموا بزعامة هذه الثورة حين قامت بسبب ظروف نفيه وهجرته، بل إنه بدأ يعارض آليات سعد زغلول وتوجهاته بأقصى صور المعارضة الفكرية ، لكننا نستطيع أن نلمح أن النسيج الذي استخدمته زعامات ثورة ١٩١٩ قد اعتمد في المقام الأول على ما تم تكريسه من الخيوط المغزولة التي غزلها جاويش، من قبل، وأجاد تقويتها، والتمهيد بها للنهضة الوطنية التي تمثلت في ثورة ١٩١٩ وما تلاها.

### اتصاله بالحزب الوطني وخلافته لمصطفى كامل في رئاسة تحرير اللواء

كان الشيخ عبد العزيز جاويش يكتب في جريدة اللواء منذ كان طالبا بدار العلوم، لكنه لم يبدأ علاقته المباشرة بزعامة الحزب إلا حين التقى مع الزعيم محمد فريد في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في ١٩٠٥ ، وقد لفت الشيخ عبد العزيز جاويش نظر الزعيم محمد فريد حين قام بالرد على مزاعم مستشرق ألماني ادعى أن القرآن الكريم كان أول كتاب عربي وضع بالعامية لعرب ما قبل الإسلام، فرد عليه الشيخ ردا قويا قائما على العلم بتاريخ اللغة وتاريخ الدين، كما بدا تمكنه من اللغات الأجنبية وغيرته على لغة قومه ودينهم، فعرض عليه محمد فريد أن يعرفه بالزعيم مصطفى كامل الذي كان في رحلة عمل بلندن فوافق الشيخ عبد العزيز جاويش وسافر على الفور وقابله، وكان هذا اللقاء فتحا جديدا في حياة عبد العزيز جاويش.

ولما وقعت حادثة دنشواي (١٩٠٦) تكثف اتصاله بالزعيم مصطفى كامل باشا وأيده في جهوده المناهضة للاستعمار البريطاني، واشترك في تحرير جريدة اللواء لسان حال الحزب الوطني .

وحينما توفي الزعيم مصطفى كامل باشا رأى الزعيم محمد فريد بك أن يتولى الشيخ عبد العزيز جاويش خلافة الزعيم مصطفى كامل في رئاسة تحرير "اللواء" وعندئذ برز اسم الشيخ عبد العزيز جاويش كأحد رواد مدرسة الصحافة الوطنية وحاملي لوائها، وبخاصة بعد أن تولت اللواء قيادة الحركة الوطنية .

وعلى صفحات هذه المجلة كتب الشيخ عبد العزيز جاويش عدة مقالات هاجم فيها الاحتلال والمحتلين وصنائعهم، فسيق إلى المحاكمة .

### أول مقالاته حين رأس تحرير اللواء

كتب الشيخ عبد العزيز جاويش في أول مقال افتتح به عمله رئيسا لتحرير اللواء في ٣ مايو ١٩٠٨:

" بعونك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن ، وخر العزيمة ، ومطيتها الدهان والتلبيس في أسواقها النافقة ، تشتري نفيسات النفوس بزيوف الفلوس ، وتباع الذمم والسرائر بالابتسام وهز الرؤوس"

" وبيمينك اللهم أستقبل فاتحة الحياة الجديدة حياة الصراحة في القول، وحياة الجهر بالرأي حياة الإرشاد العام، حياة الاستماتة في سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة، أستقبل هذه الحياة بعد أن قضيت في سابقتها ثماني حجج بلغت فيها ذلك المنصب الذي كنت فيه بين محسود عليه ومرجو فيه، أستقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر، منبريا في ميدانها، فإما الصدر وإما القبر ، موقنا بما أعد الله لعباده العاملين المخلصين من الظفر والفتح المبين عارفا أن : الحي لا يموت إلا مرة والموت أحلى من حياة مرة

"وكيف لا نقدم من أنفسنا قرابين بين أيدي أهرام هذا القطر ونيله؟ أم كيف لا نصرف كل مرتخص وغال في سبيل تحريره، وقطع اليد الغاصبة له جزاء بما كسبت، فلنتمسك بهذا المبدأ الشريف ما حيينا ولنعتصم به ما بقينا ولنرفع أصواتنا حتى نطرق بها أبواب السماء فنستنزل المقت والسخط على من دخلوا بلادنا وقبضوا بأيدي جبروتهم على نواصينا، واستخدموا في سبيل إصابة غرضهم أفرادا إذا ما لقوكم قالوا إنا معكم، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين" .

" فاللهم أسالك لسانا ناطقا بالصواب والحكمة "

" فما أحوج الأمة إلى كلمة حق يسمعونها، وجميل عظة يعونها، وما أضمن الجرائد أن تتعاون وتتضامن على البر والتقوى ، وما أخلقها حتى تكون يدا واحدة على أعدائها، يحذرونها ويخشون بطشها، وما أحرأها أن تعلم أنها بتفرقها وتخاذلها إنما تشمت عدوا ميينا ، وتكمد صديقا شفيعا

" فأرسل اللهم على هذه الأمة وقادتها ومرشديها من عندك روحا يجمع شتيتها ويوحد كلمتها ويعصم أقدامها من الزلل وآراءها من الخطأ والخلل أمين".

### **ملخص للقضايا التي اتهم بها وهو في رئاسة تحرير اللواء**

في بدايات تولي الشيخ عبد العزيز جاويش لرياسة تحرير اللواء كتب مقالا تحت عنوان "دنشواي أخرى في السودان" قدم على أثره للمحاكمة عام ١٩٠٨ وحكم عليه لكنه نال البراءة في الاستئناف.

أعيد الشيخ عبد العزيز جاويش للمحاكمة في العام التالي لنشره مقالا عن ذكرى دنشواي وحكم بحبسه ثلاثة أشهر، غير أن الشعب قدر له هذه الوطنية فاكتتب الشعب و قدم له وساما بعد الإفراج عنه.

أما المحاكمة الأكثر شهرة في التاريخ فكانت محاكمته ١٩١٠ بسبب اشتراكه مع محمد فريد في كتابة مقدمة لديوان "وطنيتي" للشاعر علي الغاياتي، وسجن ثلاثة أشهر.

### **الحكم عليه بالسجن ستة أشهر بسبب مقاله عن دنشواي بعد حكم البراءة**

أجاد الدكتور محمد رجب البيومي عرض وتصوير قصة الحكم بالسجن على الشيخ جاويش في المرة الأولى ، وذلك حيث قال:

" ... كتب الأستاذ مقاله الناري بجريدة اللواء (٢٨ مايو ١٩٠٨) تحت عنوان دنشواي أخرى في السودان، ٧٠ مشنوقا، و١٣ سجينا، فتحدث عن جريمة الاستعمار الإنجليزي في إبادة سبعين سودانيا دون جريرة سوي غيرة بعض السودانين على شرفهم حين هم بالاعتداء عليهم ضابطان إنجليزيان، فحالوا دون ما بيتغيان، ودارت معركة أسفرت عن قتلهما في حومة العدوان! فكان الجراء الرادع أن يقتل بهما سبعون، ويسجن ثلاثة عشر من الأبرياء!"

"وظهر مقال الأستاذ جاويش ليكون أول صوت يجلجل في صحف الشرق بالمأساة، فاهتزت لها الدنيا، واجتمع مجلس العموم البريطاني ليعلن غيظه من صاحب القلم الصاعق، ورأي المستوزرون في الحكومة المصرية أن يلبوا رغبة سادتهم المحتلين، فقدموا الرجل للمحاكمة بدعوي نشر أنباء كاذبة لم تتحقق، ولكن الأستاذ، ومعه نخبة من رجال المحاماة، قد استطاعوا أن يبرزوا صدق هذه الوقائع، ويعلنوا أن الكاتب الكبير لم يخرج عن أمانة القلم حين بيّن للناس ما يفعله المحتلون بإخوانه المسلمين! واضطرت المحكمة إلي إعلان براءته، فخرج من ساحة القضاء مرفوع الرأس، وحملته الجماهير هاتفة مصفقة إلي دار اللواء".

" ثم جاءت ذكرى دنشواي، فكتب الأستاذ في مأساة اليوم مقالة رنانة كان لها وقع الصاعقة على الاحتلال، إذ أن جميع أساتذة المعاهد، وطلاب المدارس قد ساروا إلي حفظها كنشيد وطني تردده البكر والأصال، وقد أحدثت من التأثير والفرع في نفوس أبطال المأساة و مجرميها من رؤساء الاحتلال وصنائعهم المرجفين، ما جعل النيابة العامة تطلب إدانة الأستاذ بتهمة إثارة الرأي

العام، فعقدت جلسة عاجلة لمحاكمته، وبيت الأمر بليل، إذ صدر الحكم قبل المناقشة ففضي على الكاتب الكبير بحبسه ثلاثة أشهر"

### قصة وسام الشعب

خرج الشيخ عبد العزيز جاويش بطلا ، وكانت الجماهير في انتظاره لتستقبله وتمنحه الوسام الذي مولته وصنعت له خصيصا، وكان الشيخ عبد العزيز جاويش أول من حصل على هذا الوسام الذي لا يدانيه وسام آخر مهما علا قدره، وقد وصف استاذنا البيومي هذا التكريم المجيد فقال : " وأراد الشعب المجاهد أن يرد على هذا الظلم الصارخ فأعلن اكتتابا عاما يشترك فيه العامل والفلاح والموظف والتاجر ليقدموا وساما ذهبيا إلي الأستاذ، سمي إذ ذاك وسام الشعب، وما حانت ساعة انطلاقه من الحبس حتى أقيمت له حفلة تكريم كبري في فندق شبرد، وتقلد فيها الأستاذ وسام الشعب في مظهر وطني رائع، تحدثت به الركبان، وكان وسامه بين الأوسمة قمة لا تتال.

### دور رجل الدولة

عرض الشيخ عبد العزيز جاويش فكرته عن إصلاح التعليم في المؤتمر السنوي للحزب الوطني ١٩١٠ حيث بدأ بالحديث عن البعثات العلمية ورياض الأطفال. وفي العام التالي ١٩١١ عقد الشيخ عبد العزيز جاويش ومعاونوه مؤتمرا كبيرا في مدينة المنصورة وألقى خطبة جامعة في إصلاح التربية والتعليم. ثم ما لبث أن اختارته وزارة المعارف مرة أخرى لكرسي تدريس اللغة العربية بجامعة أكسفورد، وبدل هذا الاختيار على تقدير علم الشيخ عبد العزيز جاويش وفضله.

### توجهاته الاقتصادية والاجتماعية

دعا الشيخ عبد العزيز جاويش في مقالاته و محاضراته إلى كثير من الأفكار التقدمية والإصلاحية من قبيل تشجيع الحركة التعاونية و ما تتضمنه من ترابط رؤوس الأموال الصغيرة وإنشاء مصرف وطني، و نادى بضرورة العناية بالمرأة وتعليمها وإصلاح أحوالها ورفع شأنها، وعارض زواج المصريين من الأجنيات. وكتب في محاربة الخمر كتابه "أذى الخمر ومضاره"

### تطبيق أحكام الشريعة

وتحت عنوان "وجوب مراعاة أحوال الزمان والمكان في تطبيق أحكام الشريعة الغراء" ألقى الشيخ عبد العزيز جاويش خطبته الجامعة في مؤتمر الإصلاح العام الذي عقده الحكومة المصرية بمصر الجديدة لمناقشة وسائل التقدم الاجتماعي (١٩١٠). وقد كان هو القطب البارز في هذا المؤتمر الحكومي ، كما ألقى فيه دراسته الفذة عن الأسرة في رأي الإسلام.

### بصماته في المجتمع المدني

نعرف أن إسهام الشيخ عبد العزيز جاويش لم يقف عند حدود الفكر المكتوب ، والمحاضرة المؤثرة ، والقذوة الدائبة، لكنه شارك في كثير من الأعمال الخيرية كتأسيس جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية، التي لا زالت تقوم بالأنشطة الخيرية إلى الآن ، وتأسيس وإنشاء جمعية

الشبان المسلمين بالقاهرة ، وكان نائبا لرئيس مجلس إدارتها، وبهذا كان بمثابة الامتداد الحقيقي والمتفوق للشيخ محمد عبده في تأسيسه للجمعية الخيرية الإسلامية .  
وقد كان للشيخ جاويش كما سنشير بالتفصيل الفضل الأكبر في إنشاء مؤسسات تربوية مهمة من طراز المدرسة الإعدادية الثانوية بالقاهرة.

### الحكم عليه بالسجن الثاني

كان من الطبيعي أن يكتب الشيخ جاويش مقدمة ملتبهة لديوان وطنيتي للشاعر على الغياتي، ولم يكن غريبا أن تحكم عليه السلطة المتعسفة بالسجن ثلاثة أشهر أخرى.

### سفره إلى ألمانيا

بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى اضطر الشيخ عبد العزيز جاويش للسفر إلى ألمانيا شريكة العثمانيين في الحرب ، وهناك أنشأ مكتبة للدعاية لقضية مصر ومجلة إسلامية باللغة الألمانية. واشترك في تحرير صحف جمعية الاتحاد والترقي وفي جريدة العالم الإسلامي التي كان تصدرها ألمانيا من برلين.

### نشأته وتكوينه

اسمه بالكامل عبد العزيز بن خليل جاويش.. تصفه بعض المصادر التاريخية (الزركلي وغيره) بأنه تونسي الأصل، وهو ما قاله هو نفسه في إحدى محاكماته ، ويصفه البعض الآخر بأنه ليبي الأصل، وربما أن عائلته ممتدة هناك وهناك ، وربما أن الإقليم الذي نشأت فيه عائلته كان من المناطق التي تعددت تبعيتها مع الزمن، لكن هذا لا يعني شيئا في تاريخ حياة رجل كانت إنجازاته أكبر من المفهوم الضيق للوطنية أو الجنسية.

و من غير المختلف عليه أن والده وفد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى الإسكندرية واتخذ فيها متجرا للواردات الليبية، و ربما أنه من هنا جاء الاعتقاد في أنه ليبي، و قد حاول هذا الأب محاولات شتى لترغيب ولده في العمل معه بالتجارة، ولكنه فضل العلم على التجارة.  
و من الطريف أن أم عبد العزيز جاويش تركية وإن كان الشائع أنها مصرية .

ولد عبد العزيز جاويش بالإسكندرية في ٣١ أكتوبر سنة ١٨٧٦ في هذه الأسرة الميسورة التي تعمل بالتجارة، ونشأ فيها وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على نحو ما كان يتعلم أبناء جيله، و بدأ حفظ القرآن الكريم في أحد الكتاتيب، وأتم حفظ كتاب الله وهو في الرابعة عشرة ثم بدأ يطلب العلم بجامعة إبراهيم باشا بالإسكندرية، وبعد إتمامه دراسته الابتدائية انتقل للقاهرة ليجاور في الأزهر الشريف وهو في السادسة عشرة ، و واصل دراسته في الأزهر حين كان نجباء الأزهريين يومئذ يعدون أنفسهم للالتحاق بمدرسة دار العلوم لأنها أقرب الطرق إلي الحصول على وظائف التعليم والمحاماة، وما إن سمع بأن هذه المدرسة تجري اختبارا لطلاب الأزهر حتى سارع لدخوله ونجح فيه ضمن ستة عشر طالبا واستكمل دراسته بدار العلوم واشتهر بين زملائه بالجد، والاستقامة، والغيرة على الدين وتخرج فيها ١٨٩٧.

أفاد عبد العزيز جاويش من دراسته في الجامع الأزهر ودار العلوم إفادة قصوى، وساعده على تفوقه تمكنه من آداب اللغة العربية، وتبحره في أصول الدين الإسلامي، وعقب تخرجه في دار العلوم (١٨٩٧) عين مدرسا للغة العربية بمدرسة الزراعة، لكن عمله لم يطل، فما لبث أن وقع عليه الاختيار ليكون مبعوث وزارة المعارف إلى لندن التي سبقه إليها زميله عاطف بركات باشا ، ودرس في جامعة كانت تتولى تخريج رجال التربية، وفي أثناء بعثته في بريطانيا أتقن الشيخ عبد العزيز جاويش اللغة الإنجليزية ومن ثم أتاحت له الفرصة ليعيش الحياة الإنجليزية بكل تفصيلاتها.

عاد الشيخ عبد العزيز جاويش إلى مصر في المرة الأولى (١٩٠١) وتولى مناصب عديدة في وزارة المعارف العمومية فاشتغل مدرسا ثم مفتشا للغة العربية في وزارة المعارف.

### مواهبه

جمع الشيخ عبد العزيز جاويش التفوق في الخطابة والصحافة والكتابة والتربية والتعليم والعمل السياسي والعمل المدني، وهو بلا جدال نموذج فذ للعلماء المشتغلين بالسياسة والثورة والعمل المدني جميعاً فضلاً عن أنه مارس العمل الوظيفي بنجاح في لندن وبرلين وإستانبول والقاهرة وهو ما لم يتح إلا للنوادير في تلك الأجيال.

وصل الشيخ جاويش إلى ذروة مجده الجماهيري والصحفي في مجلة اللواء التي حققت بفضل كتاباته أرقاماً عالية في التوزيع لم تصل إليها صحيفة من قبل، وعُرف بوطنيته المندفعة وهجومه على الاحتلال والمتعاونين معه، وكما ذكرنا من قبل فقد حوكم أربع مرات، وسجن في مرتين منهما ، كما حكم عليه بالنفي فاستقر في إستانبول ، وطورد وهو في منفاه.

### سماته الشخصية

كان الشيخ عبد العزيز جاويش ، كما وصفه أهل عصره الذين أدركوه، جميل السمات، حسن الشارة، متواضع النفس، حلو الحديث، لطيف الروح، شديد الحياء، جريئاً في الدفاع عن دينه، شجاعاً في الذود عن وطنه، صريحاً في الإبانة عن رأيه، سباقاً إلي كريم المساعي. و كانت في طبعة حدة تظهر على قلمه أو لسانه إذا أُوذي في كرامته أو وطنيته أو عقيدته، وكان أسلوبه خطابياً يؤثر بالعاطفة أكثر مما يؤثر بالمنطق، وكان يجري فيه مجري الأسلوب المنسوب إلي الإمام علي كرم الله وجهه في نهج البلاغة.

### أدواره التربوية

لا يمكن لأي مؤرخ اجتماعي أو تربوي أن يقفز على الدور التربوي لعبد العزيز جاويش سواء في النظرية التربوية أو أصول التربية أو إصلاح التعليم الديني، أو تطوير التعليم القومي، ذلك أن دوره هو بالذات من بين أدوار نظرائه وأسلافه ، ممن لم يتولوا الوزارة ، يمثل الدور الأكبر الذي يشهد له بعقريته و وطنيته، ويكفي أن نشير إلي أنه كان سابقاً في التأثير بأكثر من عقدين من الزمان على جهود الأعلام من رجال الأزهر والمعارف (على حد سواء)، على الرغم من أنه لم

يكن يكبرهم إلا بعدد من السنوات يعد على أصابع اليد الواحدة ، وعلى سبيل المثال إذا قرناه بشيوخ الأزهر السبعة الذين تولوا المشيخة منذ ما قبل وفاته بقليل فإننا نجد أنه ولد في نفس العام الذي ولد فيه الشيخ محمد الخضر حسين ١٨٧٦ ، وتلاهما الشيخان الطواهري ومأمون الشناوي في ١٨٧٧ ، والشيخ حمروش في ١٨٨٠ ، و الشيخ المراغي في ١٨٨١ ، والشيخ عبدالمجيد سليم في ١٨٨٢ والشيخ مصطفى عبد الرازق في ١٨٨٥ .

وفيما بين أقرانه من الدراعمة فقد كان الشيخ عبد العزيز جاويش فلته في زمانه ، فيما حققه وأداه ، و وصل إليه ، وعلى المستوى المهني والوظيفي والبيروقراطي فإنه كان أول اثنين هما أنبه أبناء جيله من خريجي دار العلوم ، أما الثاني فهو محمد عاطف بركات باشا ناظر دار القضاء الشرعي ووكيل وزارة المعارف، وابن أخت الزعيم سعد زغلول :

– محمد عاطف بركات باشا	١٨٧٢	١٨٩٤	يونيو ١٩٢٤
– عبد العزيز جاويش بك	١٨٧٦	١٨٩٧	٥ يناير ١٩٢٩

وقد ولد عاطف بركات قبله بأربع سنوات ، وتخرج قبله بثلاث سنوات ، وتوفي قبله بخمس سنوات، لكن حضور جاويش المتأجج كان يفوق أستاذية بركات المنتجة بمراحل .

#### راند التربية الحديثة

في تلك الفترة المبكرة من حياته عني الشيخ عبد العزيز جاويش عناية شديدة بإصلاح ما كان يسمى بحرفة (مهنة) التعليم التي كانت تسير على طريقة التلقين وتحفيظ الدروس واستظهارها، وأصدر في هذه المرحلة كتابيه الرائدتين العظيمين "غنية المؤدبين" و"مرشد المترجم".

أما كتابه "غنية المؤدبين" الذي طبع ١٩٠٣ فيعد بمثابة الكتاب العربي الأول في أصول التربية الحديثة، ونلاحظ أن التربية في ذلك الوقت كانت تعبر عن نفسها بلفظ التأديب الذي هو أرقى بكثير من التربية . وقد قدم الشيخ عبد العزيز جاويش بمؤلفه هذا كتابا مرجعيا في التربية للمعلمين ، وبهذا الكتاب التربوي كان الشيخ عبد العزيز جاويش أسبق من عالجوا أمراض مهنة التعليم وأول من قدم الأساليب الحديثة ، ومنها طريقة الاستنتاج بالمحاورة، ولهذا كان كتابه هذا فتحا جديدا في علوم التربية .

#### الأستاذية المشاركة في أكسفورد

اختير الشيخ عبد العزيز جاويش ليشغل منصب أستاذية اللغة العربية في أكسفورد متعاوننا مع المستشرق مرجليوث أو مساعدا له منذ ١٩٠٤ وحتى ١٩٠٦ .

ومن الجدير بالذكر أن إقامات الشيخ عبد العزيز جاويش المتعددة في بريطانيا أتاحت له أن يناقش البريطانيين في فكرتهم عن الإسلام على مستويات متعددة ومن منظورات مختلفة .

#### ريادة الشيخ جاويش المبكرة لتقنيات فن الترجمة

يعد كتاب "مرشد المترجم" الذي نشره الشيخ عبد العزيز جاويش في أول القرن العشرين بمثابة الكتاب الأول في وضع قواعد الترجمة إلى العربية على نحو منهجي وصريح، وقد ألفه الشيخ



لخريجي مدرستي المعلمين العليا والوسطى، وكانوا بحكم القانون من يقصر عليهم تعليم الترجمة لطلاب المدارس، وليس من المبالغة أن نكرر القول بأن الشيخ عبد العزيز جاويش أسس بهذا الكتاب للمنهج العلمي في تدريس الترجمة وفن ممارستها .

### **إبعاده إلى تركيا و نشاطه فيها وفي أوروبا**

في ١٩١٢ تقرر أن يبعد الشيخ عبد العزيز جاويش عن مصر إلى تركيا فسافر إليها ، وتزعم أنصار الحزب الوطني الذين غادروا مصر إلى تركيا. و في تركيا أصدر عدة مجلات، كما تزعم حملة تبرعات لشراء وتهريب السلاح إلى ليبيا لمقاومة الغزو الإيطالي.

و من تركيا سافر الشيخ عبد العزيز جاويش إلى إنجلترا للعمل على توفير وسائل نقل المؤن والذخائر إلى ثوار ليبيا من خلال أسطول إسلامي تم تمويله بوساطة بعض الأغنياء من مسلمي الهند.

كما ساعد في تهريب عدد من القادة الأتراك لمحاربة الاحتلال الإيطالي في طرابلس. وعقب إعلان قيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ تنقل الشيخ عبد العزيز جاويش ما بين ألمانيا وتركيا والشام عاملا في إطار ما كان يحلم به من إنقاذ الممالك الإسلامية من الاستعمار. وفيما بين عام ١٩١٥ و ١٩١٨ أصدر الشيخ عبد العزيز جاويش جريدة الهلال أو "الهلال العثماني و"الحق يعلو"، كما أعاد إصدار مجلة الهداية التي كانت توقفت في مصر، و أولت مجلة الهداية اهتماما كبيرا بأحوال المسلمين فتحدثت عن مسلمي بلغاريا وروسيا والبوسنة والهرسك وغيرها من بلاد العالم، واهتمت بإحياء التراث الإسلامي.

كما ساهم في إصدار مجلة "العالم الإسلامي" في إستانبول، بالعربية و الألمانية. و اشترك مع بعض رجال الحزب الوطني في إصدار مجلة Egypt بسويسرا. ولما كان جاويش خطيبا ومحدثا مفوها لبقا فقد رأت حكومة الأستانة الإفادة من مواهبه فابتعثته إلى برلين وشارك في مؤتمر الدفاع عن الأمم المهضومة الحقوق في استكهولم. وفي هذه الفترة شارك عبد العزيز جاويش في مؤتمر المستشرقين في الجزائر (١٩١٥).

### **الانقلابيون الأتراك يسلمونه لمصر**

في عام ١٩١٧ أعيد الشيخ عبد العزيز جاويش إلى مصر مقبوضا عليه من الانقلابيين الذين كانوا لا يجيدون فهم السياسة ولا الوطنية و يتقبلون أي مساومة على حساب مبادئ الدولة و سلامة خطها السياسي ، ومن العجيب أنهم سلموا الشيخ لسلطة البريطانيين في مصر تحت مظلة أنه متهم بالدعوة للثورة في مصر. و من العجيب أكثر أن الشيخ عبد العزيز جاويش قد عاد إلى تركيا في العام نفسه.

ثم هاجر الشيخ عبد العزيز جاويش إلى ألمانيا (١٩١٨) مضطرا ، ويروي أن جهاده الوطني اضطره إلى العمل في الاحتطاب ببرلين في بعض سني الحرب، ليجد ما يمسك الرمق من الطعام!!

### اختيار أتاتورك له ليراس نشاط النشر في تركيا

عاد الشيخ عبد العزيز جاويش لتركيا ١٩٢٢ باستدعاء من الزعيم التركي مصطفى كمال أتاتورك ، حيث عينه رئيسا للجنة الشؤون التأليفية الإسلامية بأنقرة، وفي تلك الفترة حرر مجلة المراسلات المصرية. لكنه سرعان ما اختلف مع الزعيم التركي مصطفى كمال أتاتورك بسبب شروعه في إجراءات إلغاء الخلافة فعاد لمصر نوفمبر ١٩٢٣، متخفيا، وكتب مقالا بعنوان "تجديد العهد" .

### مديرا للتعليم الأولي بعد عودته لمصر

عين الشيخ عبد العزيز جاويش مراقبا للتعليم الأولي في وزارة المعارف العمومية ثم اسندت إليه الدولة منصب مدير التعليم الأولي فأخذ ينشئ المدارس ويضع خططاً للنهوض، ودعا إلى التوسع في التعليم الزراعي والصناعي، وعمل على إكمال النقص في برامج مدارس بالحكومة، وحماية الطلاب من مناهج التعليم الأجنبي بإنشاء عدد من المدارس. وقد شملت جهوده المشاركة أيضا في تطوير التعليم بالأزهر، وإدخال العلوم العصرية ضمن مناهجه.

### تبلور فكره التربوي

لا يزال هذا الفكر بحاجة إلي كثير من الدراسة الجادة باعتباره فكرا أصيلا ومنفتحا في الوقت ذاته ، و سوف نحاول أن نلقي عليه بعض الضوء .

كان الشيخ عبد العزيز جاويش كما ذكرنا أول من ألف في فلسفة التربية ، وكان كتابه غنية المؤدبين أول كتاب مصري فرق بين معني التربية ومعني التعليم، و دعا إلي الاستنباط والتعليل والحوار في الدرس، وهاجم الإلقاء الخطابي، والاستظهار اللفظي، كما دعا إلي القدوة الصالحة بحيث يكون المدرس نفسه و بنفسه مثلا حيا بشخصيته، لا كتابا جامدا بمعلوماته، وهو على سبيل المثال يقول :

" ويهمننا أن يكون المعلمون في سيرهم وأخلاقهم مثلا حسنا من جميع الوجوه لتلاميذهم، ولمن جاورهم من الناس، وعليهم ألا يقتصروا على تعليم تلاميذهم المواد المقررة في فهرس مواد التعليم، بل [أن] يجتهدوا في تعويدهم المحافظة على الأوقات، وعلى الجد والطاعة، والتأمل في الأمور، والذوق في المعاملة، والشفقة بالناس" .

### دعوته المبكرة للتعليم المتخصص

و يتصل بهذا على مستوى الفكر التربوي أيضا أن عبد العزيز جاويش كان أول من دعا إلي إنشاء مدارس رياض الأطفال، ووضع مناهج تربوية لها، وكان أول من دعا إلي إنشاء معاهد تعليمية خاصة للتجارة، والصناعة، والزراعة، وهو ما أخذ به أحمد حشمت باشا عند توليه وزارة المعارف خلفا لسعد زغلول باشا ، ثم إنه كان أيضا أول من دعا إلي وضع برامج التربية النسوية.

### المدرسة الإعدادية التي أنشأها

أنشأ الشيخ جاويش مدرسة ثانوية أهلية كان اسمها سماها من باب الطرافة المدرسة الإعدادية وذلك قبل أن يلجأ الأستاذ إسماعيل القباني الى كلمة الإعدادية ليطلقها اسما على المرحلة الوسطى التي أوجدها ما بين مرحلتي التعليم الابتدائي و الثانوي .  
وقد اختار الشيخ جاويش لهذه المدرسة عددا من أفضل خريجي دار العلوم والمعلمين العليا ، وليس أدل على كفاءة اختياراته من أن خمسة من مدرسي هذه المدرسة الاهلية الشبان وصلوا فيما بعد الى عضوية مجمع اللغة العربية .

### فكرة التعليم الوطني الموازي

هكذا كان عبد العزيز جاويش من الذكاء التنموي و السياسي بحيث قاد مبكرا الدعوة إلى تبني فكرة التوجه لإنشاء تعليم وطني مواز لا يخضع لسلطة الاحتلال الإنجليزي (والمستشار الإنجليزي على وجه التحديد)، وخطا خطوته الجبارة في هذا المجال بإنشاء المدرسة النموذجية التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة و سماها المدرسة الإعدادية، كما خطا خطوات أخرى بتنظيم بعثات تعليمية أهلية إلى باريس من بين طلاب المدرسة الإعدادية هذه، وبهذا أثبت جاويش مبكرا أن في وسع الجهود الوطنية (والحكومية) أن تؤسس لتعليم وطني حقيقي ومتكامل بعيدا عن الاعذار التقليدية المتمثلة في نقص التمويل، وقواعد توزيع الموازنات الحكومية.

### إنشأؤه أول المعاهد الحرة لتعليم اللغات

ويرتبط بهذا أن الشيخ عبد العزيز جاويش أنشأ في ١٩١٩ مدرسة ليلية أسماها "الإعدادية الليلية" ليتعلم فيها الأزهريون اللغة الفرنسية وهي المدرسة التي بدأ فيها عدد من أعلامنا تعلم اللغة الفرنسية . وفي كثير من أدبياتنا اعتقاد بأن الشيخ جاويش أنشأ هذه المدرسة لطلاب الأزهر، وأنه تطلع إلى اختيار عدد من الطلاب الأزهريين النابهين الذين يقصدون مدرسته وإرسالهم في بعثات إلى أوروبا، وكانت البعثات تسافر من كل المدارس ما عدا الأزهر.

### أول بعثة أزهرية مولتها الأمة

نجح الشيخ عبد العزيز جاويش في جمع التبرعات اللازمة لنفقات أول بعثة أزهرية على نفقة الأمة إلى فرنسا، وتكونت من ثلاثة طلاب سافروا إلى فرنسا في (٢٦ من صفر ١٣٢٩ هـ = ٢٦ من فبراير ١٩١١ ، بصحبة الشيخ جاويش نفسه ، وكان الهدف من هذه البعثة الوقوف على أساليب التعليم الحديثة ليطبقها هؤلاء المبعوثون في الجامعة الأزهرية حتى تصيح عصرية

### سعيه لإنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كان لعبد العزيز جاويش كذلك نشاط تربوي مبكر ومتعدد في محيط الدول الإسلامية، ومما يذكر له في هذا الشأن بالخير أنه سعى لإنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ووضع أساسها عام ١٩١٤ ، ومن محاسن المصادفات أن المملكة السعودية احتفظت بهذا الاسم الجميل للجامعة العظيمة التي أسستها في المدينة المنورة .

## رواية الشيخ المغربي عن دوره في المدرسة الصلاحية بالقدس

تولي الشيخ عبد العزيز جاويش إعادة هيكلة وإصلاح كلية صلاح الدين بالقدس الشريف، حين عهد إليه بإدارتها.

وقد كان الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع اللغوي في مصر من الذكاء بحيث حفظ قصة هذا الانجاز للتاريخ حين روى عنها ذكرياته في كلمته الافتتاحية في مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة ونشرت مجلة الرسالة هذه الكلمة كاملة في ٢٥ ديسمبر ١٩٥٠ .

وكان الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع قد دعي للحديث عن موضوع تنازع اللغات في طائفة من الكلمات فأدار الحوار حول هذا الموضوع من خلال روايته [في الوقت ذاته و بطريقة سينمائية موازية ] للإنجاز الذي تحقق على يد الشيخ جاويش بافتتاح تلك المدرسة بعد الحرب العالمية الأولى قبل أن يعيد الفرنسيون الاستيلاء عليها :

" ألا تحبون أن تسمعوا أن الشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله نجح في إقناع (جمال باشا) قائد الجيش الرابع في الحرب العالمية الأولى (حرب سنة ١٩١٤) - إقناعه باسترداد المدرسة الصلاحية في القدس من أيدي الرهينة الفرنسية المسماة بالأباء البيض وإرجاع تلك المدرسة سيرتها الأولى: مدرسة دينية أزهرية عمائمية لكنها عصرية باسم (الكلية الصلاحية) نسبة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي كان بنى تلك المدرسة على ظهر مغارة كانت تأوي إليها السيدة حنة وطفلتها السيدة مريم. وكان هذا من صلاح الدين بعد أن أنقذ بيت المقدس من براثن الصليبيين، وجعل المدرسة داراً للحديث باسم السادة الشافعية.

"نجح الشيخ جاويش في هذا وفاز بأمنيته، وبأشرف تأسيس الكلية وترتيب فصولها وتنظيم برامجها. ودعيت من (طرابلس الشام) إلى معاونته في عمله، فلبيت الطلب، وأسرت إلى القدس ..... وأعلن خبر افتتاح الكلية الصلاحية في طول البلاد وعرضها، واجتالبت الأساتذة إليها، واقتبل الطلاب من كل حذب عليها. وكانوا يؤمنونها لا لطلب العلم وحده، بل للتخلص من أهوال حرب كانوا يعتقدون أنها شر وبلاء عليهم وعلى دولتهم. وكان الخلاف بين الترك والعرب لحين نشوب تلك الحرب في منتهى شدته، وعلى أحر جمرته."

"وكان من أساتذة الكلية المرحوم محمد رستم حيدر الوزير العراقي، والمرحوم إسعاف النشاشيبي الأديب الفلسطيني؛ ومن طلابها المرحوم محمد الأنسي البيروتي رئيس وزراء شرق الأردن. وعباس باشا ميرزا الشركسي وزير داخليتها اليوم، والشيخ يوسف ياسين الوزير السعودي، وصبحي بك الخضرا السياسي الفلسطيني. وليس الشأن أيها السادة في هؤلاء وأولئك، وإنما الشأن في رهط من أبناء مصر الأحرار أوا إلى الكلية في ذلك الحين العصيب كما أوى فتية أهل الكهف إلى كهفهم. فخصص لهم نقيبهم الشيخ جاويش جناحاً من بناء الكلية؛ فكانوا يقيمون فيه ولا يبرحونه إلا ريثما يتناولون قوتهم في مطاعم المدينة. ثم يأوون إلى كهفهم دون أن يشعر بهم أحد."

"ولا غرو أن يكون مدار حديث هؤلاء الفتية في خلوتهم على الحرب ونتائجها، والحملة التركية ومناهجها، وكنت أنا وصديقي الشيخ جاويش ننظر في أمور الكلية وقبول الطلاب الحائزين للشروط، ونريح أنفسنا أحياناً بزيارة الفتية في كهفهم، بل الأشبال في عرينهم".

"وما كان أشد اغتباطي حين أخذني الشيخ جاويش من يدي لأول وصولي إلى الكلية، وجاء بي إلى أولئك الأشبال في منامتهم. هذا مستلق على سريره ويده كتاب، وآخر منتبذ ناحية يقرأ جريدة، وذلك ينفذ الغبار عن معطفه، وهناك من يأمر الفراش ببعض حاجته". وقدمني إليهم صديقي الشيخ جاويش باسم (المغربي) المحرر في جريدة المؤيد منذ خمس سنين. فهشوا إلى لقيائي، وأخذت أعانق من أعرف، وأصافح من لم أكن أعرف؛ ثم قال لي الشيخ جاويش: هذا فؤاد بك سليم، وهذا الدكتور أحمد فؤاد المصري نزيل الأستانة، وهذا عبد الملك حمزة بك، وهذا عوض بحراري بك، وهذا فلان. وأشار إلى واحد منهم سماه باسم إسماعيل بك، بل قد نسيت إن كان (إسماعيل) اسماً له أو اسماً لأبيه. وكان هذا الفتى النجيب مربوع القامة أبيض اللون بديناً. وكان أكثرهم مرحاً وتفاؤلاً وأقلهم مبالاة بما تأتي به الأقدار".

"وقضينا أيها السادة مع هؤلاء الفتية المؤمنين بربهم وبوطنهم ساعة من الزمن في مطايبية ومفاكهة وأحاديث مختلفة ثم كنت أزورهم من وقت إلى آخر. وكان الشيخ جاويش يغيب عن الكلية لمراجعة مقر القيادة التركية في بعض المهام ويترك الأشبال في عرينهم ينتظرون إياهم بلهفة وفرط استشراف. وكانوا في غيبته أحياناً يفكرون ويقدرّون، وطوراً يزأرون من الغيظ ويزمجون. ثم يعود الشيخ إليهم بما يسرهم تارة، ويؤلمهم تارة أخرى.

كلما ذاق كأس بأس مرير ... جاء كأس من الرجاء معسول

" واتفق ذات ليلة أيها السادة أن تركت غرفتي وتخطيت الرواق المؤدي إلى عرين الأشبال أزورهم. وكان يتدلى من سقف الرواق قنديل قديم من قناديل الأديرة يتنفس عن أشعة ضئيلة لا تتبين معها الأشباح إلا بصعوبة؛ وإذا بشبح كالعملاق يعترضني ويلقي بتجليده عليّ قيل أن يتوسمني أو يتبين من أنا، فسألته قائلاً:

- من يكون حضرة الأخ؟

- عبد الحميد سعيد (قالها بلهجة المشتاق المتحبيب وعجب من سؤالي مع أن طولته وعرضه

رحمه الله ينبئان عن شخصه ثم قال)

- ألسنت الشيخ عبد العزيز جاويش؟

- لا: بل أنا عبد القادر صديق الشيخ جاويش ومغربي مثله.

" فتبسم ضاحكاً من قولي وعجب من هذا الشبه بيني وبين صديقه. وانقلبنا إلى مأوى الأشبال متشابكي الذراعين نحدثهم بما وقع. فقامت فيهم ضجة صاخبة مرحة قللت من العيوس، ورفهت بعض الشيء عن مخاوف النفوس، وكان (عبد الحميد بك سعيد) حين جئت الكلية من طرابلس غائباً في قضاء مهمة وراء منطقة القدس. فلما رجع ودخل على إخوانه هلّوا لمقدمه؛ وكان أول

ما سألهم عن صديقه الشيخ جاويش فقالوا: هو في المنامة الكبرى يتفقد الطلاب قبل نومهم، فلم يطق صبراً وخف إليه مسلماً عليه. فصادفني في الرواق وكان من أمرنا ما كان".  
" والأشبال في أحاديثهم أيها السادة قلما كانوا يتخطون المشاكل الدولية عامة، والمسألة المصرية خاصة. وكانوا ينتسمون أخبار الغزاة، ويستطلعون طلع الحركات والمقارنة بين الاستعدادات. وكثيراً ما كانت تقع بينهم مناظرات في أي الأعمال والمسعاي أنجح؟ فترتفع أصواتهم، وتحتدم نار الجدل بينهم. وكان أقواهم حجة وأعنفهم لهجة، ذلك البطل المصري، يافعة السياسة (الدكتور أحمد فواد): فإن إقامته في الأستانة أكسبته مزايا في الجدل وسعة اطلاع على المناورات الدولية وتفقهاً في أسرار القضية المصرية".

### التاريخ حفظ صورته في تلميذه طه حسين

كان الشيخ عبد العزيز جاويش محظوظاً إلى أبعد حد في حياته الفكرية في الحياة وبعد الممات على حد سواء ، فلم يكن من الزعماء الوطنيين من رزق الخلود في صورة تلميذه الأديب على نحو ما رزقه الشيخ جاويش في الدكتور طه حسين ، حتى إنك إذا أردت أن تبدأ تعريفاً وافياً شافياً يعرّف القراء بالشيخ عبد العزيز جاويش فإن بوسعك أن تقول إنه الأستاذ الذي أخذ منه الدكتور طه حسين ٩٥٪ على الأقل من شخصية طه حسين (وليس من شخصية عبد العزيز جاويش) والفارق بين المعنيين كبير جداً .

صحيح أن الأستاذ المرصفي هو أستاذ طه حسين الأول سبباً وأن الأستاذ أحمد لطفي السيد هو أستاذ طه حسين الأشهر معرفة ولكن الشيخ عبد العزيز جاويش هو أستاذه الأكثر أثراً فيه، وفي جملة واحدة فإنه هو الذي علم طه حسين فن الاشتباك مع كل شيء ، وهو الذي علمه قواعد الاشتباك في كل شيء ، وهو بلا شك الذي علمه السياسة وكيف يتناولها، وكيف ينحاز إلى مثل العليا يختارها أو يفضلها، وكيف يفرض رأيه وكيف يدافع عنه، وكيف يُهاجم خصومه وكيف يشتط في هذا الهجوم ، وكيف يوظف الأدب للسياسة، ويطعم السياسة بالأدب تطعيماً لا يُبقي فيه للسياسة إلا القدر المستتر خلف صياغات الأدب الظاهر والمستثري في كيانها الذي يقدمه الكاتب للقراء.

الشيخ عبد العزيز جاويش أيضاً هو صاحب القرار الأهم في حياة الدكتور طه حسين وهو قرار التأهل بالدراسة في الخارج، وهو الذي اختار له هذا المستقبل في فرنسا بالذات ، وهو الذي أقنعه به وهو الذي ساعده عليه.

الشيخ عبد العزيز جاويش أيضاً هو الذي كَوّن الملامح البارزة في أسلوب طه حسين الأدبي ، وفي منهجه في التناول والمقاربة، وفي طريقته في النقد والمعالجة، وفي صياغة ردود الأفعال وصياغة مداخل الفعل من قبل ردود الأفعال.

يعرف القارئ أننا في دراسة الشخصيات (كما في دراسة التاريخ الطبيعي للحياة الإنسانية والعقلية) نستطيع بفضل الخبرة والتمرس أن نكتشف المزيج والأسلوب من دون أن نتأثر

بالتوجهات السياسية أو التحزبات المعرفية ، فالتوجهات والتحزبات تخضع لعوامل الزمن، وتتغير طبقاً لموقف الإنسان والوطن والمجتمع منها لكن جوهر الأسلوب يبقى حتى بعد أن يتطور وحتى إن كان تطوره إلى النقيض من بداياته في الظاهر ، كما أن المنهج نفسه يبقى على ما بني عليه حتى مع الخبرة والتجربة، هذان أمران صحيحان فيما اتفقت عليه ذائقة النقد ، وصحيح ثالثاً أن الحياة تعلمنا ما تسميه العامة باللمسة الدبلوماسية التي تجعلنا نغلف آراءنا المعارضة أو الناقدة بكل ما يمكن من التدليل على احترامنا للآخر وتقديرنا لآرائه لكن هذه الأغلفة الدبلوماسية مهما بلغت كثافتها لا تستطيع أن تحجب اعتراضنا على فكرة ما ، ولا تستطيع أن تغير من اقناع المتلقي بأننا نرى الأمر حلالاً أو حراماً ، مفيداً أو ضاراً، صواباً أو خطأً.

ونعرف أيضاً أن المظاهر الظاهرة من الحياة الحية و الخبرة بها تستطيع أن تجعلنا نقول بخطورة المرض بعد أن نشير إلى حالات الصفاء التي تصحبه، أو الهدوء الإجباري الذي يتيحه، أو العبرة التي ترتبط به، ومع هذا فإن المرض وما يقتضيه من العلاج يظل مرضاً ، وهكذا كانت آراء الشيخ عبد العزيز جاويش حين صاغها الدكتور طه حسين بعد عقود من الزمان، فلم ينتكر للأصالة على نحو ما صوره بعض من لا يستطيعون الوصول إلى اللب لأنهم ينشغلون بدراسة النص الظاهر الصريح على نحو ما يتصورونه صريحاً صحيحاً، على حين أن طه حسين نفسه لم يختلف فيما رآه وارتأه عن الشيخ عبد العزيز جاويش إلا في التغليف وما يرتبط به من كل ما نسميه بالتفصيلات المتاحة في النص من تنصيص وتشبيه وتمثيل وتجنيس وتلبيس وتعمية وتورية وتطبيق.

كان الشيخ عبد العزيز جاويش نفسه فقد أضاف إلى ما تعلمه في الأزهر ما كانت تضيفه دار العلوم من معارف تختلط فيها العصرية بالعنصرية، وكذا فعل الدكتور طه حسين حين أضاف إلى ما تعلمه في الأزهر ما كانت تضيفه الجامعة المصرية (الأهلية) من معارف تختلط فيها العصرية بالعنصرية، ثم أبحر الشيخ عبد العزيز جاويش إلى بريطانيا وعاد وأبحر طه حسين إلى فرنسا وعاد، وعلى حين وجد الشيخ عبد العزيز جاويش فرصة للأستاذية في بلاد الإنجليز ثم في مصر و استانبول والقدس ومع الانجليز و العثمانيين و الالمان فإن الدكتور طه حسين وجد هذه الفرصة في مصر فعصّ عليها بالنواجذ، وأتاح له الزمن ألا ينشغل كثيراً بالمناصب البعيدة عن وظيفة التعليم والكتابة .

#### حديث طه حسين في الأيام عن فضله

لم يكن الدكتور طه حسين ينكر فضل الشيخ عبد العزيز جاويش عليه ، وإنما كان يذكره بوضوح شديد ، و بامتنان شديد لكنه كان يلقي على كاهل الشيخ جاويش بالمسئولية عن كثير من أفعاله وأخلاقه التي تبدو متنافرة مع ما وصل إليه من شخصية الرجل الوقور والعميد المتأق عن رضا بالبروتوكول .

## علمه الحماس و الغلو

وفي هذا الإطار يكاد الدكتور طه حسين ينسب كل ما ميز حياته من حماس واندفاع إلى ما تعلمه من الشيخ عبد العزيز جاويش، و هو في كتابه الأيام يبدأ حديثه الطويل عن معرفته بهذا الأستاذ الفذ حريصاً كل الحرص على الإحياء بهذا المعنى، ثم إنه حين يعود إلى الحديث عن الشيخ عبد العزيز جاويش وأثره لا يجد حرجاً في أن يكرر التأكيد على هذا المعنى بكثير من الحقائق، حتى ليكاد القارئ الفطن يظن أن طه حسين يريد أن يقول إنه لم يعرف الحماس قبل الشيخ عبد العزيز جاويش ولا بعده، وانظر إليه على سبيل المثال وهو يذكر أن الشيخ هو الذي علمه الكتابة و علمه معها طول اللسان، و ذلك حيث يقول :

" واتصل الفتى كذلك بالشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله فأكثر الاختلاف إليه والاستماع له، وما هي إلا أن أخذ يجرب نفسه في الكتابة، كما جرب نفسه في الشعر بين يدي أستاذه المرصفي. ولم يكد الفتى يأخذ في الكتابة حتى عُرف بطول اللسان والإقدام على ألوان من النقد، قلما كان الشباب يقدمون عليها في تلك الأيام، ولكنه كان نقداً محافظاً غالباً في المحافظة، إلا أن يعرض لشئون الأزهر، فهناك كان يخرج حتى عن طور الاعتدال، ويغلو في العبث بالشيوخ، ويجد التشجيع كل التشجيع على ذلك من الشيخ عبد العزيز جاويش، وربما وجد منه إغراءً بذلك وحثاً عليه."

## مقارنته الشيخ جاويش وأستاذ الجيل

لا يقارن الدكتور طه حسين بين أستاذه المرصفي و الشيخ جاويش ولكنه يقارن مرة بعد أخرى بين الشيخ جاويش والأستاذ أحمد لطفي السيد فيقول :

" وكان صاحبنا مؤزّعاً بين مذهبين من مذاهب الكتابة في ذلك الوقت، أحدهما: مذهب الاعتدال والقصد، ذلك الذي كان الأستاذ لطفي السيد يدعوه إليه ويزينه في قلبه، والآخر: مذهب الغلو والإسراف، ذلك الذي كان الشيخ عبد العزيز جاويش يغريه به ويحرّضه عليه تحريضاً، وكان الفتى يستجيب للمذهبين جميعاً، فإذا اقتصد في النقد نشر في الجريدة، وإذا غلا نشر في صحف الحزب الوطني."

وفي موضع تال يتحدث الدكتور طه حسين بضوح عن الفرق بين الرجلين فيقول :

" وقد لاحظ الفتى فيما بعد أن أحاديثه تلك عن المنفلوطي قد شغلت الناس حتى تحدّث إليه فيها كل من كان يلقاه، إلا رجلاً واحداً لم يُشر إليها قط على كثرة ما كان يلقى الفتى، وعلى كثرة ما كان يتحدّث إليه، وهو مدير الجريدة لطفي السيد."

"فهم الفتى، ولكن متأخراً، أن لطفي السيد لم يرض قط عن هذه الفصول، ولو قد رضي عنها، وعن بعضها، لتحدّث إليه فيها، وهو الذي كان كثيراً ما يُشجّع الفتى فيتنبأ له مرة بأنه سيكون موضعه من مصر موضع فولتير من فرنسا، ويقول له مرة أخرى: أنت أبو العلاننا، يتعمد إثبات



الألف واللام على رغم الإضافة في اسم أبي العلاء، ثم يضحك ، ويغرق في الضحك حين يرى تنكّر الفتى للجمع بين الإضافة وأداة التعريف."

" أصبح الفتى كاتبًا بفضل هذين الرجلين: لطفي السيد وعبد العزيز جاويش، وأصبح كاتبًا لشيءٍ آخر: وهو أنه أثناء الأعوام العشرة الأولى من كتابته في الصحف لم يكتب إلا حُبًّا للكتابة ورغبةً فيها، لم يكسب بها درهماً ولا مئلياً."

### السبب في رسوب طه حسين في العالمية

حين يتحدث الدكتور طه حسين عما يعتقد أنه السبب المباشر في رسوبه في امتحان العالمية فإنه يقدم قصة مترابطة يبدو أثر الشيخ عبد العزيز جاويش فيها حاسماً لا مرجحاً فحسب ، وكأنه هو الذي أمره أن يرسم فرسب ، فهو الذي شجعه على الخطأ في أساتذته ومنهم شيخ الأزهر نفسه ، ولا ينكر الدكتور طه حسين أنه تجاوز في حق الإمام الأكبر لكنه يلقي بجزء كبير عن المسؤولية عن فعله على الشيخ جاويش ، وفي الحقيقة فإن منطق قوانين النشر يقر ما قال به الدكتور طه حسين و يشرك الشيخ جاويش في هذه المسؤولية، فهو الذي نشر لطه حسين في صحيفة العلم شعره الساخر الذي ألفه في تلك المناسبة و طرب له وهو يحدث أثره:

" ولم يكن هذا الندم كل ما جرَّ عليه طول اللسان من ألم، فما أكثر ما كان يكفُّ بالندم فيمضي فيه مؤمناً به حريصاً عليه لا يحسب لعواقبه حساباً ثم تمضي الأيام في إثر الأيام، وإذا هو قد نسي ما كتب، وشُغل عنه بأشياء أخرى، ولكن الناس لم ينسوه وإنما حفظوه له، وقيدوه عليه، وأخذوه به حين سنحت الفرصة"

و نأتي إلى هذه الفقرة الصريحة من نص الدكتور طه حسين في كتابه الأيام :

"وطول اللسان هو الذي قطع الصلة قطعاً حاسماً بين صاحبا وبين الأزهر، ودفعه دفعاً إلى حياته التي أتاحت له، وعرضه لسخط أيّ سخط، وحزن أيّ حزن، وعناء أيّ عناء. والغريب أنه قد تلقى السخط والحزن والعناء باسمًا موفور الرضا، طيب النفس، فلم تتعلق نفسه قط بالجلوس إلى عمود من أعمدة الأزهر، ولا بإلقاء الدرس في حلقة من حلقاته. لم يأسَ إذن على انقطاع الصلة بينه وبين الأزهر، وإنما ملأ قلبه الحزن والأسى حين عرف سخط أبيه الشيخ، وحزن أمه التي كان يختصّها بالحبِّ والبرِّ والحنان".

" كان ذلك حين أنشأ الشيخ رشيد رضا رحمه الله شيئاً سمّاه مدرسة الدعوة والإرشاد، وأعلن أن هذه المدرسة ستُعَدُّ طلابها من الأزهريين لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ولإرشاد المسلمين أنفسهم إلى دينهم الصحيح المبرأ من أوهام القرون وأباطيلها".

"وقد ضاق المجدِّون من أبناء الأزهر بهذه المدرسة أشدَّ الضيق، وسخطوا عليها أعظم السخط. رأوا فيما أحاط بإنشائها من الظروف انحرافاً عن الوفاء للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده من رجل كان يرى نفسه أقرب تلاميذ الشيخ إليه، وأخصهم به وأوفاهم له، فقد عطف الخديو على

هذه المدرسة وأعانها وأغرى شيوخ الأزهر بتأييدها. ورأى تلاميذ الأستاذ الإمام أن في عطف الخديو على هذه المدرسة وإعانتها لها ما أثار في نفوسهم الرّيب فنقروا الناس منها، وأطلقوا ألسنتهم فيها، وعابوا على الشيخ رشيد أنه تاب إلى من أخرج الأستاذ الإمام من الأزهر [طه حسين يقصد هنا الخديو عباس حلمي] وعرضه لكثير من الشر والأذى وأغرى به الشيوخ، حتى أذاعوا عن الشيخ ما أذاعوا من سوء، ونالوه بما نالوه من المكروه.

" وفي ذات يوم أقام الشيخ رشيد وأصحابه حفلاً بهذه المدرسة، واجتمعوا حول مائدة العشاء في فندق من فنادق القاهرة يقال له فندق سافوي ، ونشرت بعض الصحف أبناء زعت فيها أن أكواب الشمبانيا أديرت حول هذه المائدة، وكان جماعة من شيوخ الأزهر يتقدمهم شيخهم الأكبر قد شهدوا هذا العشاء، ورأوا ما أدير فيه من الأكواب فلم يُنكروا بالعمل ولا بالقول. هنالك ثارت ثائرة المخلصين للأزهر، فلهجوا بالشيوخ وقالوا فيهم فأكثروا القول.

" ودافع المدافعون عن الشيوخ بأن زجاجاتٍ فُتحت في ذلك العشاء وكان لفتحها فرقة، ولكنها لم تكن زجاجات الشمبانيا، وإنما كانت زجاجات الكازوزة! ولكن خصوم الشيوخ من أبناء الأزهر لم يقبلوا هذا الدفاع، ولم يُصدّقوه، وإنما مضواً يلهجون ويقولون في الشيوخ فيكثرون القول، وكان صاحبنا الفتى أطولهم لساناً، وأجرأهم قلماً، وأجرحهم لفظاً. عاب الشيوخ شعراً ونثراً، ونشر عبد العزيز جاويش له ذلك في صحيفة "العلم" فرضي المجددون وأغرقوا في الرضا، وسخط المحافظون وأسرفوا في السخط، وتناقل أولئك وهؤلاء هذه الأبيات الثلاثة من شعر الفتى الذي لم ينسبه إلى نفسه، وإنما زعم أنه تلقاه في البريد:

رعى الله المشايخ إذ تواقوا  
وإذ شهدوا كؤوس الخمر صر  
رئيس المسلمين عداك ذم  
إلى سافواي في يوم الخميس  
فا تدور به أسقاة على الجلوس  
ألا لله درك من رئيس

" ثم مضت الأيام وتتابعت فيها الأحداث، حتى إذا دار العام رأى الفتى نفسه يتهباً للامتحان في الأزهر لينال درجة العالمية. وقد تلقى الفتى ما كان يسمى حينئذٍ بالتعيين، وهو الدروس التي يجب أن يعدها ليلقيها أمام لجنة الامتحان، ويثبت لمناقشة الممتحنين فيها. فاستعد الفتى وأحسن الاستعداد، وحفظ فأحسن الحفظ، حتى إذا لم يبق بينه وبين شهود الامتحان إلا سواد الليل، وأقبل عليه شيخه المرصفي رحمه الله فأنباه هذا النبأ العجيب الذي لم يحمله إليه في ضوء النهار، وإنما حمله إليه في ظلمة الليل، بعد أن صلّيت العشاء.

قال الشيخ: إذا أصبحت يا بُني فاستقل من الامتحان ولا تحضره من عامك هذا، فإن القوم يأترون بك ليسقطوك.

قال الفتى: وما ذاك؟!!

قال الشيخ: تعلم أي عضو في لجنة الامتحان التي ستحضر أمامها غداً، والتي يرأسها الشيخ دسوقي العربي، فقد دُعي رئيس اللجنة إلى الشيخ الأكبر وأمر بإسقاطك مهما تكن الظروف.

قال الفتى: ولكني سأحضر أمام لجنة أخرى يرأسها الشيخ عبد الحكم عطا.  
قال الشيخ: فإن هذه اللجنة لن تجتمع؛ لأن رئيسها أبى أن يسمع للشيخ الأكبر حين أمره بإسقاطك، فلما ألحَّ الشيخ الأكبر عليه ألحَّ هو في الإباء، فلما خيره الشيخ الأكبر بين إسقاطك وبين ألا تجتمع لجنته، أثار ألا تجتمع للجنة، وقال: إنما هو غداء وثلاثون قرشاً!  
وأبى الفتى أن يستقيل على رغم إلحاح الشيخ المرصفي عليه في ذلك، ونام ليله هادئاً موفوراً، واستقبل صباحه راضياً مسروراً، وغدا على لجنة الامتحان، وكانت مجتمعة في مكان في الدراسة لا يعرف الفتى ألقابها هو أم درس فيما درس من المنازل والدور.  
غدا على لجنة الامتحان فألقى التحية، وجلس، وكان أعضاء اللجنة يشربون الشاي.

قال الرئيس للفتى: هل أفطرت؟

قال الفتى: نعم.

قال الرئيس: فأتم هذا الكوب الذي شربت نصفه لتحصل لك البركة.  
"وأخذ الفتى من الشيخ كوبه مُبتسماً، وشرب ما فيه متكرهاً، ثم أخذ في الدرس الأول فأنفق فيه ساعتين ونصف ساعة، ولقي فيه من المناقشة أشدها، ومن الجدل أعنفه. وفي أثناء ذلك دخل الشيخ الأكبر، فلم يسلم، وإنما قال: حرام عليك يا شيخ دسوقي، حرام عليك، ارفق به! ارفق به! ثم انصرف. ولم يرفق الشيخ دسوقي بالفتى، وإنما أضاف شدة إلى شدة، وعتفاً إلى عنفٍ، وانقضى الدرس الأول، وقيل للفتى: اذهب فاسترح.

" وخرج الفتى فإذا كرسيٌّ قد وُضع إلى جانب الباب، وجلس عليه الشيخ الأكبر كأنه ينتظر شيئاً. ولم يكذب الفتى حتى دعا شيئاً من الشيوخ كان هناك وقال له: خذ يا شيخ إبراهيم فاسقهِ فنجائاً من القهوة! وفي انتظار هذا الفجان أقبل من حمل المحفظة إلى الفتى إيذاناً بأنه قد سقط، وبأن اللجنة لا تريد أن يُتَمَّ ما بقي له من الدروس.

### ثنائية اللين والعنف في شخصية جاويز

وفي موضع مهم وغير مشهور أو غير مطروق من كتاب الأيام يصف الدكتور طه حسين ما كان يتميز به الشيخ عبد العزيز جاويز من ثنائية اللين والعنف، وما تركه في نفسه هو من هذه الثنائية، فهو على العموم صاحب حديث لين وصوت عذب لكنه يبلغ أقصى درجات العنف حين يتطرق حديثه إلى الأزهر أو السياسة، وعلى نحو ما رأينا في قصة رسوب الدكتور طه حسين في العالمية فإن الشيخ جاويز كان هو الذي زين لطفه حسين الجهر بخصوصية الشيوخ وانتقاد سياستهم، وقد كان هذا هو دأبه على الدوام إذ كان يرى تحفظ هؤلاء الشيوخ مما يتعارض مع ثورته من أجل إيقاظ المجتمع ونهضته وعودة مجد الإسلام وعزته:

" وكان الفتى يختلف مع ذلك إلى الشيخ عبد العزيز جاويز رحمه الله، فيسمع له صوتاً عذباً وحديثاً ليناً رقيقاً، ويرى من وراء هذا اللين وتلك العذوبة عنفاً أيَّ عنف إن دُكرت السياسة، أو دُكر الأزهر وشيوخه، أو دُكر بعض الكتاب الظاهرين الذين لا يكتبون في صحف الحزب الوطني.

وكان يحبب العنف إلى الفتى ويرغبه فيه، وبزئ في قلبه الجهر بخصومة الشيوخ والنعي عليهم في غير تحفظ ولا احتياط. فهو كان يرى أنهم آفة هذا الوطن يحولون بينه وبين التقدم بما كانوا يلجئون فيه من المحافظة ويعينون عليه الظالمين بممالاتهم للخديو، ومصانعتهم للإنجليز.

### حديثه عن عداوة عبد العزيز جاويش لسعد زغول

يتطرق الدكتور طه حسين في سياق حديثه عن تلمذته أو ترده على الشيخ عبد العزيز جاويش إلى ما لمس به نفسه من مظاهر عداوة الشيخ عبد العزيز جاويش للزعيم سعد زغول باشا فيقول :

" وكان بُغضه لسعد زغول رحمه الله معروفاً يتحدث به الناس، هجاه بمقالاته المشهورة التي جعل عنوانها: " ظلموك يا سعد ، وهجاه هجاءً مُنكراً في بعض الشعر الذي لم ينشره؛ لأنه كان أعنف من أن يُنشر. وقد أنشدني قصيدة قالها في السجن، وقد بلغه أن سعداً قد يعود إلى الوزارة أو يصبح رئيساً لمجلس الوزراء، لم أحفظ منها إلا مطلعها وهو بَشِعَ كما ترى:

إنَّ صَحَّحَ ما أنهى الرواة لمسمعي      فلسوفَ تُصيحُ تحت حكم الأقرع

### تصوير الزيات تحريض الشيخ جاويش لطله حسين على المنفلوطي

كتب الأستاذ أحمد حسن الزيات في الرسالة ( ١٢ يوليو ١٩٣٧ ) مقالا عن مصطفى لطفي المنفلوطي بمناسبة ذكره الثالثة عشر فكشف فيه النقاب عن دور الشيخ عبد العزيز جاويش في تحريض الدكتور طه حسين على المنفلوطي على الرغم من الاعجاب البالغ الذي كان طه حسين والزيات معه يشعران به تجاه المنفلوطي واسلوبه ، ومن المفيد والمهم أن نقرأ هذا المقال بتأن شديد لأنه يصور لنا حقائق جوهريّة :

"كان في مستهل هذا العصر نفر من الأيفاع الخالصاء ينتقلون بين حلق الأزهر كما تنتقل النحل بين قطع الروض، لا يتشممون غير الزهر، ولا يتذوقون إلا الرحيق؛ وكانوا كالفراس رفاق الجسوم خفاف الأجنحة يتهافتون على أضواء النوايغ المعاصرين أينما تشع؛ وكانت الومضات الروحية الأخيرة للبارودي واليازجي ومحمد عبده وقاسم أمين ومصطفى كامل والشنقيطي قد التمعت إلتماعاً الموت لتتنطفئ كلها متعاقبة في العقد الأول من عقود هذا القرن، فهيات الأنفس والأذواق إلى أدب جديد كنا نفتقده فلا نجد؛ وكان إخواننا اللبنانيون في مصر وأمريكا قد فتحوا نوافذ الأدب العربي على الأدب الغربي فأرونا فنونا من القول وضروبا من الفن لا نعرفها في أدب العرب؛ ولكنها كانت في الكثير الأغلب سقيمة التراكيب مشوشة القوالب...."

"وحيث أن أشرق أسلوب المنفلوطي على وجه (المؤيد) إشراق البشاشة، وسطع في أندية الأدب سطوع العبير، ورن في أسماع الأدباء رنين النغم، ورأى القراء الأدباء في هذا الفن الجديد ما لم يروا في فقرات الجاحظ وسجعات البديع، وما لا يرون في غثاثة الصحافة وركاكة الترجمة، فأقبلوا عليه إقبال الهيم على المورد الوحيد العذب.

"وكان هذا نفر من الأيفاع المتأدبين يجلسون في أصائل أيامهم الغريرة أمام (الرواق العباسي) يتقارضون الأشعار، ويلهون بإغفال الناس، ويترقبون (مؤيد) الخميس ليقروا مقال المنفلوطي خماس وسداس وسباع، وطه مرهف أذنيه، ومحمود مسبل عينيه، وفلان مأخوذ بروعة الأسلوب فلا ينبس ولا يطرف. وكلهم يودون لو يعقدون أسبابهم بهذا المنفلوطي الذي اصطفاه الله لرسالة هذا الأدب البكر، وجعله الأمام المفتي تلميذه المختار؛ ولكن المنفلوطي كان في ذلك العهد الذي قرأناه فيه قد جاوز الثلاثين، فهو قليل الإلمام بالأزهر، لا يجلس إلى شيخ ولا يأوي إلى رواق؛ وكان قد هياً نفسه ليكون كاتباً لا (عالمًا) فلم يجعل همه لامتحان، ولم يشغل ذرعه بشهادة."

"وبعد سنتين نشر مختار ما دبح من فصوله في المؤيد في كتاب عنوانه بالنظرات، وكان قد حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش في مقاله "طبقات الكتاب" حكماً شديداً ورطه فيه على ما أظن صلته بالمؤيد وبالمغفور له سعد باشا زغلول، والشيخ جاويش يومئذ محرر اللواء، بعد مصطفى باشا كامل، ولطه به اتصال، فحرضه على أن ينقد "النظرات" فنقدتها ذلك النقد الغاضب الصاحب في ثلاثين مقالة ونيفا لم تدع سبيلاً إلى التعارف بيننا وبينه"

#### مسئولية الشيخ جاويش عن نقده للمنفلوطي

في سياق حديث الدكتور طه حسين عن أثر الشيخ عبد العزيز جاويش في شخصيته ومسار حياته فإنه يلقي على هذا المصلح العظيم بالمسئولية عما كان من إسرافه غير المبرر في الهجوم على ألمع كتاب هذا العصر، وهو موقف معروف في تاريخ الأدب، وإن كان بعض من ينسبون أنفسهم للدكتور طه حسين يحاولون افتعال مبررات موضوعية لهجوم طه حسين على المنفلوطي، لكنني أشهد أنني حين اطلعتهم على هذا النص لطه حسين كفوا عن تكرار ما كانوا يقولون به، وما كانوا يمارسونه من استعلاء على أسلوب المنفلوطي، ومما يسعدني أن أشير إليه أنني وجدت نصاً مشابهاً الأستاذ الزيات نقلته عنه في الفقرة السابقة :

"وعلى الشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله يقع نصيب غير قليل من ثقل تلك الفصول الطوال السمجة التي كتبها الفتى، فشغل به الأدباء والمثقفين حيناً، ثم لم ينقطع استخداؤه لها وضيقه بها وخجله منها كلما ذكرت له، وكان موضوعها نقد نظرات المنفلوطي رحمه الله، وكان عنوانها: نظرات في النظرات".

"قرأ الفتى الفصول الأولى من نظرات المنفلوطي راضياً عنها، مُعجباً بها، ثم لم يلبث أن سئمها وانصرف عنها. ولكنه لم يكذب يراها مجموعة في كتاب حتى ضاق بها أشد الضيق، وكتب يعيها ويغض منها. وفرح الشيخ عبد العزيز جاويش بما كتب الفتى أشد الفرح، واستزاده من الكتابة، وحرّضه عليها وألح في التحريض، حتى ألقى في روعه ألا يدع فصلاً من فصول المنفلوطي إلا اختصه بفصل من النقد.

"وكان الفتى قديم المذهب في الأدب لا ينظر منه إلا إلى اللفظ، ولا يحفل من اللفظ إلا بمكانه من معجمات اللغة، فكان عيب المنفلوطي عنده أنه يُخطئ في اللغة ويضع الألفاظ في غير

مواضعها، ويصطنع ألفاظاً لم تثبت في لسان العرب ولا في القاموس المحيط . وما أسرع ما انزلق الفتى من هذا النقد السخيف إلى طول اللسان وشيء من الشتم لم تكن بينه وبين النقد صلة. ولم ينس الفتى مقالاً دفعه ذات مساء إلى الشيخ عبد العزيز جاويش، فلم يكذب يقرأ أوله حتى طرب له وأبى إلا أن يقرأه بصوته العذب على من يحضر مجلسه ذلك، وابتهج الفتى حين سمع الثناء، وأحس بالإعجاب، واستيقن أنه أصبح كاتباً ممتازاً"

" ثم لم يذكر بعد ذلك أول هذا المقال حتى طأطأ من رأسه ومن نفسه، وسأل الله أن يتيح له التكفير عن ذنبه ذلك العظيم، وكان أول المقال: عمّ صباحاً أو مساءً، واشرب هواءً أو ماء، واستأجر من تشاء لما تشاء فقد وضح الحق وبرح الخفاء ."

ويصل الامر بالدكتور طه حسين في إظهار انقياده لأستاذه الى ان يقول ان بعض تبعه هذا السخف يعود على الشيخ جاويش :

"كان بعض تَبِعَةِ هذا السخف يقع على الشيخ عبد العزيز جاويش"

#### **فضله في إقناعه بالسفر الى أوروبا**

حرص الدكتور طه حسين على أن ينسب إلى الشيخ عبد العزيز جاويش الفضل في تعلقه بالسفر إلى أوروبا ، حين كان يتولى تشكيل شخصيته :

" ولكن للشيخ عبد العزيز جاويش فضلاً على الفتى أي فضل، فهو الذي ألقى في روح الفتى فكرة السفر إلى أوروبا حين قال له ذات يوم: لا بدّ من أن نصنع شيئاً لإرسالك إلى فرنسا عامين أو ثلاثة أعوام. لم يكذب الفتى يسمع هذه الألفاظ حتى استقرّ في نفسه أن ليس له بدّ من عبور البحر على أي نحو من الأنحاء"

#### **الشيخ جاويش جعل الجامعة وسيلة له بعد أن كانت غاية**

وفي موضع تالٍ يصور الدكتور طه حسين التحول الذي أحدثه للشيخ عبد العزيز جاويش في حياته تصويراً ذرائعياً حيث يقول إن الجامعة تحولت إلى وسيلة بعد أن كانت في حد ذاتها غاية :

" ..... ومنذ ذلك الوقت أصبحت الجامعة بالقياس إليه وسيلة بعد أن كانت غاية، فقد ألقى الشيخ عبد العزيز جاويش في رُوعه فكرة السفر إلى أوروبا، وإلى فرنسا خاصة، فما له لا يفكر في هذا السفر؟ وما يمنعه أن يبتغي إليه الوسيلة؟ والغريب أن هذه الفكرة ما زجت نفسه، وأصبحت جزءاً من حياته، وجعل ينظر إليها لا على أنها حلم يداعبه نائماً أو يقظان، بل على أنها حقيقة يجب أن تكون. وأغرب من هذا أن الفتى جعل يتحدث بسفره إلى أوروبا كما يتحدث الإنسان عن أمر قد صحّت عزمته عليه، وقد تهيأت له أسبابه. وكان يتحدث إلى إخوته وإلى أخواته إذا أقبل الصيف بسفره إلى أوروبا قريباً، وكان يغيب أخواته بأنه سيقوم في أوروبا أعواماً، ثم يعود منها وقد اختار لنفسه زوجاً فرنسية متعلّمة مثقفة تحيا حياة راقية ممتازة، ليست جاهلة مثلهن، ولا غافلة مثلهن،

ولا غارقة في الحياة الخسنة الغليظة مثلهن، وكان أخواته يتضحكن حين يسمعن منه هذا الحديث وربما أضحكن به أمّ الفتى وأباه. وكان الفتى يقول لهن: اضحكن اليوم فسترين غداً!

### الشيخ جاويش هو الذي قدمه للناس شاعراً

يحرص الدكتور طه حسين حرصاً غريباً على أن يصور مكانته هو نفسه في نهر الشعر العربي مرتبطة بما كان يقدمه به الشيخ جاويش للمجتمع، وكأنه لا يرى لشعره الذي كف عن نظمه، ولم يعد إليه إطاراً غير هذا الإطار الاجتماعي والأدبي الذي مكنه من قدر من الشهرة والمكانة في المجتمع الثقافي في تلك المرحلة المبكرة:

" على أن فضل الشيخ عبد العزيز جاويش على الفتى لم يقف عند هذا الحد، وإنما تجاوزه فأمعن في تجاوزه، فهو الذي عرّف الفتى إلى جماهير الناس ووقّفه بين أيديهم ذات صباح مُنشداً للشعر، كما كان يفعل الشعراء المعروفون، وحافظٌ منهم خاصة، في بعض المناسبات العامة. كان الناس قد ألقوا الاحتفال برأس العام الهجري كلما انقضى عام هجري، وأقبل عام جديد. وكان الشيخ عبد العزيز جاويش يحرص على أن يكون للحزب الوطني احتفاله بهذا اليوم، فأقام حفلة ذات عام في مدرسة مصطفى كامل، واحتشد لهذا الحفل عدد ضخم من الناس شباباً وكهولاً وشيباً، وكان الفتى قد أنشأ فيما بينه وبين نفسه قصيدة يستقبل بها عيد الهجرة، وأنشدها أمام الشيخ عبد العزيز جاويش، فرضي عنها وحثّه على أن يقول أمثالها.

" فلما كان هذا الحفل شهده الفتى مع الشاهدين، ولكنه لم يكذب يتخذ مكانه بين الناس، حتى أقبل من أخذ بيده وأجلسه على المنصة. ولم يقدر الفتى في نفسه إلا أن الشيخ عبد العزيز جاويش قد أراد أن يرفق به ويتلطّف له ويُقرّبه من مجلسه، فرضي عن ذلك كل الرضا، وعدّه فضلاً من الشيخ عظيمًا، وألقبت الخطب وصقّ المصفقون"

" ولم يرع الفتى إلا أن سمع اسمه يعلن إلى الناس، ورأى نفسه يُدعى إلى إنشاد قصيدته العصماء! فلبث في مكانه جامداً واجماً لا يدري ماذا يصنع، ولا يعرف كيف يقول، وأقبل من أخذ بيده، وهمّ الفتى أن يمتنع حياءً وخجلاً، ولكن الذي أخذ بيده جذباً شديداً وجعل الذين من حوله يدفعونه وينهضونه حتى أنهضوه وجروه جرّاً إلى المائدة.

واستقبل الفتى بتصفيق شديد منحه قوة وجرأة، فأنشد قصيدته في صوت ثابت ممتلئ، ولكنه لم يكن يستقر في موقفه، وإنما كان جسمه يرتعد ارتعاداً، واستقبلت قصيدته أحسن استقبال وأروعها حتى خُيّل إلى الفتى أنه قد أصبح حافظاً أو قريباً من حافظ.

" ثم مرّت الأعوام وتبعتها الأعوام، واختلفت على الشيخ وعلى الفتى خطوب أيّ خطوب، وتعاقبت أحداث في مصر أيّ أحداث! وجلس الفتى ذات مساء إلى صديق له كريم، وقد جاوز الفتى سنّ الشباب والكهولة، وأخذ في ذكر الصبا وأيام الطلب، وأنسيّ الشيخُ شبابه وصباه وشُغل عن حياته الماضية، وأعرض عن الشعر كلّ الإعراض بعد أن استبان له أنه لم يقل الشعر قط، وإنما قال سخفاً كثيراً. وإذا الصديق الكريم يذكره بموقفه ذلك في مدرسة مصطفى كامل وإنشاده

قصيدته تلك، ويذكر له مطلع تلك القصيدة، فيرثي الشيخ لما أضع من شبابه وما أنفق من جهده في غير طائل ولا غناء.

### الشيخ جاويش هو الذي علّمه الكتابة في المجالات

وعلى النهج نفسه يتحدث الدكتور طه حسين عن فضل الشيخ عبد العزيز جاويش في حصوله على ما حصل عليه من مكانة في الصحافة :

" ثم لم يقف الشيخ عبد العزيز جاويش بالفتى عند هذا الحدّ، ولكنه علّمه الكتابة في المجالات؛ فقد أنشأ مجلة "الهداية" ، وطلب إلى الفتى أن يشارك في تحريرها، ثم ترك له — أو كاد يترك له — الإشراف على هذا التحرير، وكان له الفضل كل الفضل فيما تعلم الفتى من إعداد الصحف وتنسيق ما ينشر فيها من فصول.

"ولم تخل "الهداية" من جدال عنيف دُفع إليه الفتى دفعًا، وكان خصمه الشيخ رشيد رضا، وقد أسرف الفتى على نفسه وعلى الشيخ رشيد في ذلك الجدل، وكتب أحاديث استحى منها فيما بعد حين ذكرت له، ولكن الشيخ عبد العزيز كان عنها راضيًا وبها كلفًا، وقد أجاز نشرها وشجّع الفتى على المضيفيها. كان يمقت من الشيخ رشيد ممالأته للخديو وانحرافه عن طريق الأستاذ الإمام، وما دُفع إليه من إعجاب بنفسه واغترار بثناء الناس عليه وإعجابهم به.

### الشيخ جاويش هو الذي أتاح له الأستاذية في المدرسة

و يصل امتتان الدكتور طه حسين إلى قمته حين يتحدث عن فضل الشيخ عبد العزيز جاويش في حصوله على ما حصل عليه من مكانة في مهنة الأستاذية بمعناها الواسع :

" ثم أضاف الشيخ إلى كل هذا الفضل فضلًا آخر وقع من نفس الفتى موقع الماء "من ذي الغلّة الصادي" أرضاه عن بعض حاله، وأكبره في نفسه شيئًا، وأشعره بأن قد أتيج له أن يجلس مجلس المعلم، وأن يكون له تلاميذ كثيرون بعد أن حال الأزهر بينه وبين ذلك.

" فقد أنشأ الشيخ عبد العزيز جاويش مدرسة ثانوية كما أنشأ مصطفى كامل مدرسة، وكلف الفتى أن يعلم فيها الأدب على ألا ينتظر على ذلك أجرًا؛ فالمدرسة عمل وطني لا أجر عليه لمن يُشارك فيه. ولم يكن الشيخ يفيد من هذه المدرسة شيئًا، وربما أنفق عليها من رزقه وكلف نفسه في سبيل ذلك شيئًا من الحرمان، وربما ألحّ على بعض الأغنياء وأوساط الناس حتى استكرههم على أن يُعينوه على نفقاتها ببعض المال. وقد أقبل الفتى على تعليمه ذاك فرحًا به مبتهجًا له، يرى فيه شفاء لغيظه من الأزهر، ويرى فيه مع ذلك مشاركة في بعض الخير.

"ثم لم يلبث هذا كله أن انقطع فجأة، صُرف الشيخ عنه بأحداث السياسة، ثم اضطر إلى أن يهاجر من مصر على غير انتظار لهجرته، ولم يره الفتى منذ ودعهم ليلة سفره إلا بعد أعوام طوال، بعد أن عاد عودته تلك، فقد سافر من مصر فجأة، وعلى غير علم من أهلها، وعاد إلى مصر فجأة، وعلى غير علم من أهلها أيضًا".



### فضل الشيخ جاويش في تعلمه الفرنسية

بل إننا نرى الدكتور طه حسين يتحدث بما قد لا نتصوره من فضل الشيخ عبد العزيز جاويش أيضا في تعلمه اللغة الفرنسية:

" كان أول عهد الفتى بدرس اللغة الفرنسية أن حدّثه بعض صديقه من الأزهريين بأن مدرسة مسائية أنشئت في مكان قريب من الأزهر، تدرس فيها هذه اللغة لمن يريد أن يتعلمها من المجاورين.

" وكان للشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله يدٌ في إنشاء هذه المدرسة لم يحققها الفتى تحقيقاً واضحاً، ولكنه ذهب إلى المدرسة فيمن ذهب إليها من الطلاب، وسمع الدرس الأول من دروسها، ألقاه كهل مصري كان يحسن أن يلوي لسانه في النطق بالحروف، وكان الفتى يبهره هذا النطق

### مجمل فضل الشيخ جاويش عليه

وليس أبلغ في تصويرنا لهذه العلاقة الفريدة بين هذين العلمين من أن ننقل عن طه حسين هذا القول الموجز :

" وهو على كل حال قد أعان الفتى على الخروج من بيئته تلك المغلقة إلى الحياة العامة، وعلى أن يكون له اسمٌ معروف. ومثل ذلك فعل الأستاذ أحمد لطفى السيد؛ فعرف الفتى إلى كثيرين من الذين كانوا يُلْمُونَ بمكتبه في الجريدة من الشيوخ والشباب.

### قوة شخصيته وعقيدته

روي أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي قصة تتم عما كان الشيخ عبد العزيز جاويش يتمتع به من قوة الشخصية، وقوة العقيدة، والعمل لأجلهما دون خوف أو وجل:

" جاء بعض المستشرقين .... إلي القاهرة، فاحتفلت به الدوائر الرسمية احتفالاً رناناً، وأسهب الجرائد في تعداد مآثره، وما حقق من كتب، وما نشر من موسوعات ، وأقيمت في إحدى دور العلم الكبيرة حفلة لاستقباله شهدها جمهور من ذوي الثقافة، وفيهم من لا يزالون يسبحون بحمد المستشرقين، ويفرحون بما يرجفون به من مقتريات، ليذيعوها على الناس في مؤلفات تحمل أسماءهم دون حياء، وما حان موعد الاحتفال حتي نهض وزير المعارف يكرم المستشرق الزائر، ويفتح الكلام عن مزاياه ومواهبه ، وكان من المتوقع أن يتوالى الأساتذة الجامعيون ومن يلف لفهم على منصة الخطابة ليصلوا بالتثناء إلي منتهاه، ولكن الجمهور فوجئ بالأستاذ جاويش بقامته الممتدة، وجمامته العالية، وعباءته الفضفاضة، وعصاه الممتلئة بعنلي المنصة، مقمما نفسه، بعد أن انتهى الوزير من كلمته، ثم يرسل عينيه المتألئتين فتومضان ببريق يمتد إلي ثناياه اللامعة، ويدور حول لحيته السوداء ذات المشهد الوقور، وبيئدئ الحديث بحمد الله ثم يقول ما معناه: إن كلمة وزير المعارف تدل على أنه لم يقرأ شيئاً عن هذا المستشرق الذي تكرمونه، إذ أن المؤلفات التي تحدث عنها الوزير، وسيتحدث عنها بالطبع من أعدوا أنفسهم للكلام، ليست إلا طعنات مسمومة للفكرة الإسلامية، وقد قرأتها أثناء إقامتي بإنجلترا، وناقشت صاحبها فلم أجده يخطئ إلا

عن عمد، فهو يدري الصواب، ويتجنبه، ثم يلتمس أو هي الروايات ليبنى عليها ما يروق من التدلّيس والافتراء! ولو كان لدينا وعي ثقافي لكرمنا الرجل كضيف فقط، لا كمؤلف علامة بحّاث؟.

"قال الأستاذ جاويش ذلك، فارتج الحفل ارتجاجا، واضطرب الوزير اضطراب المحرج المأخوذ، وتساقط عرق الخزي على وجوه من أعدوا أنفسهم للكلام، وزاد الموقف خطورة حين وقف النائب الباسل، والمسلم العربي الشهم عبد الحميد سعيد رئيس جمعيات الشبان المسلمين، فأعلن إنهاء الحفل، وأشار للمستمعين فتسللوا منصرفين، بينما جأر الأستاذ جاويش يصيح: يا للمذلة.. أوصل الانهيار بالمسلمين إلي حد يجعلهم يقيمون حفلات التكريم لمن يصم دينهم بالتوحش، والغلظة، والشهوة، والاستعباد! ثم يكون رئيس الاحتفال وزير المعارف، ومتكلموه أساتذة الجامعة في عاصمة الإسلام."

### من كلمة الشيخ جاويش أمام جثمان الزعيم محمد فريد في ألمانيا

" إذا كانت حياة الرجال أيها السادة خيرا للأمم التي يخدمونها فكم منهم من أفاد بمماته بمقدار ما أفاد بحياته، ليس فريد بتلك الجثة الهامدة والنسمة الجامدة، وإنما هو تلك النفس الأبية، والقذوة الصالحة، والذكرى الطيبة التي سيجدها بلى الأيام. ويوالي نشرها انطواء العصور والأجيال، فطوبى لمن سن سنة حسنة وطوبى ثم طوبى لمن اقتدى بالعاملين " .

" أمام جثة هامدة، وميت لا يعي نحن واقفون؟ كلا ثم كلا؟

" إنما نحن وقوف أمام صفحات من تاريخ الجهاد الأكبر في سبيل الحرية البشرية، في سبيل الذود عن الحقوق الطبيعية للشعوب الإنسانية في سبيل مصارعة الأمم القوية ذات المطامع الأشعبية.

" نحن وقوف أمام هذا الرجل الكبير، الذي كانت حياته مثالا كاملا للمتشبثين، وقذوة صالحة للعاملين فيها هي ذي تلك الصفحات الناصعة ترينا كيف جمع فقيدنا العزيز إلى جانب صلابة العزم جهادا لا يوهنه الملل ولا يوهيه الكلال، كما ضم إلى الصراحة البالغة في كتابته وكلامه إقداما يستهزئ بالغوائل ويسخر من كارثات النوازل"

" لقد رأيناه يرحمه الله يوم ساقه الإنجليز إلى السجن بمصر فما كان حينذاك أقل ابتساما منه يوم فارقه بعد ستة أشهر كاملة قضاها في غيابه وظلماته. وضيق الإنجليز المذاهب على فقيدنا، وأخذوا الأبواب والمسالك على قلمه ولسانه، فلم ير بدّا من مفارقة وطنه وأولاده وعشيرته، إذ خرج يلتمس فضاء يسع صيحاته التي ضاق عنها فضاء بلده ووقرت دونها آذان أعدائه.

" جاهد رئيس الحزب الوطني في سبيل تحرير بلاده، وكان يرجو ألا تعاجله منيّه قبل أن يراها خالية من ظل الجبايرة المغتصبين، فكنا نخشى وقد سارعت إليه المنون أن يحزنه حرمانه من نيل أمنيته واكتحال عيونه بشمس الاستقلال والحرية، مشرقة على ربوع وطنه العزيز، ولكننا رأيناه، رحمه الله، قبيل وفاته قرير العين، مشروح الصدر إذ أبصر كيف تشيد أمته النجيبة على

ما أقامه هو وسلفه الصالح مصطفى كامل باشا من الدعائم المتينة، وصرح الحرية والاستقلال، ذلك الصرح الذي سيعانق يوماً ما الأهرام ويدوم ما تعاقب الجديان (الليل والنهار) " والآن نستودعك الله أيها الرئيس المحبوب، فم مغموراً برحمة الله وإحسانه، مزوداً من أمتك بالدعوات الصالحة والذكرى العطرة والحب الدائم والسلام عليك ورحمة الله.

### توجهاته في السياسة الخارجية ومقاله السنوي

كان الشيخ عبد العزيز جاويش واعياً لمكانة مصر في العالم الإسلامي، ولمكانة الإسلام في الصراعات الدولية، وكان قادراً على استشراف اتجاهات السياسة العالمية، وحقيقة الأطماع الاستعمارية.

ويروي الدكتور محمد رجب البيومي أنه كان من عادة الشيخ جاويش أن يكتب في مبتدأ كل عام هجري مقالته السنوية الرنانة "العالم الإسلامي في عام"، فيتتبع أهم ما وقع في السنة المنصرمة من أحداث، ويذكر أسباب المحن المتوالية على الشرق المستضعف، ويحذر مما ينتظر أن تتمخض عنه الأيام من محن متشابهة تظهر مقدماتها الهائلة لتعلن قرب النتيجة الكريهة، ثم يسرد آراءه في مواجهة هذه الصعاب، وسنلخص عناصر إحدى مقالاته حتى يري القارئ كيف كان عبد العزيز جاويش ينظر من أفقه الواسع إلى تيار الأحداث.

كتب جاويش بالجزء الثاني عشر من مجلة الهداية في مطلع عام ١٣٢٩ هـ يتحدث عن السنة الماضية، فيستعرض هذه الوقائع التي نشير إلى عناصرها فقط تجنباً للإسهاب:

- عقد المحالفة البغيضة بين إسبانيا ومراكش بضغط إنجلترا لاحتلال الريف.
- فرنسا ترسل جيوشها إلى الدار البيضاء بدعوى تأييد السلام.
- معاهدة إنجلترا وفرنسا السرية لاقتسام الأسلاب.
- انقراض إيطاليا الباغية على طرابلس الغرب واحتلال البلاد الليبية.
- مساعدة إنجلترا لكل دولة صليبية تحتل بعض ديار الإسلام.
- عقد معاهدة بين إنجلترا وروسيا لتقسيم البلاد الفارسية إلى مناطق خاضعة للنفوذ الغربي.
- واجب المسلمين في كل مكان نحو هذه النكبات.

### اتهامه المفبرك بالتعصب

نعرف أن البريطانيين كانوا يجيدون الإيقاع بين كل زعيم وطني، وبين بعض الطوائف من شعبه، وقد مارسوا هذه اللعبة الخطرة مع الشيخ عبد العزيز جاويش الذي كان اسمه وزيه وسمته يوحى بالتمسك بالهوية الإسلامية، فزوجوا كل ما هو ممكن وغير ممكن للإيقاع بينه وبين الأقباط، ومما يؤسف له أن بعض الوطنيين المختلفين مع الشيخ استثمروا هذه اللعبة البريطانية الكلاسيكية، إلى أقصى حد حتى إنهم لا يزالون ينسبون إلى عبد العزيز جاويش، زوراً وبهتاناً، أنه قاد تيار التعصب ضد الأقباط المصريين في الحزب الوطني.

وحقيقة الأمر تختلف تماما عما هو شائع ، و على سبيل المثال فإن الشيخ عبد العزيز جاويش كتب مقالاً حمل فيه على بريطانيا وقال إن البريطانيين لو حكموا مصر بدلاً من المسلمين لفعّلوا في الأقباط كذا وكذا.. لكن خصومه وخصوم الحزب الوطني استغلوا هذا الخطاب، وتعمدوا نسبة هذا الذي وصفه جاويش من سلوك البريطانيين إليه هو لا إلي البريطانيين.. أما في واقع الأمر فقد تم احتواء الموقف بسرعة وحضر جاويش احتفالاً في الكنيسة وألقى في خطابه بما عبر به عن وجهة نظره كاملة ، وعن سعادته بالفرصة التي أتاحت له للتعبير عن حقيقة آرائه، وحضر هذا الاحتفال عدد كبير من رجال الدين المسيحي.

ومع هذا فلا يزال الاستسهال يغلب على الذين يريدون تصوير قدرتهم المصطنعة في الاطلاع الواسع على اختلافات واتجاهات سياسية مبكرة، وقد وصل الأمر في هذا إلي حد أن يقال إن عبد العزيز جاويش كان يكرر عبارات قاسية في مخاطبة الأقباط وهو أمر مستبعد حتى في أدبيات وشكليات الحوار في ذلك الوقت.

#### رد الشيخ عبد العزيز جاويش على اتهام صحيفة الجازيت

رد الشيخ عبد العزيز جاويش في حياته على اتهام صحيفة الجازيت له بالتعصب فقال:  
"نصحني المستر دنلوب أيام سافرت إلي أكسفورد، أن أقتدي بما أراه من الأخلاق الفاضلة في هذه الأمة العظيمة فماذا جري؟ ذهبت إلي تلك الديار، فوجدت الناس متمسكين بدينهم، فزادني تمسكا بديني. رأيتهم شديدي الحرص على لغتهم، فزادني حرصا على لغتي. أبصرتهم يتفانون في الدفاع عن بلادهم، ويحرمون على الأجانب الاستيلاء على بعض شئونهم، أو التصرف في أموالهم ورقابهم، فأخذت أحاكيمهم في هذه البلاد السيئة الحظ بالاحتلال وأشياعه، ورأيتهم يحبون الصراحة... ولا يتهيبون متعبة مادام الحق لهم، فأخذت أحاكيمهم في تلك الفضائل التي نصح بها إلي عمادهم بنظارة المعارف العمومية (المستشار البريطاني لوزارة المعارف). أبصرتهم يحبون العمل، ويكرهون الكسل، ويحضون على الفضيلة، فعدت إلي بلادي، ثم صرت أشتغل بهمة لا تعرف الملل، ولا الانقطاع."

#### رواية الشيخ محمد رشيد رضا عن تحرش القبط به

كتب الشيخ محمد رشيد رضا مقالا طويلا في مجلة المنار لخص فيه قصة تحرش الأقباط بالشيخ عبد العزيز جاويش فقال :

" لم تكذ تفر شقشقة أحمد زكي بك من دعوة المسلمين في جمعية الرابطة المسيحية إلى توثيق عقد الأخوة بينهم وبين القبط ، ويقنعهم بالأدلة الدينية والتاريخية أن الإسلام في هديه وسيرة سلفه يوجب عليهم المودة للقبط ، حتى قام بعض الكتاب من القبط يكتبون في بعض الجرائد القبطية وغيرها أن حقوقهم مهضومة بين المسلمين، وأنهم يطلبون المساواة بتعيين المديرين وأموري المراكز منهم، فوافقهم جرائد المسلمين الكبرى في مطالبهم، فلم يقنعهم ذلك، بل تمادوا في الكتابة حتى جعلوا أنفسهم أصحاب البلاد، وجعلوا المسلمين من قبيل المحتلين بغير حق، وأغلظوا القول

للواء والحزب الوطني، فكتب الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير جريدة اللواء قولاً ثقيلاً في الرد على بعض كتابهم سخر فيه منهم، وهزئ بهم، وافتخر عليهم، فكان ذلك جل ما يبغون من حركتهم الجديدة."

### **العقاد يتحدث عن الشيخ عبد العزيز جاويش باستعلاء وفدي مفهوم**

في بدايات حديثنا عن الشيخ عبد العزيز جاويش ذكرنا رأي الأستاذ العقاد المقارن بين الشيخ جاويش وأقرانه من تلاميذ الشيخ محمد عبده ، و قد جاء الأوان الآن لتنتأمل فيما رواه الأستاذ العقاد في كتابه رجال عرفتهم عن بعض ذكرياته العابرة عن الشيخ عبد العزيز جاويش وما اعتبره تقلباته من دون أن يعنى بالحديث عن فضله أو أمجاده ، والسبب معروف بالطبع وهو كما أشرنا الشعور الوفدي بالاستعلاء على الشيخ ، وبأن الوفد في رأي العقاد قد تجاوز أفكار الشيخ التي لم تعد صالحة لذلك العهد الذي تولى الوفد فيه قيادة الحركة الوطنية :

" ..... ثم استقال الشيخ من وظيفته بوزارة المعارف، بعد إنشاء مدرسة القضاء الشرعي وإسناد نظارتها إلى المربي الكبير عاطف بركات بك، وأخذ في حملته على وزارة المعارف على النحو الذي يذكره قراء اللواء في تلك الأيام.

" وحضرنا يوماً إلى مكتب الصحافة بوزارة الداخلية، فسألنا موظف فيه: هل صحيح أن الشيخ جاويش اعتزل عمله في تحرير اللواء؟ فقال زميل صحفي: إن صحيفة الوطن قد نشرت الخبر. وقال زميل آخر: إني أشك في صحة الخبر. وقلنا جميعاً: إن دار اللواء قريبة، والسؤال هناك أيسر من الشك بغير دليل. ودخلنا مكتب الشيخ فوجدناه فيه، وتبين من الكلمة الأولى أن الخبر غير صحيح، ثم مضى الشيخ في كلامه من التعليق على صحيفة الوطن إلى تعليق على الصحف عامة، وعلى السياسة والأحزاب، ثم إلى الكلام عن حرية الصحافة وحرية الزعماء السياسيين. وجلست أسمع وأنا أعجب لرجل يفهم الوطنية المصرية في نهضة المطالبة بالاستقلال، ثم ازداد عجبي حين قدم للمحاكمة، فكان دفاعه الأول أنه غير مصري؛ لأنه ينتمي إلى أسرة تونسية، وتونس خاضعة للحماية الفرنسية".

" ثم ازداد العجب حين سافر إلى الأستانة وأنشأ فيها صحيفة الهلال العثماني؛ لينشر بها دعوته السياسية على الوجه الذي كان يفهمه ولم يعدل عنه بقية حياته، وبلغ غايته حين علمنا أنه أنشأ في الأستانة حزب الوطن العثماني؛ ليعارض به حزب محمد فريد، الذي جعل شعاره مصر للمصريين. وكانت صحيفة الهلال العثماني تصل إلينا سراً في فترات متقطعة، فكنت أسأل نفسي: هل بلغ من يقين الشيخ بمذهبه في الوطنية أن يفترض قبوله على كل مصري يسمع باسمه من بعيد؟ "

" وعدنا إلى زي الشيخ حين سمعنا نبأ الحملة التركية على هذه البلاد، فقد قيل يومئذ إن كسوة المشيخة الإسلامية كانت في حقيبة الشيخ، وإنه قد حيل بينه وبين مصاحبته الحملة في اللحظة الأخيرة لامتعاض شيخ الإسلام هناك من حركاته حول مصر والحجاز".

## آثاره

- أثر القرآن الكريم في تحرير الفكر البشري.
- خواطر في التربية والسياسة، وأبحاث عن المرأة المصرية والشئون العامة.
- غنية المؤدبين في الطرق الحديثة للتربية والتعليم.
- الإسلام دين الفطرة.
- أسرار القرآن.

## أبرز الكتب عنه

نشرت سلسلة أعلام العرب كتابا عن حياة عبد العزيز جاويش بقلم الأستاذ أنور الجندي تحت عنوان عبد العزيز جاويش من رواد التربية والتعليم والصحافة والاجتماع ، وكتب عنه الأستاذ حسن الشبخة في سلسلة الألف كتاب ١٩٦١ كتابه: "عبد العزيز جاويش "

## أبرز الفصول والدراسات عنه

كتب عنه الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه رجال عرفتهم ، والدكتور محمد رجب البيومي في كتابه النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين. و الأستاذ أحمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي، والدكتور طه حسين في الأيام ، و الدكتور محمد حسين في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، والأستاذ على عبد العظيم في مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتي الآن ، و الأستاذ فتحي رضوان في أكثر من كتاب من كتبه ، كما كتب عنه مؤلف سيرته الأستاذ حسن الشبخة في كتابه "أقلام ثائرة" ، و الأستاذ صلاح زكي أحمد في "أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث.

## نقل جثمانه

قلنا إن الشيخ عبد العزيز جاويش وصل إلى الصف الأول في زعامة الحزب الوطني القديم حتى كان بمثابة ثالث زعمائه بعد مصطفى كامل ومحمد فريد، وبهذه الصفة نقلت ثورة ١٩٥٢ جثمانه إلى جوار جثمانى الزعيمين الكبيرين في المقبرة التي بنتها في ميدان القلعة، وبقي جثمانه هناك إلى أن قبل النظام الناصري المساومة بنقل هذا الجثمان من جوار الزعيمين الكبيرين في مقابل مكسب ضئيل.

## رثاء الشعراء الكبار له

ليس أدل على أن رجال الوطنية والثقافة كانوا واعين بفطرتهم السليمة إلي خطورة دور جاويش في النهضة الوطنية، مما سجله أفاض الشعراء في رثائه مما لم يسجل في رثاء غيره، وقد رثاه أحمد شوقي، وخليل مطران، وأحمد محرم، ومحمد عبد المطلب، وعلى الجارم، وشكيب أرسلان.

## رثاء أمير الشعراء

وعلى سبيل المثال فقد تبني أحمد شوقي الدفاع عن دعوة جاويش إلي تقوية الرابطة بين الشعوب الإسلامية فقال في رثائه:

لقد نسي القوم أمس القريب  
يقولون ما (لأبي ناصر)  
وفيم تحمل هم القريب  
فقلت وما ضرّكم أن يقوم  
أنتستكثرون لهم واحدا  
يشد عرا الدين في داره  
وللقوم حتي وراء القفار

### قصيدة الشاعر علي الجارم في رثاء الشيخ عبد العزيز جاويش

يبدأ الشاعر علي الجارم قصيدته في رثاء الشيخ عبد العزيز جاويش بداية في غاية التوفيق فهو يتساءل كيف يكون رثاؤه، أيكون بدموع العيون (كالعادة) أم أنه أحق بأن يكون بدماء القلوب؟ ويمضي الجارم معبراً عن اللوعة بسماع خبر فقدان الشيخ جاويش مصوراً هذه اللوعة على نحو ما أحست بها جوارحه، فقد كان صوت الناعي شبيها بالصوت المفرغ الرهيب في الظلام، طير العقل ولم يجعل المستمع قادراً على سماع شيء غير النحيب، وقد حدثته نفسه بالشك فقد كان الشك هو مصدر الأمن والراحة لأن اليقين كان مريباً، ومع هذا فإن الشك لم يفد، وها هو يطلب الحنان من هذه الخطوب المتتالية التي جعلت جسد الأمة حافلاً بالندوب فوق الندوب، والعبرات بعد العبرات، والشعوب بعد الشعوب، ونلاحظ أن الشاعر يحيي استخدام هذه الكلمة التي تتوافق مع قافيته التي اختارها لهذه القصيدة .

و يقول الشاعر علي الجارم إن الأمة أصبحت تتداوى من اللهب باللهب، وتمسح الدمع لتعود لمثله، فإذا مضى الزمن أنساها فقد أريب جديد فقد الأريب السابق في رحيله، وهو لهذا كله يطلب من الناعي أن يتند في نعيه لمن تفقدهم الأمة، معاوداً رغبته في الشك الذي يمثل له راحة .  
و يعود الشاعر علي الجارم إلى استخدام تعبير حنانك التي افتتح بها البيت الخامس ليفتح بها البيت الثاني عشر معبراً عن الألم بفقدان الكريم وفراق الحبيب ذلك أن فراق هذا المرثي صعب لأنه لا نظير له، والحزن عليه بالغ.

١. دُموعُ عيونٍ أم دماءُ قلوبٍ
  ٢. نعاها لنا الناعي فأفزع مثلما
  ٣. فقلنا أين رُحماك طارت عقولنا
  ٤. شككنا وكان الشكُّ أمناً وراحةً
  ٥. حنانك إنا أمهٌ هدّ ركنها
  ٦. إذا كَشَفَتْ عنها القميصَ بدتْ بها
  ٧. وإن أرسلتْ في ذِمّةِ الله عبْرَةً
  ٨. دَهْنُهَا الليلي في سواه ولا أرى
- على راحلِ نائي المزارِ قريب  
ثُراعُ بصوتٍ في الظلامِ رهيب  
فلم نستمع من فيك غيرَ نعيب  
وكم من يقينٍ في الحياة مُريب  
صراعُ ليالٍ واصطلاحُ خطوب  
نُدوبٌ لطنينِ الدهرِ فوق نُدوب  
على ابنِ سُرَى حامي الدمارِ وثوب  
شعوباً لهذا الناس مثل شعوب

- ٩ . تَدَاوَى مِنَ الْإِعْوَالِ بِالْبَيْتِ وَالْبُكَاءِ  
 ١٠ . وَتَمَسَّحُ دَمْعاً كِي تَجُودَ بِمِثْلِهِ  
 ١١ . فَيَأْتِيهَا النَّاعِي إِذَا قُلْتَ فَاتْنِدُ  
 ١٢ . حَنَانِكَ قُلْ مَا شِئْتَ إِلَّا فَجِيعَةً  
 ١٣ . فَقَالَ قَضَى قُلْنَا قَضَى حَاجَةَ الْعُلَاءِ

ويصل الشاعر علي الجارم في البيت الرابع عشر إلى قمة من قمم التصوير المعبر في شعره حين يتحدث عن النشيج واصفا الحالة التي يصل فيها الحزن إلى اجتماع حالة انفعالية شديدة الوطأة تتمثل في ثلاثية النشيج والنحيب واعتلاج الضلوع معاً

- ١٤ . فَهَزَّ اعْتِلاجُ الْحُزْنِ أَضْلاعَ صَدْرِهِ وَأَخْفَى نَشِيجاً تَحْتَ طِيِّ نَجِيبِ

ثم يروي الشاعر علي الجارم ما قاله الناعي وانطباعه الأسف لما قاله الناعي حتى إنه يعتبر مُصابه أكبر مصاب ، فقد كان يرى في الشيخ عبد العزيز جاويش الإمام، ويرى في غيابه غياب الشمس وغياب معين الرحمة والارتواء :

- ١٥ . وَقَالَ قَضَى عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَمْ يَكُنْ  
 ١٦ . فَوَاحِسِرَتَا مَاتِ الْإِمَامُ وَلَمْ تَكُنْ  
 ١٧ . وَغَاضَ مَعِينٌ كَانَ رِيّاً وَرَحْمَةً  
 نصيبُ إِمْرئِ فِي الرُّزْءِ فَوْقَ نَصِيبِي  
 نِهَائِيَهُ هَذِي الشَّمْسُ غَيْرَ مَغِيبِي  
 وَكُلُّ مَعِينٍ صَائِرٌ لِنُضُوبِ

ثم يبدأ الشاعر علي الجارم في تعداد مناقب الشيخ عبد العزيز جاويش، فهو مفسر القرآن الذي يلحح النور البياني في القرآن الكريم ، وهو المدافع عن دين الإسلام بعزم صلب، وهو الخطيب الأول الذي يعد خير خطيب وهو الرائد الذي جاب الأفاق من أجل دعوة الخير، وهو الذي عانى النفي و الغربة من أجل الهدف السامي، محققاً ما تفضل به على قومه من إذكاء روح البلاد بوعيه السياسي المتقدم الذي كان كالخيال في وثباته وتصوره

- ١٨ . فَمَنْ لِكِتَابِ اللَّهِ يَلْمَحُ نُورَهُ  
 ١٩ . وَمَنْ يَدْفَعُ الْعَادِي عَلَى دِينِ أَحْمَدِ  
 ٢٠ . وَقَدْ كُنْتُ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ إِذَا دَجْتُ  
 ٢١ . بِنَفْسِي مَن عَانَى الْحَيَاةَ مُشَرِّدًا  
 ٢٢ . غَرِيباً تَقَاضَاهُ اللَّيَالِي حُشَّاشَةً  
 ٢٣ . يَطُوفُ بِأَقْطَارِ الْبِلَادِ كَأَنَّهُ  
 بعين بصيرٍ بالبيان لبيب  
 بعزمٍ كمسئون الجراب صليب  
 وقد قيل أما بعدُ خيرَ خطيب  
 يجوبُ من الأفاقِ كلَّ مجوب  
 ولكنه للفضل غيرُ غريب  
 خيالٌ ملُّمٌ أو خيالٌ أديب

ثم يتحدث الشاعر الجارم عن سجايا الشيخ عبد العزيز جاويش الخلقية من قبيل النبيل الذي كان يجعله يطوي جراحه ويُدَارِيهَا بِالْبِشْرِ الْمَصْطَنَعِ ، فهو يُجَاهِدُ رَغْمَ مَعَانَاتِهِ مِنْ قَلَّةِ الزَّادِ وَكَأَنَّهُ إِقْلِيمِ مَكَّةِ الَّذِي هُوَ مُجَدَّبٌ بَيْنَمَا الْأَقَالِيمُ مِنْ حَوْلِهِ غَيْرُ جَدْبَاءِ، ويرجع الشاعر الجارم السبب في هذا إلى حكمة الله التي لا نفقه كُنْهَهَا.

- ٢٤ . وَيَطُوي وراءَ الْبِشْرِ نَفْساً جَرِيحَةً وَأَعْشَارَ قَلْبٍ بِالْمُهْمومِ خَضِيبِ



٢٥. أَيْشِكُو لَيْئِمُ الْقَوْمِ كَظًّا وَبَطْنَةً  
وَيْشُكُو فِتَى الْفَتِيَانِ مَسَّ سُعُوبِ  
٢٦. لِأَمْرٍ غَدَا مَا حَوْلَ مَكَّةَ مُفَوَّرًا  
جَدِيدِيًّا وَبَاقِي الْأَرْضِ غَيْرُ جَدِيدِ  
٢٧. نُقْتَلُّنَا الْأَيَّامُ وَهِيَ حَيَاتُنَا  
وَتَعْطِي مَا أَبْصَرْتُ غَيْرَ سَلِيبِ

ثم يتساءل الشاعر علي الجارم تساؤلات وجودية حائرة طارحا إياها على هيئة تقارير من قبيل شكواه من أنه أصبح يغص بالماء، ويتداوى بالداء، ويبدأ الجارم في رسم مجموعة من الصور الشعرية المعبرة عن الحيرة والاعتراب والضياع

٢٨. فَمَا حَيْلَتِي إِنْ كَانَ بِالْمَاءِ غُصَّتِي  
وَدَائِي إِذَا عَرَّ الدَّوَاءُ طَبِيبِي  
٢٩. كَأَنَّ جِبَالَ الشَّمْسِ كِفَّةً حَابِلِ  
نُحِيطُ بِنَا مِنْ شَمَالٍ وَجَنُوبِ  
٣٠. نَرُوحُ بِهَا وَالْمَوْتُ ظَمَانٌ سَاغِبٌ  
يَلَاحِظُنَا فِي جَبِينَةٍ وَذُهُوبِ  
٣١. عَلَى الشَّفَقِ الْمُحْمَرِّ مِنْ فِتْكَاتِهِ  
بَقَايَا دَمٍ لِلذَّاهِبِينَ صَبِيبِ

ثم إن الشاعر علي الجارم بدءاً من البيت الثاني والثلاثين يصل إلى الحكمة ويبدأ في صياغتها في أبيات معبرة عن الحقيقة المطلقة كما اكتشفها وهو لذلك يستخدم أساليب القصر فيقول على سبيل المثال إن الدهر ليس إلا ليلة طويلة ويوما صعباً، وإن تراب الأرض ليس إلا من الترائب والعقول والقلوب، وينهج الشاعر الجارم نهج أبي العلاء المعري في الربط بين منابع جمال النساء ومصيرها الذي أصبح من أديم الأرض وهو لهذا يطلب من مستمعيه أن يسألوا وجنات الغيد في ذمة الثرى، أهي في حسنها أم أنها تمارس نوعاً من الدلال بالطيب؟

٣٢. هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ طَالَ سُهْدُهَا  
تَنْفَسُ عَنْ يَوْمٍ أَحَمَّ عَصِيبِ  
٣٣. وَلَيْسَ تَرَابُ الْأَرْضِ غَيْرَ تَرَائِبِ  
وغيرَ عُقُولٍ حُطِّمَتْ وَقُلُوبِ  
٣٤. سَلُّوا وَجَنَاتِ الْغَيْدِ فِي ذِمَّةِ الثَّرَى  
أَنْزَهَى بِحَسَنِ أَمْ تُدِلُّ بِطِيبِ  
٣٥. وَكَانَتْ شَيْبَاكَ لِلْعُيُونِ فَأَصْبَحَتْ  
وَلَسْتَ تَرَى فِيهِنَّ غَيْرَ شُحُوبِ  
٣٦. فَيَا مَنْ رَأَى عَبْدَ الْعَزِيزِ تَنُوشَهُ  
نُبُوبٌ لِعَادِي الْمَوْتِ أَيُّ نُيُوبِ  
٣٧. طَرِيحاً عَلَى أَيْدِي الْأَسَاةِ كَأَنَّهُ  
جَمَالُهُ عَضِبَ أَوْ رِشَاءُ قَلْبِيبِ

ويبدأ الشاعر علي الجارم في مخاطبة من رأوا الشيخ عبد العزيز جاويش في آخر أيامه وقد بدأت عادية الموت تناوشه، وقد أصبح صدره مزدحماً بالآلام وهو يبدأ وصفاً فيسيولوجياً ملهماً غير بعيد أيضاً عن الحقيقة الطبية وغير بعيد عن الخيال المحلق

٣٨. فَيَا وَيْحَ لِلصَّدْرِ الرَّحِيبِ الَّذِي  
غَدَا بِمُرْدَجِ الْأَلَامِ غَيْرَ رَحِيبِ  
٣٩. تَدِبُّ بِهِ فِي مَوْطِنِ الْحَلْمِ عَلَّةً  
لَهَا كَالصَّلَالِ الرَّفْشِ شَرُّ دَبِيبِ  
٤٠. تَرَى الْقَلْبَ مِنْهَا وَاجِباً أَنْ تَمَسَّهُ  
فَتَتَرَكَّهُ قَلْباً بَغِيرِ وَجِيبِ

وهو يتحدث عن مصيبة قومه في الشيخ عبد العزيز جاويش الذي كان بمثابة مقصد للآمال ومجد الشباب ونظام للمعالي كما يتحدث عن علاقتهما الشخصية حين كان الشيخ عبد العزيز جاويش يعلي قصائد الجارم ويعجب بما فيها من النسيب.

٤١ . أصَابَتْ نِظَامًا لِلْمَعَالِي فَبَدَّدَتْ

٤٢ . لَقَدْ كُنْتَ تُعَلِّي فِي الْحَيَاةِ قِصَائِدِي

ويقول الشاعر علي الجارم له إنه سيجازيه على محبته بهذا النداء إن سمعه، وبهذا الرثاء إن كان الرثاء يفوز بالمجيب، وهو يصف الرثاء الذي يقدمه للشيخ عبد العزيز جاويش بأنه يكاد يُحيي الميت وينفذ من غروب شمس، ويطلب منه وهو الناقد القدير أن يطرح به الخنساء الشاعرة وأن ينفس به شعر حبيب

٤٣ . فَهَاكَ نِدَاءً إِنْ يَجِدُ مِنْكَ سَامِعًا

٤٤ . رِثَاءً يَكَادُ الْمَيْتُ يَحْيَا بِلَفْظِهِ

٤٥ . فَطَارِحٌ بِهِ الْخُنْسَاءُ إِنْ جُرَّتْ دَارَهَا

ثم يعود الشاعر علي الجارم إلى رشده فيقول إنه يتمنى لو استطاع أفضل من هذا ، فقد وجد أن الشعر يتأثر إذا ما دهمه الخطب، حتى إن القوافي تهاب الموقف مع ذي الشمم من طراز الشيخ عبد العزيز جاويش

٤٦ . تَمَنَيْتُ لَوْ أَرَسْتُ شِعْرِي مَعَ الْبُكَاءِ

٤٧ . وَصَيَّرْتُ أَنَاتِي تَفَاعِيلَ بَحْرِهِ

٤٨ . فَإِنِّي رَأَيْتُ الشُّعْرَ تَنْفِرُ طَيْرُهُ

٤٩ . تَهَابُ الْقَوَافِي أَنْ تَمَسَّ جَلَالَهُ

ويختتم الشاعر الجارم رثاءه للشيخ عبد العزيز جاويش ختاماً جميلاً هادئاً وقوراً لكنه مفعم بالحب وتمني الرحمة

٥٠ . عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا نَاحَ طَائِرٌ

عَلَى غُصْنِ غُضِّ الْإِهَابِ رَطِيبٌ

#### من أقواله الشهيرة

نختم حديثنا عن هذا الرجل العظيم بقول من أقواله هو خير ما يقال فيه :  
"إن لله رجالاً تخلد حياتهم إذا ماتوا ، ويزيدون ظهوراً إذا قبروا ، كما أن للنار أناساً يموتون و هم أحياء ، و يقبرون في ظلمات أعمالهم و هم على الأرض يعيشون" .

#### وفاته

توفي الشيخ عبد العزيز جاويش في ٢٥ يناير ١٩٢٩ و كانت سنوات حياته الأخيرة حافلة بشتى الأعمال المجيدة؛ فقد رعى أسرتي الزعيم الراحل محمد فريد والكاتب أمين الرافعي.

## الباب الثاني

### عدلي باشا يكن أيقونة الزعامة المشوقة

#### حسن الخاتمة

عدلي باشا يكن هو أبرز زعيم مصري رزق بحسن الخاتمة، فقد كان هو رئيس مجلس الشيوخ حين داهمت مصر دكتاتورية صديقه إسماعيل صدقي باشا وحكمه العسكري في ١٩٣٠ و انقلابه على الدستور ، وحله لمجلس النواب ، و وضعه لدستور بديل ، وتزويره للانتخابات التي أجراها لخدمة سياسته فما كان من عدلي باشا يكن إلا أن احتج على تصرفات صدقي باشا مرة بعد أخرى وانضم إلى الحركة الوطنية المناهضة للانقلاب ، بل إنه اشترك في توقيع ما سمي بالميثاق الوطني ( وهو بيان المعارضة الذي أجمع عليه زعماء الشعب في مواجهة انقلاب صدقي ) و حين وقع هذا الميثاق فقد قبل أن يكون اسمه الثالث بعد النحاس باشا ومحمد محمود باشا باعتبارهما زعمي الحزبين الممارسين للسياسة يومها ، و ذلك على الرغم من أنه كان يكبرهما في السن ، ويسبقهما في تولي الوزارة كما يسبقهما في تولي رئاسة الوزارة ، وعلى الرغم من أنه كانت له مكانة بروتوكولية متقدمة كرئيس لمجلس الشيوخ .

وقد وصل عدلي باشا يكن في انحيازه للشعب ومحاربه للطغيان إلى أكثر مما هو مطلوب من مثله في سنه فأنر أن يلجأ إلى أقصى درجات الاحتجاج الممكنة واستقال من رئاسة مجلس الشيوخ ، وهكذا رحل عن الدنيا في التاسعة والستين وقد قارب السبعين من عمره ، وهو في أقصى درجات الفخر والعزة بعد حياة حافلة بالأمجاد والتكريم والتبجيل .

#### صاحب زعامة حقيقية

كان عدلي باشا يكن صاحب زعامة حقيقية ، وعلى الرغم من أنه لم يكن يوما ما زعيم الأغلبية الشعبية فقد كانت زعامته الثابتة خالية من التجاوزات والتشوّهات و خالية أيضا من الترهلات والانتفاخات على حد سواء ، وكانت زعامته هي الأولى من كل الزعامات المعاصرة له بوصف الزعامة المشوقة وهي الصفة التي نستخدمها (طبيا وبلاغيا ) في وصف القامة السامقة السليمة القوية المترفعة المستحقة للإعجاب.

لا يملك أي قارئ للتاريخ المصري إلا أن يسأل نفسه مرة واثنين وثلاثاً : ما هي المقومات الخطيرة التي كان يتمتع بها عدلي يكن باشا ( ١٨٦٤ - ١٩٣٣ ) ليكون منافسا قويا لسعد زغول باشا مرة واثنين ، ولا يعجب القارئ من مثل هذا التقرير المختصر ، ذلك أن سعد زغول و عدلي يكن تنافسا في الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ لمن تكون الرئاسة للوكيل المعين (عدلي) أم للوكيل المنتخب(سعد)، ثم تبنيا رؤيتين مختلفتين في سياق مداوات الوفد المصري فإذا بأغلبية الأعضاء

تنحاز لعدلي ، ثم إذا بحزب جديد يتأسس برئاسة عدلي باشا هو حزب الأحرار الدستوريين....  
و حين توافق الحزبان الكبيران على الائتلاف في ١٩٢٦ فإن الاتفاق تم علي أن يتولى سعد زغول  
رئاسة مجلس النواب و أن يتولى عدلي يكن رئاسة الوزارة، وهكذا .

### تسامحه أبرز سماته

هكذا يحق لنا وعلينا أن نبدأ بالتأمل في السمات الشخصية لعدلي باشا يكن . وقد كان التسامح  
الإيجابي من أبرز الأخلاق التي كان عدلي باشا يتمتع بها فقد قبل أن يعمل في الائتلاف تحت  
زعامة سعد باشا زغول، علي حين لم يتقبل عبد العزيز فهمي باشا صديق سعد القديم مصافحة  
سعد زغول أبداً، وحين وصل دعاة الصلح إلي الاقتراح الذي يقضي بأن يزور سعد صديقه عبد  
العزيز في بيته رفض عبد العزيز فهمي أن يستقبل سعداً ، وحين اقترحوا أن يزور سعد دار جريدة  
السياسة ويكون عبد العزيز فهمي في تلك الدار بالمصادفة، ويتم اللقاء بطريقة مشرفة لعبد العزيز  
فهمي أبي وقال قولته المأثورة : أتظنون أن هذا يحل الموقف، إن دار الحزب هي داري.. وهكذا.  
ربما كان لعبد العزيز فهمي عذر بسبب تصرفات قام بها سعد تجاهه، لكن هل وصلت هذه  
التصرفات إلي الحد الذي حدث مع عدلي يكن حين تعمد الوفد أن يجهض فوز عدلي باشا في  
الانتخابات البرلمانية الأولى، حيث فشل في المرحلة الأولى من الانتخابات أي في درجة المنسوب  
الثلاثيني و فاز عليه مرشح وفدي ، وكان هذا المرشح علي نحو ما صوره الزغوليون هو طباح  
عدلي باشا يكن!

وعلى الرغم من خلافه مع سعد زغول باشا فقد كان حريصا على استمرار صداقتهما ، وكان  
دائماً يحاول رأب أي خلاف معه ، ولم يسع في تعميق ثنائية سعد و عدلي التي سنتحدث عنها،  
وإنما بقي على الولاء لسعد واحترامه له ، وأقصى ما ذكره عنه من هجوم هي قوله وهو رئيس  
للوزراء إنه سيفاوض الإنجليز بسعدٍ وبغير سعد .

وفي مقابل هذا فقد وصل الأمر بسعد زغول أن قال قولته المأثورة في خطبة شيرا البليغة:  
إن مفاوضة عدلي للإنجليز تعني أن جورج الخامس يفاوض جورج الخامس.  
وقد وصل الحد بسعد في هجاء أتباع غيره مثل ما حدث منه حين قال عن أنصار عدلي باشا  
إنهم برادع الإنجليز.

مع هذا كله فإن عدلي يكن لم يصل بالاختلاف بينه وبين سعد زغول إلي الدرجة التي أوصل  
بها عبدالعزيز فهمي العداة وذلك على الرغم من تقدير عبد العزيز فهمي الشديد لمواهب سعد  
وقدراته وذلك إلي الحد الذي جعله ( أي جعل عبد العزيز فهمي ) يجيب الملك فؤاد بأن سعداً هو  
أعظم قاض في مصر ، وكان هذا حين سأل الملك عبد العزيز فهمي باشا عن أعظم قاض في  
مصر.

### ثنائية سعد و عدلي : أزمة الوفد الكبرى

بلور الأستاذ محمد كامل سليم السكرتير العبقري لسعد زغول أزمة الوفد الكبرى بأنها الخلاف

بين سعد وعدلي، وجعل هاتين الجملتين عنوان كتابه القيم الذي صدر عن سلسلة «كتاب اليوم» في السبعينيات.

وفي القرن الحادي والعشرين غزل الأستاذ عمرو سميح طلعت على منوال مشابه فكتب كتابه الممتع : سعديون وعدليون .

ولا بد للقارئ أن يفكر معنا في الأسئلة المنطقية التي تتعلق بصياغة أو بصناعة أو تكريس هذه الثنائية ، فنحن نعرف علي سبيل المثال، أن حركة الوفد المصري بدأت بمقابلة سعد زغلول، وعلي شعراوي ، وعبد العزيز فهمي للمعتمد البريطاني ، علي حين كان رئيس الوزراء في ذلك الوقت هو رشدي باشا .. لماذا إذاً تبلورت الخلافات علي أنها بين عدلي وسعد وليست بين رشدي وسعد. ونحن نعرف أن عبد العزيز فهمي اختلف مع سعد وأصبح بمثابة أبرز المختلفين معه من فريقه وحدث هذا بينما الوفد ( بمن فيه عبد العزيز فهمي ) في باريس.. علي حين انضم عدلي للوفد بعد وصول الوفد إلي باريس .. لماذا إذاً بلور الخلاف علي أنه بين عدلي وسعد ولم يبلور علي أنه بين سعد وعبد العزيز ؟

هكذا يمكن لنا أن نطرح كثيراً من الأسئلة و إجاباتها ، ومن المؤكد أن عدلي قبل غيره من معاصري سعد كان هو صاحب القامة العالية التي تكفل له الوقوف بجوار سعد باشا بما كان لسعد باشا من قامته الشامخة الأبية المؤثرة المستحوزة على إعجاب القلوب والعقول.

### الفارق بينه وبين ثروت باشا

وننتقل من التسامح الإيجابي إلي خلق آخر من أبرز أخلاق عدلي باشا وهو الرحمة بمعناها الواسع بما في ذلك المعنى السياسي الذي ينجي صاحبه من اللدد في الخصومة أو الاختلاف ، ، ذلك أنه لم يكن قاسياً علي مخالفيه، وهنا نقارنه بعبد الخالق ثروت باشا (خلفه في وزارته الأولى والثانية)، وقد كان عبد الخالق ثروت أصغر في السن من عدلي . لكنه دخل الوزارة في اليوم نفسه مع عدلي، لكن ثروت الذي خلف عدلي في وزارته الأولى والثانية (برضا عدلي أو بترشيح من عدلي) كان قاسياً جدا علي الوفد والوفديين علي النقيض من عدلي.

وربما يرجع هذا إلي طبيعة عمل وثقافة الرجلين، ونحن فيما نورد من تحليل (يسميه أهل العلوم السياسية بالتحليل البعدي أو التالي) لا نقصد التبرير لثروت باشا وتصرفاته، لكننا نصور عظمة عدلي وطول قامته بطريقة غير مباشرة.

فثروت باشا الذي وصل إلي منصب النائب العام كان حفياً فيما يبدو بالقانون المطلق، وبالقيم القانونية المطلقة، وبالطاعة، وبإمضاء الأوامر، وبحفظ النظام وكان هذا متوقعا منه بالطبع بأكثر مما هو متوقع من عدلي يكن الذي كان رجل دبلوماسية شعبية وإدارة حكومية طويلة النفس.

ومن المعروف أن سعد باشا زغلول كان صاحب فضل كبير علي ثروت، علي حين أنه - أي سعد - لم يكن له فضل مواز في قيمته علي عدلي باشا، وترفع بعض الروايات من قيمة دور سعد زغلول باشا في اختيار ثروت ليكون نائبا عاما حين كان سعد زغلول عضواً في مجلس الوزراء،

بينما كان هناك مرشحون كثيرون أكبر منه وأقدم وأحق، لكن سعدا بما عرف عنه من تقدير عميق للشخصيات، صمم علي دعم اختيار ثروت باشا لمنصب النائب العمومي، ومع هذا فقد كان موقف ثروت المعادي لسعد باشا والوفد أكثر قسوة بكثير من موقف عدلي.

### لم يكن محبوسا في الشعارات

ونأتي إلي الخلق الثالث الكبير في عدلي باشا وهو أنه لم يكن من ضحايا الأيدولوجية أو فلنعبّر عن هذا المعنى بلغة عصره فنقول إنه لم يكن معنيا في المقام الأول بالشعارات، فلا هو يؤلف لنفسه شعارا، ولا هو يرحب بشعار يؤلف له، ولا هو يشجع علي هذا الشعار. ولهذا فإنه عاش ومات من دون الحرص على أن يحظى بلقب مميز كلقب محمد محمود صاحب اليد الحديدية، أو ألقاب إسماعيل صدقي: رب الكفاءات، أو الرجل القوي، أو عدو الشعب، أو علي ماهر: رجل الأزمات، أو رجل الساعة، أو ألقاب مصطفى باشا النحاس: زعيم الأمة، أو سيد الناس، أو الرئيس الجليل.. إلخ. وفي الحقيقة فإن هذا الخلق الذي يمثله عدلي يكن يرتفع بقدر الشخصية من حيث لا يحصرها في نجاح واحد أو في جانب واحد.. كما يرتفع بقدر المهمة الوطنية التي يتولاها بحيث يكون النجاح وحده هو مقياس النجاح، وفي هذا فإن عدلي كان ناجحا وناجحا جدا.

الخلق الرابع في عدلي باشا أنه كان رجل عمل قبل أن يكون رجل فلسفة ورجل ممارسة قبل أن يكون رجل تنظيم، ولهذا فإنه لم يكن مفتونا ببلورة فكر معين يقيده في تحركه السياسي أو الإداري، وقد كان عدلي علي الدوام ذلك الرجل، ولم يغير من مشاعره ولا توجهاته نجاح تجربة سعد زغلول ولا وجود سعد زغلول بكل ما امتلكه سعد من الأدوات ومن مقومات العبقرية: بلاغة ولغة وفقها وقانونا.

### نوع نادر من الحرية

وهكذا ظل عدلي يكن باشا يعلو ويصعد وهو بعيد عن أن يفقد نفسه بأية صورة من صور التقييد، ونحن نراه حراً تماماً في حركته السياسية مع الملك ومع البريطانيين ومع أقطاب الحركة الوطنية، ذلك أن عدلي يكن باشا رغم مبادئه القوية ومثله الرفيعة لم يكن حاصرا لفكره أو مقيدا لحركته بشيء أو بارتباط أو بمفهوم لا قبل سعد ولا بعد سعد، فلا هو قال إن الحق فوق القوة، ولا أن القوة فوق الحق، كما أنه لم يفعل فعل زيور حين لخص وجهة نظره في قوله: «إنقاذ ما يمكن إنقاذه»، ولا هو فعل كعبد العزيز فهمي الذي قال: «إن الدستور ثوب فضفاض»، ولا مثل إسماعيل صدقي الذي قال: «إن الشعب لم يبلغ بعد المبلغ الذي يؤهله للحكم الديمقراطي». ومع حرص عدلي باشا علي عدم التقييد بالأفكار المسبقة فقد كان كما نعرف مشاركا بقدر كبير في أهم التحولات في مستقبل مصر في الفترة التي شارك فيها في صياغة أو تنفيذ السياسة الخارجية، أيا ما كان تقييمنا لنتائج مشاركته أو ما قبل به أو سعى إليه.

### الاعتداد بالذات

الخلق الخامس في عدلي يكن باشا ربما يتعارض مع العمل السياسي لكنه كان حسيفا في

التمسك به مع بقائه في المعتزك السياسي، هذا الخلق هو الاعتداد اللامتناهي بالذات، والذي وصل منتهاه حين أصر علي الاستقالة من رئاسة الوزارة بسبب موقف أحد النواب الوفديين في مجلس النواب، وقد كان الموقف لا يقتضي رد الفعل الذي اتخذه عدلي يكن باشا بشممه و إبنائه علي نحو ما نرى.

### ترك الحكم في المرات الثلاث بإرادته هو

تميز عدلي يكن باشا عن غيره من رؤساء الوزارات بأنه ترك الحكم في المرات الثلاث التي تولي فيها رئاسة الوزارة بإرادته هو، وقبل أن تصل الأمور إلي إقالته أو الاستغناء عنه، فأما في وزارته الأولى فإنه استنصر أن الأطراف لا تقي بتعهداتها فأثر الاستقالة، وقد تسببت استقالته في بقاء البلاد بلا وزارة مدة شهرين، وهو ما يدلنا علي أن أحدا لم يكن مستعدا لا لخلافة عدلي ولا للتأمر عليه، وأنه هو الذي أراد الخروج بمحض إرادته وتقديره السياسي. وقد أنصفه أستاذنا الرفاعي وغيره من المؤرخين في تعقيهم على هذا الخروج .

وفي تاريخ رؤساء الوزارة المصريين تسعة رؤساء وزراء قبلوا العمل وزراء تحت رئاسة رؤساء آخرين بعدما كانوا قد وصلوا إلي رئاسة الوزارة، وبعض هؤلاء اضطروا إلي هذا بفعل ظروف سياسية (عبدالناصر مع محمد نجيب)، أو مؤقتة انتقالية (صدقي سليمان مع محمود فوزي)، أو لأن رئيس الوزراء الذي عادوا تحت رئاسته كان هو رئيس الدولة نفسه (زكريا محيي الدين وعلي صبري وصدقي سليمان مع عبد الناصر )، أو هو زعيم الأغلبية في وزارة الشعب (محمد سعيد ومحمد توفيق نسيم مع سعد باشا)، أو من أجل إنشاء جبهة ائتلافية وطنية كبرى (إسماعيل صدقي وعبد الفتاح يحيى مع محمد محمود ، ويحيى إبراهيم مع زيور).

ولكن الحالة التي كان عدلي طرفا فيها كانت متميزة إلي أبعد الحدود، فإن رئيس الوزراء الذي قبل العمل تحت رئاسة عدلي كان هو حسين رشدي باشا الذي اختار عدلي نفسه وزيرا في وزارته الأولى، وفي هذا دلالة واضحة علي مدي ما كان يتمتع به عدلي يكن من تقدير، فإن رشدي باشا حين شكل الوزارة في ١٩١٤ كان هو الذي اختار عدلي باشا وزيرا لأول مرة، ثم قبل رشدي باشا نفسه أن يعمل تحت رئاسته حين شكل عدلي وزارته الأولى.

وعلي النقيض من رشدي باشا وثروت باشا وصدقي باشا، فإن عدلي باشا لم يعمل تحت رئاسة غيره بعدما تولي رئاسة الوزارة، بل إن رشدي باشا الذي كان أول من أدخله الوزارة عمل معه كنائب لرئيس الوزراء، كما أن ثروت باشا عمل معه كوزير للداخلية في وزارته الثانية بعدما كان قد وصل إلي رئاسة الوزارة.

### وصف الشيخ عبد العزيز البشري له ولتاريخه

هذه فقرات مختارة من وصف الشيخ عبد العزيز البشري لعدلي باشا يكن أورده في سلسلة مقالاته التي كان ينشرها في السياسة تحت عنوان " في المرأة " ثم أصدرها في كتاب بهذا العنوان. يقول الشيخ البشري ضمن نص طويل :

"أسمر اللون في شحوب، إلا أن ما يخالط سمرته من صفرة حلو مستعذب. يمتاز بقليل من الطول وكثير من العرض، فهو بعيد ما بين الكتفين حتى لتعرفه مولياً كما تعرفه مقبلاً. مستوي معارف الوجه، حديد البصر، إذا قدر لك أن يحدق فيك، شعرت أن نظره لا يستقر على سطحك، بل إنه ليتغلغل في أطوائك، ويصل من نفسك إلى كل ما تضن به على الابتذال، وادع ساكن، تتجلجل الدنيا من حوله وهو ثابت ثبات الهرم الأكبر. ولقد تجلس إليه تحدثه في شؤون الدنيا، فتطالعه بأجل أحداثها، فلا يتقبض ولا يختلج، إلا أنه يستلقي على كرسيه ثم يدس يسراه في جيبه ويدير بيمينه رزمة من المفاتيح. وتحسب أن ذهنه ليس عندك، إذ هو عندك كله لا يفوته من حديثك قليل ولا كثير.

"شديد القصد في حديثه، فإذا أذن الله وتكلم، فهو حلو الحديث، رخم الصوت، بارع المطلع، رائع المقطع، يصيب المحز ويقع من فوره على اللباب. تشعر أنه خلص إلى الغاية، وأصاب من النزاع، دون أن يعلق بقوله شيء من وضر الجدل، وما لا تدعو إليه حاجة الكلام".

"وأحلف بدوري أن مصر لو كانت عاشت عيشاً طبيعياً خالياً من الأحداث والعظائم، ما كان له في الدنيا أثر، ولا جرى له على لسان جمهرة المصريين ذكر ولا خبر، فلقد نجم عدلي باشا في مناصب الحكومة كما نجم غيره من الناس موظفاً صغيراً في وزارة الداخلية، وما برح يتقلب في فنون الأعمال العامة حتى أصبح وكيل مديرية، فمديراً، فمحافظةً للعاصمة، فمديراً لديوان الأوقاف، فمتقاعدًا في داره، فوكيلاً للجمعية التشريعية، فوزيراً للمعارف، لا يمتاز في شيء من ذلك إلا بالنبل والكبر على الصغائر، والترفع عن سفاسف الأمور، وكل ما كان له فيما عالج من الأعمال من صحة الرأي، وصدق التدبير، وحسن التنظيم، فما كان ليذكر له شيء منها إلا بالأسن من شارفوه ومن عملوا معه".

### تصويره لمنهجه في معاملة الاحتلال البريطاني

ويلخص الشيخ عبد العزيز البشري مسار مفاوضات عدلي باشا مع البريطانيين بطريقة أدبية يُعَلِّب فيها التصوير الفني على التفصيلات التاريخية فيقول :

"أما عظمة عدلي وأما شهرته الخالدة على الزمان، فهو مدين بهما للجلى وللأحداث العظام، فلولا جسيمات الأمور؛ لكان عدلي رجلاً مدرجاً في عداد سائر الرجال. ولقد كان وزيراً للمعارف في وزارة رشدي باشا في سنة ١٩١٨، وتهادنت الدول [المحتربة] الهدنة العامة، وشمرت لعقد الصلح، وتوقع المتطهرون أن تكون مصر من حصة إنجلترا في سلب تركيا المقهورة، فنهض رشدي ومعه صاحبه عدلي وناجيا الإنجليز بأنهما يريدان أن يشخصا إلى إنجلترا؛ ليراجعاها في حقوق مصر التي ضحت بما ضحت من الرجال والأموال في نصرته قضية الحلفاء. وتناقل الإنجليز عنهما وتعللوا باشتغال ساستهم عن لقاءهما بالاستعداد لمؤتمر الصلح، وخاف رشدي وعدلي أن تفلتتهما الفرصة، وكرها الصبر على الهزيمة، فنفخا في الحركة الوطنية من روحهما القوى، وراحا يؤازران الوفد المصري ويشدان عضده من جهة، ويشرعان الإضراب للموظفين،



و[يستحسان] الجمهرة من جهة أخرى، حتى كان من أمر النهضة المصرية في سنة ١٩١٩ ما كان. وتلك أولى عزائم عدلي التي يحصيها له الجمهور".

"وهبط ملنر مصر والوفد قائم في باريس، ودارت اللجنة هاهنا وهاهنا لعل أحدًا يعاطيها أو يقولها، فاستمسك الناس كلهم عنها، ولم يواتها منهم أحد، فعادت في النهاية بالثلاثة الأعلام: رشدي وعدلي وثروت، فصار حوها بأنها إن أرادت الجِدَّ، فلا تفاوض في شأن مصر غير الوفد، فلتمض إلى باريس فهناك الحديث، أما في مصر فلن تجد مهما طال بها المقام، ثلاث قطط تحدثها في شأن البلاد! وانكفأت لجنة ملنر إلى لندن، واستشرفت حَقًّا لمفاوضة الوفد، إذ الوفد لا يتحول إلى لندن دون أن يستبين موضع خطوه، ويريد، وبين يديه رجاء أمة، أن يعرف فيم مذهبه وأين يقع حديثه، وكيف تكون غاية أمره. فدارت الأنظار كل مدار، فلم تقع لهذا المهم إلا على عدلي، فدعاه الوفد فلبى الدعاء وشخص إلى باريس فلندن، فمهد الطريق، ووطأ أكناف السياسة هناك، وكان خير معوان للوفد على أداء مهمه الخطير.

"وألف الوزارة في صدر سنة ١٩٢١، وشخص إلى لندن في وفد رسمي، وفافوض كرزن وأدلى إليه بحقوق مصر وأمانيتها كلها، وأبى أن ينزل على ما أراد الإنجليز أن ينزلوا مصر عليه، فقطع المفاوضات، وعاد من فوره مرفوع الرأس، موفور الكرامة. وما كادت تستقر قدمه، حتى استقال من منصب الوزارة استقالته الكريمة النبيلة. واليوم وقد ترحجت الأمور، وتصدت القوة بكل ما عندها لتتال مصر، فلا يلتفت زعيمها الأكبر إلا إلى صديقه عدلي. وكذلك كان شأن عدلي دائماً تلتفت مصر إليه كلما نزلت بها الأحداث الجسام."

### التحفظ في شخصيته

ولا يبئري الشيخ البشري عدلي باشا من طابع التحفظ في علاقته بالناس: "وإن من يعرفون عدلي ليعدون له عيوبًا، ويحصون عليه آثامًا وذنوبًا، وسبحان من تفرد بالكمال. فهم يحسبون على طباعه أنه ما برح «ابن ذوات» فهو قليل الاتصال بالناس، شديد التحفظ بنفسه عنهم، لا يزورهم ولا يستزيرهم ولا يستريح إلى مجالستهم. ولو قد كتب لي أن أصبح هيئة سياسية، واحتجت في شأن البلاد إلى سعي عدلي باشا، لوكلت به «عصبة» من أولاد البلد، أولي القوة والفتوة، فتسلموه في صباح كل يوم، وأرادوه على المشي ساعتين في الأحياء الوطنية، وأكرهوه على أن يُفشي السلام، ويؤمى بالتحية لكل من لقيه؛ حتى إذا جُهدَ به ردُّوه فأجلسوه في البهو، وفتحوا الأبواب بين يديه، وكلما دخل عليه زائر بعثوا وجهه بالهشاشة، ويديه بالتحية،

### رمزية شوارع عدلي ومعاصريه من الوزراء

من الطريف أن الحكومة التي سمت شوارع وسط البلد قد جعلت شارع عدلي فيما بين شارع فؤاد وعبد الخالق ثروت، وهي مصادفة عجيبة من خمس زوايا: - فقد كان عدلي باشا أقرب إلي الملك فؤاد من ثروت باشا، إذ لم يكن الملك فؤاد يرتاح إلي ثروت باشا

- والأعجب من هذا أن ترتيب الوفاة جاء من اليمين : ثروت توفي أولاً وتلاه عدلي ثم الملك فؤاد.
- ومن الطريف ثالثاً أن أطوال الشارع جاءت تعويضاً عن طول القامة فشارع عدلي باشا هو أقصر الشوارع الثلاثة على الرغم من أن عدلي باشا كان أطول قامته من الملك فؤاد ومن ثروت. وقد دخل الرجلان الوزارة معاً، وكان ترتيب اسم عدلي سابقاً مباشرة لاسم ثروت، ووصل ثروت إلي رئاسة الوزارة خلفاً لعدلي باشا وشكل وزارتين فقط كانتا تاليتين لوزارتي عدلي الأوليين، على حين شكل عدلي وزارة ثالثة في ١٩٢٩ بعد أن كان ثروت نفسه قد توفي، وهكذا فإن بقاء عدلي باشا في الوزارة المصرية (١٩١٤ - ١٩٢٩) أطول من ثروت (١٩١٤ - ١٩٢٧)، وقد عوض ثروت عن هذا بطول شارع.
- ومن الطريف أكثر أن شارع عدلي لا يصل إلي شارع رمسيس علي نحو ما يصل شارع ثروت، كأنما في هذا دلالة علي أن جبروت ثروت يصل به إلي جبروت رمسيس علي حين لا يصل الجبروت بعدلي إلي رمسيس.
- بقي بعد هذا كله أن لثروت محطة في ترام الإسكندرية وليس لعدلي محطة باسمه في ذلك الترام ، علي حين أن لرشدي محطة وحيها في الإسكندرية ويبدو بوضوح أن تسمية محطات ترام الرمل كان قد أنجز ما بين ١٩٢٨ (وفاة رشدي وثروت ) و ١٩٣٣ (وفاة عدلي ) .

#### مقارنة بمكانة رشدي باشا في التخليد

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن اسم رشدي باشا وهو رئيسهما الذي اختارهما للوزارة يحظى بتكريم لا يحظيان هما و لا غيرهما بمثله في الإسكندرية حيث يحمل حي كامل اسمه ، أما شارع القاهري فيبدأ مثل شارعيهما من شارع الجمهورية (إبراهيم باشا سابقاً) لكنه ينتهي عند شارع شريف باشا ولا يصل حتي إلي شارع والد زوجة شريف باشا الذي هو سليمان باشا!! وقد لا يتناسب هذا مع عهد رشدي باشا بالوزارات المصرية ولا مع مكانته البروتوكولية، ويكاد اسم الساحة ينازع اسم رشدي في السيطرة علي الشارع، أما عدلي وثروت فإن أحداً لا ينازعهما في شارعيهما، وقد كان للشارعين اسمان قديمان: المناخ، ويعني المحل الذي تنوخ فيه الإبل عند قدمها للقاهرة للبيع، وقد انتقل المناخ الآن إلي سوق إمبابه ، والمدابغ، حيث كانت تدبغ الجلود، وقد انتقلت المدابغ الآن إلي البساتين، وهكذا كان إطلاق اسمي الرجلين علي الشارعين فألا للشارعين علي نحو ما كان الرجلان مصدر خير لوطنهما.

وفضلاً عن هذا فإن شارع رشدي باشا غير مطروق بتدفقات الحركة المحورية علي النحو الذي يستمتع به شارعاً ثروت و عدلي في ظل الحركة القادمة ما بين شرق القاهرة إلي وسط القاهرة وكوبري قصر النيل.

أما إسماعيل صدقي باشا رابع هؤلاء فإنه رغم بقاءه في السلطة حتي ١٩٤٦ وفي الحياة حتي ١٩٥٠ ومع أن أثره في السياسة المصرية وفي التاريخ المعاصر يفوق آثار ثلاثهم فإنه لم يحظ

بإطلاق ولا بتكريم، لأنه حين توفي كان رجال الوفد في السلطة وهم ضحاياه التقليديون الذين لم يكن عندهم أي استعداد لتكريمه!! وبالتالي فلم يكن هناك من يسعي إلي تكريمه.

### تكوينه السياسي و تفوقه

في كثير من المصادر المتاحة نقرأ إشارات جيدة لشخصية عدلي يكن ولخلقه القويم النبيل ، و مع احترامي لكل هذه الآراء فإنني أحب أن أبدأ بذكر الأسباب والعوامل التي هيأت لعدلي يكن التمتع بهذا الحضور الضخم في تاريخنا الحديث قبل أن يتمتع علي نحو أو آخر بهذه الشخصية. بادئ ذي بدء ، فإن عدلي باشا لم يكن شأن معاصريه من المحامين أو القضاة وربما كان هو الاستثناء الوحيد بين هؤلاء الذين ناظروه فيما قبل اندلاع ثورة ١٩١٩، لم يكن عدلي باشا قانونيا بأي صورة من صور القانونيين الممارسين ، فلا هو قاض ولا هو محام ولا هو وكيل نيابة ولا هو مشغول بالقانون وإنما كان عدلي باشا رجل إدارة مبرزاً، حين كانت مهمة الحقوق لا تزال من مهام الإدارة.

نشأ عدلي باشا يكن في إحدى الأسر التي يرتبط نسبها بالأسرة العلوية الحاكمة فقد كانت جدة والده من أخوات محمد علي باشا الكبير ، و في الثامنة من عمره اصطحبه والده إلي الأستانة فأقام فيها سنوات ، وتعلم علوم عصره وأجاد اللغات، ثم عاد إلي مصر فعين منذ مرحلة مبكرة جدا موظفا في قلم الترجمة بوزارة الداخلية ، حيث عايش الحكومة المصرية في مستواها الأعلى ثم نقل إلي قلم المطبوعات. وسرعان ما اختاره نوبار باشا الذي كان أول رؤساء الوزارة المصريين سكرتيراً خاصاً له (١٨٨٥) في أثناء رئاسته الثانية للوزارة .

### تولى شئون مديريات عديدة

أضاف عدلي يكن باشا إلي هذا البعد الإنساني القيادي الذي بدأ به حياته الوظيفية بعدا مكانيا لم يتح لغيره بذات القدر الذي أتيح له به، فقد تقلد مناصب إدارية مهمة ، فقد شغل منصب المحافظ والمدير والوكيل في ثماني من المحافظات والمديريات ، و عمل مديرا لخمس مديريات من مديريات القطر المصري، و محافظا للقاهرة ، وهكذا كان الرجل يعرف أقاليم مصر بأكثر مما يعرفها غيره. وقد بدأ هذه السلسلة من المناصب الإدارية بأن عمل وكيلا لمديرية المنوفية (١٨٩١) ، ثم وكيلا لمديرية أخرى تذكر بعض المصادر أنها هي المنيا و تذكر مصادر أخرى أنها هي الشرقية، ثم نقل وكيلا لمحافظة القناة.

وفي سنة ١٨٩٥ رقي عدلي يكن باشا مديرا لمديرية الفيوم، ثم نقل إلي المنيا، فالشرقية، فالدهلية، فالغربية، ثم عين محافظا للقاهرة، وهو ما يجعلنا ندرك مدي ما كان يتمتع به من خبرة ميدانية، وعلاقات واسعة.

اختير عدلي يكن مديرا لديوان الأوقاف ، و كانت وزارة الأوقاف (في عهد الاحتلال البريطاني) قد تحولت إلى ديوان يتولى أعماله مدير له صلاحيات كصلاحيات الوزراء ، و فيما ما بين عهدين وجد فيهما وزير للأوقاف عضو في مجلس الوزراء ) .

## وكيل الجمعية التشريعية

عندما تأسست الجمعية التشريعية في ١٩١٣ اختير عدلي يكن باشا وكيلا للجمعية التشريعية وكان الوكيل المنتخب هو سعد باشا زغلول.

وهكذا فإنه في ١٩٢١ حين أصبح رئيسا للوزارة للمرة الأولى أو في ١٩٢٦ و ١٩٢٩ حين كان رئيسا للوزارة للمرتين الثانية و الثالثة كان يستعين بخبرته في الحكومة وبمعرفة للرجال منذ مراحل مبكرة في تاريخهم ، فقد رأى كل هؤلاء التنفيذيين والوزراء والمستوزرين شبابا ثم رآهم وهم يكبرون، والأهم من هذا أن هؤلاء رأوه وهو يتابعهم وهم يدرجون في رقيهم ، أي أن عدلي يكن كان يعرف عن كل هؤلاء المبرزين ما يتيح لنظرته إليهم أن تكون علي الدوام نظرة متمتعة بالقوة الكافية وقد كان لهذه الصفة التي نسميها الآن بالمعرفة المباشرة قدر كبير في المجتمع السياسي الذي برز فيه عدلي يكن باشا .

## الوزارات التي تولاها

حظي عدلي باشا منذ ١٩١٤ بتشكيلة بالجمع بين وزارات الأرسنطراطية الفكرية دون غيرها، فقد تولي وزارات الخارجية والداخلية والمعارف، ولم يتول غير هذه الوزارات، ومن الطريف أنه لا يشاركه هذه التنويعا بين تلك الوزارات الثلاث إلا أحمد لطفي السيد ، وإن كان أستاذ الجيل قد تولي وزارتي الداخلية والخارجية بصفة رمزية شرفية علي حد ما يقول التعبير المعاصر . بدأ عدلي يكن مناصبه الوزارية في وزارة رشدي باشا الأولي (أبريل ١٩١٤) كوزير للخارجية، لكن فرض الحماية في ديسمبر ١٩١٤ ألغي وجود هذه الوزارة، وهكذا تولي عدلي باشا بدلا منها وزارة المعارف في وزارتي رشدي الثانية والثالثة، ثم الداخلية في وزارته الرابعة (أبريل ١٩١٤)، وقد تبادلا المواقع في هذه الوزارة فأصبح رشدي باشا وزيرا للمعارف خلفا لعدلي يكن الذي تولي الداخلية ولم يطل عهد هذه الوزارة أكثر من ثلاثة أسابيع. وهكذا اشترك عدلي باشا في وزارات رشدي الأربع، وإن كان قد تولي ثلاث وزارات مختلفة (الخارجية ثم المعارف ثم الداخلية).

ثم إن عدلي باشا لم يقبل رئاسة الوزارة ولا الاشتراك في عهد الوزارات الإدارية الثلاث (١٩١٩ - ١٩٢١) التي حكمت في أثناء اندلاع ثورة ١٩١٩ .

## رفضه التفاوض مع بقاء وزارة نسيم

وعلى نحو ما نعرف من أن الدكتور هيكل باشا وكثيرين من كتاب تلك الفترة أشاروا بذكاء موقف عدلي باشا من قضية التفاوض مع البريطانيين فإن الرافي المؤرخ يذكر أيضا في ترجمته لحياة الملك فؤاد موقف عدلي باشا من هذه القضية بتقدير وتبجيل :

" وإذ كان عدلي باشا هو السياسي الذي اتجهت إليه الأنظار ليعالج القضية المصرية بصفة رسمية، فقد سعي السلطان ليقنعه ببقاء وزارة نسيم باشا في الحكم ، ويضطلع هو بمحادثة الحكومة البريطانية في شأن مصير البلاد، ولكن عدلي رفض هذا الحل، ورفض بقاء نسيم في الحكم لعدم

اطمئنانه إليه، فاضطر السلطان تحت ضغط الحوادث إلى تنحيته، وتكليف عدلي بتأليف الوزارة الجديدة (مارس سنة ١٩٢١)، ولولا هذا الضغط لبقيت وزارة نسيم مفروضة علي البلاد رغم إرادتها، فتأليف وزارة عدلي باشا الأولي جاء إذن علي غير إرادة السلطان".

### تشكيله وزارة الثقة في ١٩٢١

يروى الراجعي كيف دُعي عدلي باشا يكن إلى تشكيل الوزارة التي سميت بوزارة الثقة (مارس ١٩٢١ - ديسمبر ١٩٢١) وهي الوزارة التي أنهت حقبة الوزارات الإدارية ولم يتول فيها عدلي باشا أية مناصب وزارية غير الرئاسة :

" قبل السلطان [ فؤاد ] استقالة وزارة نسيم باشا في ١٦ مارس، وعهد في اليوم ذاته إلي عدلي باشا يكن تأليف الوزارة الجديدة، فألفها وصدر المرسوم بتأليفها في ١٧ مارس، وضمن عدلي باشا جوابه برنامج وزارته، فأعلن أنها ستجعل نصب عينها في المفاوضات الرسمية أن تصل إلي اتفاق لا يجعل محلا للشك في استقلال مصر، وأنها ستدعو الوفد المصري إلي الاشتراك فيها، وأن الأمة سيكون لها علي لسان ممثليها في جمعية وطنية القول الفصل في هذا الاتفاق، وأن هذه الجمعية ستكون أيضا جمعية تأسيسية تضع الدستور، وستكون الانتخابات لها حرة بحيث تمثل رأي الأمة تمثيلا صحيحا"

"ووعد بالعمل علي رفع الأحكام العسكرية وإلغاء الرقابة علي الصحف وبالامتناع عن إحداث كل تغيير جوهري قبل تنفيذ النظام النيابي الجديد".

### سعد زغلول اقترح وزارة الثقة واسمها

سميت وزارة عدلي باشا الأولى «وزارة الثقة»، ويرجع السبب في هذه التسمية إلي سعد زغلول باشا كما يشير أستاذنا الراجعي المؤرخ :

" فهو الذي اختارها لها، ذلك أنه حين جاء اللورد ملنر إلي مصر علي رأس لجنته، قابل ضمن من قابلهم عدلي ورشدي وثروت، فصارحوه الرأي بأن اللجنة يحسن أن تتوجه بالمحادثة إلي الوفد، وبأن لا أمل في محادثة مع غير الوفد، وقد أرسل سعد باشا برقية إلي إبراهيم باشا سعيد وكيل لجنة الوفد المركزية في ٢٦ يناير سنة ١٩٢٠ يشكر الوزراء الثلاثة علي موقفهم، قال: «سيفلح خطاب بالموافقة علي تقريركم (أي تقرير اللجنة المركزية للوفد)، وقد أرسلنا قرارنا تلغرافيا إلي أصدقائنا الوزراء الثلاثة الذين بعثوا لنا بصورة أحاديثهم مع اللورد ملنر، وقد تبينا أن ما قالوه للورد كان مملوءا حكمة ووطنية خالصة».

«وكان سعد علي اتصال بعدلي أثناء إقامة لجنة ملنر بمصر، وبعد رحيلها، ورأي تأليف وزارة ثقة تضع الدستور وتتولي المفاوضات، فأرسل إلي عدلي خطابا من باريس في ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ يشرح فيه هذا المعني ويؤيده وينوه بأن يتولى عدلي باشا تأليف هذه الوزارة:

"لم يخطر ببالي ولا ببال أحد من زملائي التوجه إلي [لندن] للمفاوضة فيها مع لجنة ملنر، إذ ليس في محادثته معكم ولا في مذكرته لكم ما يشجع علي هذا، لأن مذكرته مع كونها خصوصية

سرية لا تتضمن ما يصح أن يعتمد الإنسان عليه حتي في نفسه بالنسبة لأمر مهم كمسألتنا، بل في محادثته ما يمنع من هذا الانتقال، وهو عدم رضا الحكومة الإنجليزية بالمفاوضة مع الوفد وحده، لأن فيه إنكارا لصفته التي أجمعت عليها الأمة من توكيله وحده للمفاوضات، أما العودة إلي مصر فلم يتغير فيها رأينا للأسباب التي بينها لكم"

ويقول سعد زغلول باشا فيما أثبتته استاذنا الرافي في كتابه :

" نعم إن ترجمة عبارة Self Governing institutions بالحكومة الدستورية هي الأصح، ولكن صحة هذه الترجمة في نفسها لا تحمل علي تعديل قرارنا، لأن هناك أسبابا أخرى غيرها، ولأن إيرادها في المكان الذي وردت فيه من البلاغ مع عدم اقتضاء المقام لها بعد التصريح فيه بأن مأمورية اللجنة هي التي حددتها الحكومة ووافق عليها البرلمان يوقع في الذهن بأن المقصود بها هو المعنى الذي فهمناه، والقول بأن القصد منها إنما هو ألا يكون الاتفاق إلا مع حكومة دستورية لا يتفق في ظاهره مع كون هذه العبارة وردت علي أنها نتيجة للتعاقد لا وسيلة له".

"ومع ذلك فإذا كان القصد منها هو كما يؤكد جنباه من (أن الحكومة الإنجليزية لا يصح أن ترتبط بمعاهدة إلا مع حكومة ذات نظام دستوري) لزم قبل كل شيء وضع هذا النظام لتشكيل حكومة دستورية تكون أهلا للتعاقد علي تحديد العلاقات بين مصر وإنجلترا".

#### **تحبيذ سعد زغلول لفكرة حكومة ذات نظام دستوري**

يخاطب سعد زغلول باشا زميله عدلي يكن باشا في صفاء ذهني كان يتميز به في معالجته للأمر فيقول :

"ولا أخفي عليكم أن فكرة هذا النظام خطرت أول الأمر ببالنا علي أنها الوسيلة القانونية لحل المسألة، لذلك نحن نوافق كل الموافقة عليها بل نحبذها، والطريقة المثلي للوصول إلي هذه الغاية في رأينا هي أن يبدأ بتأليف وزارة من غير أعضاء الوفد، موثوق بها، ويكون (البرنامج) الذي تعلنه هذه الوزارة هو وضع ذلك النظام ثم المفاوضات مع الحكومة الإنجليزية بغرض الوصول إلي وضع اتفاق يضمن استقلال مصر التام ومصالح إنجلترا الخصوصية، ثم عرض ما تنتهي المفاوضات إليه علي الهيئة النيابية التي تتألف بموجب ذلك النظام للتصديق، ومتي تم تشكيل الوزارة علي هذا النحو وأعلنت (برنامجها) علي هذه الصيغة أو بما في معناها لا نتردد نحن وزملائنا في العودة إلي مصر لمساعدتكم علي القيام بمهمتكم لدي الأمة، والسعي في أن تنتخب أعضاء في تلك الهيئة، إذا تم لكم أن تفعلوا ذلك خدمتم بلادكم أجل خدمة وخلصتم لكم في التاريخ أحسن الذكرى"

وعلى سعيد آخر ، فقد أرسل سعد باشا إلي عدلي باشا برقية من باريس في ١٣ فبراير سنة ١٩٢٠ قال فيها: "نتمسك برأينا في موضوع عودتنا إلي مصر، ونظرا لأننا لم نفكر مطلقا في ذهابنا إلي (لندن) فإننا سنفحص المسألة متي قدم لنا اقتراح، وبما أن المفهوم من عبارة Self Governing institutions أن الحكومة البريطانية لا تتعاقد إلا مع حكومة دستورية فقد صار إذن من اللازم مبدئيا تحضير دستور بتأليف وزارة ثقة يكون برنامجها تحضير هذا الدستور ثم

المفاوضة للوصول إلي مشروع معاهدة تضمن لمصر استقلالها ولبريطانيا مصالحها الخاصة، ويجب أن يعرض هذا المشروع علي تصديق الجمعية النيابية التي ينشئها الدستور الحديث، وقد سبق إرسال خطاب تفصيلي»

### **مقارنة الرافي وزارة الثقة بوزارة شريف باشا**

ويعقب الرافي على هذا التتابع كله بقوله:

« فلما ألف عدلي باشا وزارته في ١٥ مارس سنة ١٩٢١، كانت هي «وزارة الثقة» التي دعا سعد إلي تأليفها، ومن هنا جاءت تسميتها «وزارة الثقة»، فلا غرو أن قوبلت بابتهاج الأمة واغتيابها، وجاءتها البرقيات من مختلف الهيئات، كما جاءت الوفود من كل ناحية تعلن هذا الابتهاج، وكانت من هذه الناحية تشبه وزارة شريف باشا التي تألفت سنة ١٨٨١ في إبان الثورة العربية، نزولا علي إرادة الأمة، وقوبل تأليفها بالاغتياب العظيم، وسميها «وزارة الأمة».

«ومن غرائب المصادفات أن مصير وزارة عدلي كان شبيها بمصير وزارة شريف باشا، بل كان أسوأ منه، وانتهت بمثل ما انتهت به الأولي، إذ استهدفت كلتا الوزارتين للسقوط بين مظاهر السخط والاستنكار، وفي الحق أن نصيب عدلي من هذه المظاهر كان أكبر بكثير من نصيب شريف باشا».

### **رئاسة الوفد الرسمي للمفاوضات**

هكذا تولي عدلي يكن باشا أثناء رياسته لوزارته الأولي رئاسة الوفد الرسمي للمفاوضات مع بريطانيا .

### **عودة سعد من منفاه في أثناء وزارته**

عاد سعد زغلول إلي مصر في أبريل ١٩٢١ ، فاستقبل استقبال الفاتحين ، وقد سعدَ هذه الاستقبالات بمنزلة تفويض عام له من شعب مصر، ورأى أنه الوحيد الذي يجب أن يفاوض البريطانيين ولا أحد سواه، ، و رفض الاشتراك مع الآخرين في مفاوضة بريطانيا، بينما أعلن عدلي باشا في ٢٥ أبريل ١٩٢١ أنه سيمضي في المفاوضات بسعدٍ أو بغير سعد.

### **فكرة أن جورج الخامس يفاوض جورج الخامس**

وردّ سعد زغلول على تمسك عدلي باشا برئاسة وفد المفاوضات فقال: «إن عدلي معيّن من قبل السلطان، والسلطان معيّن من قبل الإنجليز». ومعنى أن يفاوض عدلي الإنجليز أنّ «جورج الخامس» يفاوض «جورج الخامس»،

### **عدلي وكيرزون ومفاوضات الشهور الخمسة**

في يوليو ١٩٢١ وصل رئيس الوزراء المصري عدلي يكن إلى لندن، ليتفاوض مع اللورد كيرزون وزير خارجية بريطانيا، لإنهاء الأحكام العرفية والحماية البريطانية المفروضة على مصر منذ سبع سنوات ، وقد أمضى عدلي باشا وصحبه شهور الصيف في محادثات ومفاوضات

مع «اللورد كرزون» حيث عقدا ستة اجتماعات خلال شهري يوليو وأغسطس واجتمع عدلي مع لندساي وكيل وزارة الخارجية البريطانية خلال الشهرين التاليين سبتمبر وأكتوبر.

بدأ عدلي بالمطالبة بأن تنسحب القوات البريطانية إلى منطقة قناة السويس وأن تعود وزارة الخارجية المصرية للوجود وأن يكون لمصر تمثيلها السياسي في الخارج فقد كان كيرزون حريصاً على أن يطيل المفاوضات أملاً في قتل الوقت بينما كان المندوب السامي البريطاني في مصر الذي يحس بحرارة الوطنية الملتهبة ولهذا كان يرى أن فشل المفاوضات سيثقل الثورة.

وقد اقترح أَلنبي على مجلس الوزراء البريطاني في ٣ نوفمبر عام ان تنسحب القوات البريطانية من القاهرة والإسكندرية إلى مناطق منعزلة خارج المدينتين بعد عام من الهدوء. لكن رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج رفض .

وفي ١٠ نوفمبر ١٩٢١ قدم كيرزون إلى عدلي مشروع معاهدة جديد وافق عليه مجلس الوزراء البريطاني بمنح مصر استقلالاً ذاتياً بشرط أن تكون سياستها الخارجية متفكرة ومتناسقة مع السياسة البريطانية وأن يبقى موقع ومنصب المندوب السامي كما هو ويحتفظ بلقبه وتبقى القوات البريطانية في مصر. ولكن عدلي اعتبر العرض غير كافٍ.

وفي ١٩ نوفمبر ١٩٢١ أنهى عدلي باشا المفاوضات حيث رأى أن قطع المفاوضات خير من قبول عرض إنجلترا وهكذا عاد إلى مصر دون أن يستطيع أحد التشكيك في وطنيته.

وعلى وجه العموم فإنه يمكن لنا القول بأن مفاوضات عدلي كيرزون تمحورت حول هذه المطالب التي لخصها زميله ثروت باشا حين عرض عليه ان يخلفه في رئاسة الوزراء:

- تعهد الحكومة البريطانية بإلغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر.
- إعادة وزارة الخارجية المصرية التي ألغيت عام ١٩١٤.
- رفع الأحكام العرفية.
- إيجاد برلمان مشكل من هيتين: إحداهما مجلس نواب، والأخرى مجلس شيوخ ويكون للبرلمان السلطة التامة على اعمال الحكومة وتكون الوزارة مسؤولة أمامه.
- إطلاق يد الوزارة بلا مشاركة إنجليزية في جميع أعمال الحكومة تمكيناً لها من تحمل مسؤولية الحكم أمام البرلمان.
- ألا يكون للمستشارين الإنجليز في الوزارات إلا رأي استشاري وأن يبطل ما للمستشارين الآن من حق في حضور جلسات مجلس الوزراء.
- حذف وظائف المستشارين في القريب العاجل ماعدا وظيفتي مستشاري الحفانية والمالية فإنهما تبقيان إلى ما بعد ظهور نتيجة المفاوضات الجديدة.
- استبدال الموظفين الأجانب بموظفين مصريين وتعيين وكلاء مصريين على الفور لجميع الوزارات وهم: وكيل للمالية، ووكيل للخارجية، ووكيل للمواصلات، ووكيل للأشغال العمومية، ووكيل للداخلية، وآخر للصحة.



- الدخول في مفاوضات جديدة، بعد تشكيل البرلمان المصري ، مع الحكومة البريطانية بواسطة هيئة مصرية يشرف البرلمان المصري نفسه على تعيينها ، وذلك للنظر في مسألة السودان وفيما لا ينافي استقلال البلاد من الضمانات التي تطلبها الحكومة البريطانية تأميناً لمصالح الإمبراطورية البريطانية ومصالح الأجانب في مصر ، وذلك كله بشرط أن تكون هذه المفاوضات غير مقيدة بشرط أو قيد من القيود أو الشروط المبينة في المشروع الذي قدمه اللورد كيرزون وزير خارجية بريطانيا ، وبعد الانتهاء من هذه المفاوضات يكون القول الفصل في نتیجتها للامة المصرية الممثلة في برلمانها.

### استقالته

عاد عدلي باشا إلى مصر يوم ٥ ديسمبر ، بعد خمسة أشهر قضاها في لندن ، وقدم استقالته إلى السلطان أحمد فؤاد بعد ثلاثة أيام من عودته وتردد السلطان في قبولها ١٦ يوماً ، وظلت البلاد بلا وزارة لأكثر من شهرين حتى قبل ثروت باشا تشكيل أولي وزاراته (مارس ١٩٢٢).

### دوره في الاستقلال وتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢

ظل عدلي باشا كما نعرف مشاركا بقدر كبير في أهم التحولات في مستقبل مصر في الفترة التي شارك فيها في السياسة الخارجية، أيا ما كان تقييمنا لنتائج مشاركته أو ما قبل به أو سعى إليه ، فهو الذي قبل مع رشدي باشا بالحماية البريطانية وبعزل الخديو عباس حلمي وتولية السلطان حسين كامل محله واستمرار الوزارة كما هي، وقد حصل في مقابل هذا علي صيغة من بريطانيا كانت بمثابة مستند رئيسي في مساعي الوفد المصري بعد هذا من أجل الاستقلال.

و في حقيقة الأمر فإني أرى أن مفاوضات عدلي يكن المطولة و المتعمقة هي التي أدت بطريقة غير مباشرة الى صدور تصريح ألنبي في ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وهو التصريح الذي أعلن فيه استقلال مصر، وصار لقب السلطان : ملك مصر والسودان.

والأهم من هذا بالطبع أن عدلي باشا مع ثروت كانا صاحبي الفضل في تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذي صدر من جانب واحد ، واعترف باستقلال مصر ، وبدأت بناء عليه حياة سياسية جديدة في مصر فأعلنت الملكية، وأعلن الاستقلال، وعادت وزارة الخارجية إلي الوجود، ووضع الدستور وأجريت انتخابات تشريعية ، وتشكلت وزارة حزبية ، وافتتح البرلمان.. إلخ.

### رئاسته حزب الأحرار الدستوريين

كان عدلي يكن باشا من أبرز الوجوه بين مؤسسي حزب الأحرار الدستوريين، وتولى رئاسته، بل كان أول رؤسائه .

وتعود الفكرة في انشاء هذا الحزب الى بداية ١٩٢٢ بعدما عاد عدلي يكن من مفاوضات ١٩٢١ حيث اقترح جماعة من مؤيديه أن يؤلف حزبا يعارض سعد زغلول باشا وقد رفض الفكرة في البداية وقال: "إن تأليف حزب ليعارض حزبا آخر في مسألة المفاوضات أمر غير معقول، لأن المفاوضات واستقلال الأمم لا يكونان إلا باتحادهما، ولا يمكن أن يكون لرجلين في وطن واحد

رأيان مختلفان في هذه المسألة"، ولهذا اعتذر عن إجابة ما طُلب منه. لكن الأمور سارت في طريقها الذي نعرفه و تألف ذلك الحزب و صمم مؤسسه على أن يسلموا قيادته لعدلي باشا فكان أول رئيس له من ٢٩ أكتوبر ١٩٢٢-١٧ يناير ١٩٢٤ حيث استقال عدلي باشا من رئاسة الحزب ، وحاول الابتعاد عن السياسة من دون أن يعتزلها، وخصّص نشاطه للأعمال الخيريّة والاجتماعية.

### عودته لرئاسة الوزارة

عاد عدلي يكن باشا لتولي رئاسة الوزارة مرتين، وفي هاتين المرتين (الثانية والثالثة) أخذ بتقليد الاحتفاظ بوزارة الداخلية لنفسه مع رئاسة الوزارة.

ومن الجدير بالذكر أن عدلي يكن باشا جاء إلي رئاسة الوزارة من أجل حل مشكلات لا من أجل المنصب ذاته، وبتوافق مع القوي الشعبية ، ولولا دخول عدلي باشا في ائتلاف ١٩٢٦ ما عاد الحكم إلي الوفد والشعب، كما أن وزارته الثالثة في ١٩٢٩ هي التي مهدت لعودة النحاس باشا. وهكذا يبين لنا أن عدلي لم يصل إلي رئاسة الوزارة إلا باتفاق مع الوفد أو بموافقته، ولم يصل إليها من أجل تحطيم الوفد أو معاداته أو القضاء عليه علي نحو ما كان الهدف المعلن في وزارات الزعماء الثلاثة إسماعيل صدقي، ومحمد محمود، وأحمد ماهر.

### وزارته الثانية

على نحو ما لقيّ عدلي يكن باشا الترحيب وهو يشكل وزارته الأولى في ١٩٢١ التي سميت وزارة الثقة وتشكلت بناء علي توافق أو اتفاق مع الوفد، فإنه شكل وزارته الثانية بالثقة أيضا ، فقد كانت وزارة ائتلاف مع الوفد بزعامة سعد باشا زغلول.

وقد عاشت وزارته الثانية ما بين ٧ يونيو ١٩٢٦ و ٢١ أبريل ١٩٢٧ أي أنها استمرت أكثر من عشرة شهور، وقد احتفظ فيها لنفسه بمنصب وزير الداخلية، وهي الوزارة الائتلافية الأولى التي تكونت من الوفد والأحرار الدستوريين.

### وزارته الثالثة

أما وزارته الثالثة فقد ألفها عدلي يكن باشا عقب إسقاط الشعب لوزارة محمد محمود باشا وعاشت ما بين أكتوبر ١٩٢٩ - أول يناير ١٩٣٠، أي أنها استمرت لأقل من ٣ شهور ، وكانت وزارة محايدة لإجراء الانتخابات، وأجريت الانتخابات في شهر ديسمبر من تلك السنة ، وسرعان ما تخلي عدلي يكن باشا عن الحكم ليتولاه حزب الغالبية. و هكذا فإنه على حين كان خلفه في رئاسة الوزارة بعد وزارته الأولى والثانية هو ثروت باشا، فإن خلفه في وزارته الثالثة كان هو الزعيم الفائز بالانتخابات وهو النحاس باشا.

### تولى إعادة العمل بالدستور

وفي عهد وزارته الثالثة كان هو الذي نفذ الإصلاح السياسي وأعاد العمل بالمواد التي عطل محمد محمود باشا العمل بها من دستور ١٩٢٣، وحدد الدوائر الانتخابية لمجلس النواب بـ ٢٣٥

دائرة، واستصدر المراسيم الخاصة بدعوة الناخبين لانتخاب مجلس النواب .

### إنجازات وزاراته

ومع هذا الدور المعني في جوهره بالإصلاح السياسي والتحول الديمقراطي فقد حقق عدلي باشا في وزارته الثلاث عدة إنجازات مهمة .

### الإصلاح الزراعي

ففي عهد وزارته الثالثة على سبيل المثال واصل تنفيذ سياسة الإصلاح الزراعي المبكرة فوزع خمسة آلاف فدان علي صغار المزارعين في الغربية (وهو ما حرصت ثورة ١٩٥٢ على أن تخفيه من التاريخ )

### كهربة الجيزة

وأنجزت وزارة عدلي يكن باشا إنجازاً مهماً لمدينة الجيزة بضمها إلي المنطقة الممنوحة لشركة الكهرباء في القاهرة لإنارتها، موسعا بهذا من نطاق مزايا العاصمة لتشمل ما سمي بعد ذلك بالقاهرة الكبرى ، لكنه مع ذلك كله كان هو من قرر تأجيل النظر في مشروع توليد الكهرباء اعتماداً علي خزان أسوان والبالغ تكلفته ٥ملايين جنيه

### المتحف الزراعي

وكان عدلي يكن باشا مع الملك فؤاد صاحب فضل في إنشاء المتحف الزراعي بالقاهرة، وقد اعتمد لإنشائه ما يزيد علي ثلاثين ألف جنيه في أثناء وزارته الثالثة.

### تطوير مدينة الأقصر

كان عدلي باشا أول من اهتم بتطوير مدينة الأقصر فزودها بالمياه وفتح صيدلية بها في عهد وزارته الأولى.

### إقامة تمثال نهضة مصر

وفي عهد وزارته تولت الحكومة إقامة تمثال نهضة مصر في ميدان المحطة (رمسيس الآن ) ، وانتهت الحكومة إلي إقرار مبدأ فرض الرقابة والمنع علي الأفلام السينمائية. كما اهتم بكثير من النواحي الصحية وتولي إنشاء مراكز رعاية الطفل بالقاهرة.

### أدائه الاقتصادي في وزارته

وفي عهده عمدت اوزارته إلي زيادة مواردها الاقتصادية فقررت :

- زيادة الرسوم الجمركية علي الفحم والمازوت إلي ٨٪
- وعلي الأخشاب (ما عدا خشب الوقود) إلي ١٠٪
- وعلي البنزين والزيت المدني إلي ١٥٪ .
- زيادة رسوم الرصيف علي البضائع الواردة إلي ميناء بورسعيد لتصل إلي ٧ في الألف،
- وزيادة الرسوم المستحقة علي الكحول عند الاستيراد .
- فرض رسم استهلاك أو رسم إنتاج على بعض الأصناف بنسبة ٢٪ من قيمتها..

### كبرياؤه في استقالته من وزارته الثانية

نأتي إلى قصة استقالة وزارة عدلي باشا الثانية بسبب حساسيته المفرطة وحرصه على كرامته ولعل أبلغ من وصف وقائعها هو الدكتور محمد حسين هيكل باشا في مذكراته حيث قال: «... برغم هذا كله، كان عدلي باشا يزداد شعوراً يوماً بعد يوم بدقة موقفه في رئاسة الوزارة. ألم تكن أزمة الجيش ظاهرة تدل علي عدم رضا الإنجليز عن اطمئنان الأمور في عهده؟ ألم يكن نشاط النواب نشاطاً هو بمعارضة الوزارة أشبه، شاهداً بأن معني الائتلاف شابته بعض الشوائب؟ ولعله شعر من ناحية القصر بشيء كذلك»

### نقد النائب الدستوري أحمد عبد الغفار لميزانية السراي

" فقد ألقى نائب تلا أحمد بك عبد الغفار خطاباً في البرلمان بمناسبة نظر الميزانية، نقد فيه ميزانية السراي الملكية نقداً لا يخلو من القسوة. ولم يكن لعدلي باشا ولا لوزير في وزارته يد في ذلك. لكنه أمر لا يدعو إلي رضا الملك عن سير الأحوال في برلمان الائتلاف. دعت هذه الأمور كلها عدلي باشا، وهو مَنْ هو دقة حس وشدة أنفة، أن يشعر بدقة موقفه في رئاسة الوزارة.»

«ودفع هذا الشعور بعض الناس إلي الظن بأن ما كان يوجه إلي الوزارة في البرلمان إنما كان مرجعه إلي أن الوفديين، أصحاب الأغلبية البرلمانية، حسبوا الفرصة سانحة ليتولوا الحكم وحدهم في وزارة يرأسها سعد باشا. ولم يبق هذا الظن مكتوماً في نفوس أصحابه، بل تحدث الناس به همساً في المجالس. ولست أدري: أبلغ هذا الهمس مسامع عدلي باشا؟

" لكن ما حدث من بعد يدعو إلي كثير من الظن والتأويل. فقد اعتكف سعد باشا أثناء جلسات شهر أبريل سنة ١٩٢٧، ولم يجلس في رئاسة مجلس النواب، بل كان يتولى الرياسة وكيل المجلس مصطفى باشا النحاس. وفي هذه الأثناء كانت تناقش الميزانية.»

### السبب المباشر لاستقالته : تعليق لعبد السلام جمعة باشا

ثم يصل الدكتور محمد حسين هيكل باشا إلى رواية تفصيلات الواقعة التي دفعت عدلي باشا للاستقالة والتي كان بطلها هو عبد السلام فهمي جمعة باشا رئيس مجلس النواب فيما بعد :

« وحدث في جلسة ١٧ أبريل أن تكلم بعض الأعضاء فيما يقوم به بنك مصر من مجهود في سبيل تعضيد الاقتصاد القومي عن طريق شركاته المختلفة، وفي تعضيد الحكومة إياه، وفي ضرورة مضاعفتها هذا التعضيد للمصلحة العامة. وانتهت المناقشة باقتراح تقديم الشكر للحكومة علي تعضيدها بنك مصر، وطلب المزيد من هذا التعضيد.

" وعارض النائب الوفدي الأستاذ عبد السلام فهمي جمعة المحامي في اقتراح الشكر، قائلاً: إن الحكومة لم تصنع أكثر من أن نفذت ما أراده المجلس، فهي لا تستحق الشكر. ورفض مجلس النواب الاقتراح، فانسحبت الحكومة إلي غرفة رئيس الوزارة، و رأي عدلي باشا في رفض قرار الشكر ولهجة الكلام الذي قيل حين نظر الميزانية، ما لا يدل علي ثقة المجلس بالحكومة الثقة الكافية لبقائها في منصبها.

"وعلي ذلك قررت الوزارة بإجماع الآراء الاستقالة، وتفاهم الوزراء علي ألا يعود (أحد) منهم إلي منصبه، وسمع النحاس باشا بما يدور فرفع جلسة المجلس، ثم أعادها وصارح المجلس بشعور الوزارة إزاء رفض الشكر، فدهش المجلس لاعتبار عدلي باشا هذا الرفض بمثابة عدم ثقة، وأعلن إجماعه علي الثقة بالحكومة، وذهب بعضهم إلي إعادة النظر في اقتراح الشكر، ودارت مناقشة حول هذا الموضوع انتهت إلي غير نتيجة".

"و كان عدلي باشا من جانبه قد انتهى إلي ضرورة تقديم الاستقالة فوراً فقدمها. وبلغ الأمر سعد باشا، وكان ببلدة مسجد وصيف حيث توجد عزبته، فسارع عائداً إلي مصر ليعالج الأمر. ولم يطل به البحث ليعلم أن عدول عدلي عن استقالته أمر غير ممكن".

### **ثناء الرافي علي استقلالية عدلي يكن**

وقد أئني أستاذنا الرافي علي عدلي يكن في مواضع عديدة من كتبه، فهو يئني عليه حين كلف بتشكيل وزارة محايدة عقب استقالة وزارة محمد محمود باشا في أكتوبر ١٩٢٩:

«ويتضح لك من تأليف وزارة عدلي في أعقاب وزارة محمد محمود، أن عدلي باشا انفصل نهائياً عن حزب الأحرار الدستوريين، وقد انفصل عنهم فعلاً منذ أن استقال من رئاسة حزبهم سنة ١٩٢٤، وفي الحق أنه من يوم أن استقال من هذا الحزب برئت سياسته من أساليب الالتواء وإهدار حقوق الشعب التي درج عليها جمهور «الأحرار الدستوريين، لذلك لم يشترك في انقلاب سنة ١٩٢٨ الذي تم على أيديهم، وقد وقف أيضاً موقفاً مشرفاً في استنكار هذه الأساليب حين ألف إسماعيل صدقي وزارته سنة ١٩٣٠».

### **ثناء الرافي علي موقفه من انقلاب صدقي باشا**

كما أئني الرافي في موضع ثان من كتابه «في أعقاب الثورة» على موقف عدلي باشا من حكومة إسماعيل صدقي باشا وقرارها تأجيل انعقاد البرلمان ثم إغلاق أبوابه فيقول:

«وأرسل عدلي باشا يكن رئيس مجلس الشيوخ إلي إسماعيل صدقي باشا بتاريخ ٢٤ يونيو سنة ١٩٣٠ كتاب احتجاج على إغلاق الحكومة أبواب البرلمان وقال:

«حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

«تنص المادة ١١٧ من الدستور علي أن كل مجلس له وحده المحافظة علي النظام في داخله بواسطة رئيسه، وأنه لا يجوز لأية قوة مسلحة الدخول في المجلس ولا الاستقرار علي مقربة من أبوابه إلا بطلب رئيسه».

«علي أنه قد حدث أمس أن أرسلت الحكومة قوة أحاطت بالمجلس من غير طلب منا، بل إنها تجاوزت ذلك إلي الدخول في فناءه وإلي إغلاق أبوابه لمنع الأعضاء من الوصول إلي قاعة الجلسة».

«فأري من واجبي أن أحتج إلي دولتكم علي هذا العمل لمخالفته لحكم الدستور».

«وتفضلوا بقبول فائق الاحترام».

ثم يعلق أستاذنا الراجعي علي هذا الموقف الذي اتخذته عدلي يكن فيقول:  
«كان لصدور هذا الاحتجاج من عدلي باشا صديق صدقي القديم والمشهود له من خصوم الدستور بالاعتدال والاعتزان أثر بليغ في إبراز العدوان الذي وقع من الوزارة، كما كان هذا الموقف خليقاً بالتقدير والثناء، وقد أضفي علي شخص عدلي هالة من الكرامة والإباء، فلقد وقف في صف الشعب ذائداً عن حقوقه، رغم نشأته الأرستقراطية وصلاته العالية، فكان موقفه رائعاً مجيداً».

### احتجازه على احتلال الجيش للبرلمان

وفي موضع تال يشير الراجعي إلي الاحتجاج الثاني لعدلي باشا علي تصرفات وزارة إسماعيل صدقي فيقول:

«.. واحتج عدلي باشا للمرة الثانية علي احتلال القوات المسلحة دار البرلمان، وأرسل يوم ٢١ يوليو ١٩٣٠ بكتاب الاحتجاج الآتي إلي رئيس الوزارة قال:

«بتاريخ أمس (٣٠ يوليو) توجهت قوة مسلحة من رجال الجيش والبوليس إلي دار البرلمان فأحاطت به، ثم اقتحم قسم منها أبوابه، وطلب إلي قومندان حرس البرلمان إخلاء الثكنة التي يشغلها ذلك الحرس فأبدي القومندان عدم إيمانه إجابة هذا الطلب إلا بأمر منا (أي من رئيس مجلس الشيوخ)، وطلب أن يؤتي له بهذا الأمر أو أن يمهل حتي يتمكن من استئذاننا، فأبت القوة الاستماع له وأخرجت رجاله عنوة من الثكنة وتزرون دولتكم أن في إحاطة دار البرلمان بقوة مسلحة مخالفة لنص المادة ١١٦ من الدستور، يزيدا خطورة انتهاك هذه القوة لحرمة البرلمان بدخول داره وإخراج حرسه عنوة من ثكناتهم».

«فإزاء تكرار هذا الحكم الدستوري لا يسعني إلا أن أكرر لدولتكم احتجاجي علي هذا العمل».

### استقالته من رئاسة الشيوخ في أكتوبر ١٩٣٠

ويشير الراجعي إلي موقف عدلي يكن باشا المشرف في مواجهة إلغاء إسماعيل صدقي باشا لدستور ١٩٢٣ فيقول:

«وكان عدلي باشا من المعارضين لهذا الانقلاب، وقد بلغه، وهو في أوروبا، اعتزام الوزارة إصدار دستورها، فأرسل بطريق البرق يستقبل من رئاسة مجلس الشيوخ في أكتوبر سنة ١٩٣٠ قبل أن يصدر الأمر الملكي بإلغاء الدستور، وكانت استقالته احتجاجاً علي اعتداء الوزارة المتكرر علي الدستور، وإعلاناً منه عن عدم إقرار نظام الحكم القائم وقتئذ في البلاد، وجاءت هذه الاستقالة تأييداً لحقوق البلاد، وهي من مواقف المشرفة الدالة علي نبلة وترفعه عن الاشتراك في المؤامرات ضد الشعب».

### المؤتمر الوطني والميثاق القومي مايو سنة ١٩٣١

سجل عدلي باشا بعد هذا عدداً من المواقف التالية معارضا بها الاستبداد فكان من أركان المؤتمر الوطني الذي قرر في مايو سنة ١٩٣١ مناهضة دستور صدقي وعدم الاعتراف بالانتخابات التي جرت علي أساسه، وأقر الميثاق القومي، و كان في مقدمة من وقعوا الميثاق

الوطني المناهض للحكومة وانقلابها ، وظل متمسكا بهذا الميثاق مجهضا بهذا الموقف أي تطبيع مع عهد ديكتاتورية صدقي باشا . وكما قال الرافعي فإنه وظل وفياً لهذا الميثاق حتي انتقل إلي جوار ربه ، راضياً مرضياً، مذكوراً بالخير، مشهوداً له بالنبل والاستقامة، والإباء والكرامة.

### ذريته

رزق عدلي باشا يكن بابنة وحيدة هي نايلة هانم ، وقد تزوجت في سنة ١٩٢٤ من شريف صبري باشا شقيق الملكة نازلي وخال الملك فاروق ، وقد توفيت إلي رحمة الله في نوفمبر سنة ١٩٣٣ عقب وفاة والدها مباشرة.

### قصيدة الشاعر علي محمود طه في رثاء عدلي يكن باشا

على الرغم من أن الشاعر علي محمود طه لم يعرف بشعره الاحتفالي فإن له قصيدة جميلة معبرة كشعره العذب يرثي فيها عدلي باشا مصورا عودة جثمانه ليدفن في أرض مصر :

### في استقبال السفينة التي تحمل الجثمان

وقفة بالشواطئ المحزونه  
وَدَّ حَوَّلُوا إِلَى السَّيْنِ مَجْرًا  
و مشى الشهيد للوطن الثَّاء  
دنت الدَّار يا سفينة إلَّا  
فاهدئي في ضفاف مصر و قرِّي  
قرَّبِّي من أديمها هيكَل الحقِّ  
لحظة يشتكي المتيمِّ فيها  
و لك الله يا شواطئ فيمن  
ذهبت بسمة الثَّغور و حالت  
ما عرفت السَّفين من عهد نافا  
خرجت منك ليلة البحر غرًا  
ثمَّ آبت إليك منكوسة الصَّو  
فسلي البحر هل غدا لك أو را  
ما شهدت الأيام غير سواد

### موته في الغربية

كلَّ يوم تستقبلين شهيدا  
أو طريدا وراء بحر تحامى  
فاذكري الآن يا شواطئ عينا  
واحلمي الوافد الكريم حنانا  
وإذا ضقت بالأسى فاستمدي النَّد  
ذاق في وحشة الغريب منونه  
أن يرى مصر في الحديد سجينه  
شجعت بالبكاء كلَّ سفينه  
و النَّمى ثغره و حيَّ جبينه  
وح من كلِّ قرية و مدينه

سائلي الرّيح أن تضجّ عويلا  
ذاك وادي البكاء، و ما بعجيب  
يا شهيد الأحرار لا كان يوم  
فزع النّيل بالظّنون إليه  
كلّ جرح أسأل جرحك حتّى  
لو تلفتّ خلف نعشك يا عد  
كنت أهلا لبرّها و هواها  
و سلي البحر أن يجنّ جنونه  
أن يرى النّاس في البكاء فنونه!  
كم تمنّى في الغيب ألا يكونه  
فتحدى رجاءه و ظنونه  
رسفت مصر في الجراح النّخينة  
لي لراعتك أمّة مسكينه  
و هي كانت بمن تحبّ ضنينه!

### جدوى الدموع

كيف لا تستقلّ في حقّك الدّم  
ما بكاء على الذي تخذ الأو  
ما بكاء على الذي حبس القلب  
ما بكاء عليه لو كان يفدى  
يل رسول السّلام في كل حين  
ع و لا ترخص الدّموع التّمينه؟  
طان دنياه في الحيّاة و دينه؟  
ب عليها، و جيبه، و سكونه؟  
كنت يا مصر برّة تفنديه!!  
فقدت مصر و حيه و أمينه

### ذكرى سعد و ثروت

ذكر النّاس فيك أيام سعد  
و تتاجوا بذكر ثروت حتّى  
عرضوا الذّكريات فاهتجن فيهم  
دنت بالنّبل و الوداعة قلبا  
فبكوا رحمة لما يذكرونه  
رجعوا الأمس و استعادوا شؤونه  
كامن الحزن و الهموم الدّفينه  
عجز البطش و الأذى أن يليه

### وصفه الشاعري لعلاقة عدلي يكن بسعد زغول

عقدت كفه بكفك عهدا  
و تعانقتما و ما كنت إلا  
يا نصير الحقوق أثرت حقا  
فتم الآن في ثرى مصر و انزل  
لم يمت من حديثه يملأ الوا  
تأخذ الظّالمين صيحته الكب  
يتمنى العدوّ ألا تصونه  
عون سعد و إلفه و خدينه!  
كلّ نفس بما قضاه رهينه  
منزل الحبّ و الهدى و السّكينه  
دي و يطوي سهوله و حزونه  
رى و تستعذب السّماء رنينه

### وفاته

في ١٩٣٣ سافر عدلي باشا يكن إلي فرنسا علي عادته كل صيف، وتوفي في باريس في الساعة السابعة من صباح ٢٢ أكتوبر ١٩٣٣، ونقل جثمانه إلي مصر.



## الباب الثالث

### عبد العزيز فهمي باشا القاضي الأول والزعيم الثاني

عبد العزيز فهمي باشا (١٨٧٠ - ١٩٥١) اسم كبير من الأسماء الكبرى في عصر الأسماء الكبرى، وهو صاحب شخصية مرموقة كما أنه من أبرز رموز عصر النهضة، وقد وصل إلى مكانة قاضي القضاة كما وصل إلى منصب نقيب المحامين (ثلاث مرات) ونائب رئيس المجمع اللغوي و رئيس ثاني الأحزاب المصرية (مرتين) ، وهو ما لم يجتمع لأحد هكذا سواه . وهو أيضا المصري الوحيد الذي أطلق اسمه علي خط من خطوط مترو مصر الجديدة ، وحدث هذا منذ عقود كاملة قبل أن تطلق أسماء بعض الزعماء والرؤساء علي بعض محطات خطوط مترو الأنفاق وليس علي خط بأكمله.

عبد العزيز فهمي باشا هو أول الزعماء تأثرا بسعد زغلول باشا ، وإذا كان النحاس باشا هو التلميذ الأوفى لسعد زغلول فإن عبد العزيز فهمي هو تلميذه الأول على الرغم مما شاب علاقتهما من الجفاء الذي صعّده التلميذ لا الأستاذ .

#### نشأته و صعوده

ولد عبد العزيز فهمي باشا في كفر المصيلحة من قري محافظة المنوفية في ٢٣ ديسمبر ١٨٧٠ ، و تلقى تعليماً أزهرياً استغرق منه بعض سنواته الأولى ثم تحول إلى التعليم المدني ثم التحق بمدرسة الحقوق و تخرج فيها ، وعمل في وظائف النيابة العامة في المنصورة وطنطا وقنا ونجع حمادي وبني سويف وفي ١٨٩٧ تعاقد على العمل نائبا للمستشار القانوني لديوان الأوقاف وفي ١٩٠٣ افتتح مكتبا للمحاماة و امتهن المحاماة و سرعان ما أصبح من المحامين البارزين.

#### في الجمعية التشريعية

انتخب عبد العزيز فهمي باشا عضواً في الجمعية التشريعية ١٩١٣ فكان واحدا من أبرز رموز النخبة السياسية التي قدر لها أن تقود الحياة السياسية منذ ذلك الحين وحتى منتصف القرن العشرين ، ثم كان أحد مؤسسي الوفد المصري عام ١٩١٨ فقد كان ثاني ثلاثة بدأت بهم خطوات ثورة ١٩١٩ حين ذهب مع سعد زغلول وعلي شعراوي إلى المعتمد البريطاني يطالبونه بحق مصر عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وقد سافر مع سعد زغلول إلى باريس واختلفا فعاد إلى مصر. عندما وقع الانشقاق بين سعد وأعضاء الوفد كان من أبرز معارضي سعد باشا ثم إنه انضم لحزب الدستوريين وأصبح رئيساً له مرتين (غير كاملتين) ، كان في الأولى خلفا لعدي يكن باشا الذي صمم على أن يترك رئاسة الحزب ١٩٢٤ ، وكانت الثانية عقب وفاة محمد محمود باشا في ١٩٤١ ، لكنه هو نفسه سرعان ما أثر أن يعتزل السياسة.

## توليه الوزارة

لم يشترك عبد العزيز فهمي باشا في الوزارات المصرية إلا مرتين، الأولى ضمن حصة الأحرار الدستوريين في الائتلاف مع زيور باشا في وزارته الثانية (مارس ١٩٢٥ - سبتمبر ١٩٢٥) كوزير للحقانية، وكان في ذلك الوقت رئيساً للحزب، وقد أقيمت من منصبه بسبب تداعيات أزمة كتاب الشيخ علي عبدالرازق، أما المرة الثانية فكانت في وزارة محمد محمود باشا الثانية (ديسمبر ١٩٣٧ - أبريل ١٩٣٨) وفيها قبل العمل كوزير دولة كي تضم الوزارة الشخصيات الكبيرة علي نحو ما سميت!

## سهل الاستشارة

كان عبد العزيز فهمي باشا مؤهلاً في السياسة والزعامة لأكثر مما وصل إليه لولا وقوفه بالفكر عند التدقيق الظاهري الذي يتصور أنه الصواب الوحيد ، ولو أنه ظل من طلاب الأزهر لكان المثل الأعلى للمفكرين في التدقيق لدرجة التزمّت أو من يسميهم العامة من باب المجاملة بالحنبليين نسبة إلى أتباع هذا المذهب من بين العلماء الأزهريين ، وإن كان الحنبليون يناوون بأنفسهم عن هذا الوصف الذي يطلق عليهم .

ولأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فقد عُوض عبد العزيز فهمي باشا عن جده واجتهاده وفقهه وعلمه وسلوكه بأن أصبح أول رئيس لمحكمة النقض، على حين أن استقامة خلقه وافتقاده الحدود الدنيا من متطلبات العمل السياسي ودهائه لم يصل به في المناصب الوزارية إلى أكثر من وزير فحسب، ومع أنه كان مرشحاً للمنصب الوزاري منذ بداية عهد السلطان فؤاد بل ربما كان هذا وارداً منذ عهد السلطان حسين كامل أو نهاية عهد الخديو عباس حلمي، فإنه لم يصل إلى هذا المنصب إلا في وزارة زيور الثانية (١٩٢٥) كواحد من ممثلي الحزبين المؤتلفين في وزارة من غير الأغلبية التي هي الوفد .

ولست أنكر أنني دائماً ما أوظف سيرته في حث المتصلبين والمتزمّتين علي النجاة من النظرة الجزئية في حكمهم على الأمور واللجوء إلى النظرة الكلية. فهذا هو عبد العزيز فهمي باشا يأبي العمل تحت رئاسة سعد ، لكنه فيما بعد يقبل العمل في وزارات أقلية تحت رئاسة أحمد زيور باشا ١٨٦٤-١٩٤٥ و غير زيور باشا ، وهو مضطر إلى هذا بالطبع.

## كان محظوظاً

ورغم ما يبدو من هذا الضيق في النظر إلى المجتمع المضطرب بالحركات السياسية والحركات الحزبية ، فقد كان هذا الرجل محظوظاً، فقد وصل عبد العزيز فهمي باشا مبكراً إلى رئاسة الحزب الثاني في البلاد وترك هذه الرئاسة برغبته، ولم يكن هذا هو كل الحظ الذي صادف عبد العزيز فهمي باشا ، فإن له حظوظاً أخرى كثيرة، من قبيل ما ذكرناه من أنه المصري الوحيد الذي أطلق اسمه علي خط من خطوط المترو.

ووصل عبد العزيز فهمي باشا إلى منصب نائب رئيس مجمع اللغة العربية، وهي مكانة

كبيرة جدا لأنه وصل إليها في وجود أعضاء من طبقة علي الجارم ، ومحمد الخضر حسين ، وإبراهيم حمروش ، ومنصور فهمي (الذين سبقوه إلى العضوية) وطه حسين ، والعقاد ، وهيكل ، وأحمد أمين (الذين عينوا معه أو بالأحرى عين هو معهم) .

### مكانته بين المحامين

جمع عبد العزيز فهمي باشا ، كما ألمحنا ، بين المكانتين الأولى ين في سلك القضاء والمحاماة في عصر الليبرالية ، فقد كان أول رئيس لمحكمة النقض والإبرام (النقض فيما بعد)، أي قاضي القضاة وقبلها كان رئيساً لمحكمة الاستئناف الأهلية وكان هذا المنصب هو أكبر مناصب القضاة قبل إنشاء محكمة النقض ، وكذلك كان نقيباً منتخباً للمحامين، بل إنه كان علي وشك أن يكون أول نقيب حين تأسست نقابة المحامين في بداية القرن لولا أن المحامي الأشهر الأستاذ إبراهيم الهلباوي أبدى رغبته في أن ينال هذا الشرف ، ونقل الدكتور محمد حسين هيكل هذه الرغبة إلى عبد العزيز فهمي باشا الذي تقبلها بصدر رحب وأعلن أن هذا من حق الأستاذ الهلباوي وتولي بنفسه الدعوة إلى انتخاب الأستاذ الهلباوي . وقد انتخب هو نفسه نقيباً للمحامين بعد ذلك .

ومن الطريف أن سعد زغلول باشا والنحاس باشا لم يقدر لهما أن يترشحا لهذا المنصب، على حين ناله من وزراء الوفد مرقص حنا باشا ومكرم عبيد باشا وكامل صدقي باشا ومحمود بسيوني باشا ومحمد صبري أبو علم باشا ، ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ العظيم عبد الرحمن الرافعي لم ينل هذا المنصب إلا بالتعيين في عهد ثورة ١٩٥٢ .

### تجربته في قريته

ليس هذا هو كل ما يذكره تاريخ حياة عبد العزيز فهمي باشا ، فقد دخل تاريخ التربية والتعليم في وطنه من أوسع الأبواب، ذلك أنه حين اعتزل السياسة (وساس ويسوس) أراد أن يضرب المثل بما يجب علي الوطني الحق أن يفعله، فانصرف إلى أهل قريته الأصلية يمحو أميتهم جميعاً، حتى نسجت الأساطير عن هذه القرية التي لم يبق فيها أمي ، ثم لم يبق فيها مواطن بلا وظيفة حتى إنهم صرفوا راتباً للدابة التي تنقل البريد ، ومن الحق أن نقول إنه لم يبدأ جهده من فراغ، فإن نسب التعليم في قري إقليم المنوفية مرتفعة من قديم ، وكان المصريون المفتونون بباريس وأوروبا وفرنسا يسمونها «كفر باريس»، مع أن نسبة المتعلمين في باريس لا تصل إلى ١٠٠٪، ولو لم يكن لعبد العزيز فهمي باشا في حياته كلها غير هذا الإنجاز لكفاه.

### خصامه لسعد زغلول

حفظت ذاكرة التاريخ والقانون كثيراً من المواقف التي اقتفى عبد العزيز فهمي باشا فيها أثر سعد باشا زغلول من حيث القدرة الفائقة على صياغة الصراع والتعبير عنه ببلاغة متناهية وإيجاز فائق لا حدود لقدرته علي النفاذ والتأثير في الجماهير، لكن من العجيب أن هذا الرجل خرج عن الوفد ولم يشأ أن يعود إليه أبداً .

### تصوير الدكتور هيكل لموقفه من سعد باشا

وقد صور الدكتور هيكل موقف عبد العزيز فهمي باشا من سعد زغلول باشا حيث قال :  
«أما عبد العزيز فهمي باشا فأبي أن يزور سعد أو أن يزوره سعد، ذاكراً أنه يعتقد عن إيمان أن سعداً هو الذي جر علي البلاد ما تعانیه ، وأن خلافه مع سعد لم يكن يتعلق بشخصه هو، بل بما يؤمن أن مصلحة البلاد تقتضيه. قيل له: فليزر سعد دار الحزب ودار السياسة، ففي ذلك من المعنى ما يقوي المعارضة، ويضعف الحكومة ويعيد الحياة النيابية، وكلنا نطمح في إعادتها. وكان جواب عبد العزيز: إن دار الحزب داري، ودار السياسة داري، لا فرق بينهما وبين منزلي الذي أقيم به، فليس مقبولاً أن أرفض زيارة سعد منزلي، وأن أقبل زيارته دار الحزب. وتشبث عبد العزيز بموقفه هذا تشبثاً لم يكن بد من النزول علي رأيه فيه».

### تصوير سعد زغلول لعلاقتهم

أما سعد زغلول باشا نفسه في مذكراته فإنه صور علاقته المبكرة بعبد العزيز فهمي باشا تصويراً دقيقاً يوحى لنا بأن سعد باشا كان قد أدرك منذ ما قبل ثورة ١٩١٩ حقيقة بعض مشاعر عبد العزيز فهمي باشا تجاهه، ولست أدري كيف كان هذا الرجل الذي هو سعد قادراً علي التدقيق والتحقيق وربط هذه الحقائق التي يراها في وجوه أصدقائه وملامحها بما تنطوي عليه نفوسهم تجاهه.

### مقارنته بأستاذ الجيل

ومع هذا فإني أحب أن أتأمل علاقة أخرى غير علاقة سعد وعبد العزيز فهمي باشا ، وهي علاقة أحمد لطفي السيد ( المولود ١٨٧٢ ) وعبد العزيز فهمي باشا (المولود ١٨٧٠) ، فمن المصادفات الطريفة في تاريخنا أن هذين «الشابين» تزاملا في مطلع حياتهما، فلما ألحقا بالتعليم الثانوي في المدرسة الخديوية صُف التلاميذ حسب طولهم فكان من نصيب أحمد لطفي السيد أن يتقدم بسنة دراسية علي عبد العزيز فهمي باشا رغم أنهما كانا زميلين، هكذا «وضع» أحمد لطفي السيد في السنة الثانية علي حين «وضع» عبد العزيز فهمي باشا في السنة الأولى ، وظل عبد العزيز فهمي باشا يجتهد حتي ألحق بالسنة الثانية مع زميله. ولم يزل يجاهد مرة أخرى حتي تقدم للامتحان النهائي قبل موعده بسنة، وهكذا فإنه في كلية الحقوق أصبح سابقا علي زميله أحمد لطفي السيد بسنة وتخرج قبله بسنة.

ومن الطريف بعد هذا التفوق كله أنه لم يحظ بلقب أستاذ الجيل الذي حظي به أحمد لطفي السيد باشا ، وربما كان السبب الحقيقي في وصول أحمد لطفي السيد إلى هذه المكانة أنه كان متأنياً ولم يكلف نفسه ما كلف عبد العزيز فهمي باشا نفسه به، وما تكلف به أنفسنا حين نجد أنفسنا مدفوعين إلى مسابقة الزمن والجري أمام أعمارنا من دون أن ندع الزمن يعمل أثره فينا بأناة ومهل، وكثيراً ما أفيض في الحديث إلى الآباء وأولياء الأمور بهذه القصة حين أراهم مندفعين إلى البحث عن كل واسطة ممكنة لإلحاق أبنائهم بالتعليم قبل أن تكتمل السن القانونية حتى يتخرجوا مبكرين عن

أعمارهم وسابقين لأقرانهم.

وقد زاد في تعقيد الأمر في هذا الشأن أن مناصب الأبياء من قبيل رئاسة الأقسام في الجامعة أو رئاسة المحاكم في السلك القضائي تعلي من شأن هذه القاعدة الغريبة، وكانت النتيجة أن ضاع أفراد كثيرون من الجيل التالي لجيلي بسبب الدراسة المتسريعة في الشهادات أو الثانويات المعادلة وما إليها من خطوات لا تستهدف إلا التخرج المبكر.

### أحمد لطفي السيد باشا وصف صداقتهم

ومع هذا فمن الممتع أن نشير على الفارئ بأن يطالع وصف أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد باشا لصداقته بعبد العزيز فهمي باشا في مذكراته التي صدرت عن دار الهلال .

### روايات عن تفوقه في المحاماة

هناك جانب لا أظن أنه لا ينبغي لي أن أمضي في الحديث من دون أن أشير إليه ، وهو قيمة عبد العزيز فهمي باشا كمحام، فقد حقق هذا الرجل شهرة فائقة في هذا الميدان ، وأصبح بمثابة نقيب المحامين في سن مبكرة، ثم أصبح نقيباً بالفعل ، ولكن ليس معني هذا أنه كان منتصراً علي الدوام في مرافعاته علي نحو ما كان الهلباوي قد حقق من شهرة في هذا المجال، ولا أنه كان من خطباء المحاكم، لكنني أري فيه جوانب من الإبداع القانوني القابل بالطبع للتفوق.

ولهذا كله فسأكتفي بأن أشير إلى ثلاثة أمثلة من الأمثلة المتاحة في الأدبيات التارسخية :

- المثل الأول: ما يرويه سعد زغلول عن مجادلته ومحاججته له في موضوع قضية من القضايا ( والقصة في مذكرات سعد زغلول باشا ).
- المثل الثاني فهو ما يرويه صليب سامي باشا في مذكراته عن موقفيهما في إحدى القضايا ( والقصة في مذكرات صليب سامي باشا ) .
- أما الثالث فهو أن عبد العزيز فهمي باشا نفسه كان المحامي المواجه للنحاس باشا و يصا واصف باشا في قضية سيف الدين ، وقد رواها الأستاذان جمال بدوي و صلاح عيسي بأسلوبيهما الجميلين في كتابيهما . ومع أنني أو من وأدرك أن للمحامي أن يترافع في أية قضية يري من واجبه أو من حقه أن يترافع فيها، فقد كنت أظن عبد العزيز فهمي باشا لا يقبل بطبيعته وأخلاقه أن يترافع في مثل هذه القضية.

### لم ينتم للأغلبية أبدا

على كل الأحوال فإن عبد العزيز فهمي لم يكن من حزب الأغلبية ، ولا هو حظي برضا ذلك الحزب أبدا ، بل إن أدبيات الوفد واليسار على حد سواء تصوره من أعداء الشعب الذين يستحقون الشماتة في سوء المعاملة التي كانوا يلقونها من الملك والقصر .

### تعقيب الدكتور عبد العظيم رمضان على إقالته

وهذا على سبيل المثال هو تعقيب الدكتور عبدالعظيم رمضان الشامت فيما يسميه إخراج عبد العزيز فهمي باشا من الحكم في عهد وزارة محمد محمود باشا ، وهو يقصد بهذا الإخراج أنه

كان وزيرا في وزارة محمد محمود الثانية لكنه لم يحتفظ بهذا المنصب في الوزارة التالية لها :  
«وقد أقصي منها عبد العزيز فهمي باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين السابق - لثاني مرة بعد إقصائه الأول في أزمة كتاب «الإسلام وأصول الحكم»! - الأمر الذي كان له وقع الصاعقة في نفسه ، علي النحو الذي يرويها لنا الدكتور محمد حسين هيكل باشا علي النحو التالي:  
«أظهر لي غضبه من هذا التصرف، الذي تم بدون مشاورته فيه قائلا: «إن الرجال ليسوا قطعا في رقعة الشطرنج يلعب بها اللاعب!».

«علي أن القصر لم يغفر لعبد العزيز فهمي باشا موقفه من الشيخ علي عبدالرازق، عندما حاول حمايته من الفصل من منصب القضاء الشرعي، فقد أقاله الملك فؤاد، وكلف علي ماهر باشا، الذي كان وقتذاك وزيرا للمعارف، بالقيام بأعباء وزارة الحقانية. وها هو يتكرر، فيطرد عبد العزيز فهمي باشا بك من الحكم مرة ثانية ولما يمض فيه أكثر من أربعة أشهر! لكنه يدفع ثمن تخليه عن الدستور وانقلابه علي الحياة الدستورية».

### الموقف الذي أقيل بسببه

ونأتي الآن إلى بعض ممارسات عبد العزيز فهمي باشا السياسية التي أثارت الغبار والزوابع والعواصف، بل الأعاصير في بعض الأحيان، نبدأ بموقف أصبح عبد العزيز فهمي باشا يُثاب عليه رغم أنه، على حد ما يقول التعبير المطروق ، بالرغم من أنه لم يفعل شيئا، وإنما امتنع فيه عن أداء ما كان ينبغي عليه أن يفعله فكان امتناعه ( من حيث لم يقصد) بداية لسلسلة من الإجراءات والخطوات التي انتهت في النهاية بوحدة الأمة كلها، والقضاء علي الانقلاب الدستوري الأول بحدوث الائتلاف بين الوفد والأحرار الدستوريين لأول مرة.

ذلك أن الشيخ علي عبد الرازق كان قد أصدر كتابه «الإسلام وأصول الحكم» علي ما يعرف القراء وتطور الأمر حتي صدر القرار بإخراجه من زمرة العلماء، وكان مقتضى هذا أن يفقد الشيخ علي عبد الرازق وظيفته، ولا بد لفقدان الوظيفة من قرار كاشف، يصدر عن الوزير المسئول، وقد كانت هذه هي الخطوة الأولى التنفيذية التي يفقد بها هذا العالم وظيفة من اختصاص وزير الحقانية الذي ينبغي عليه ألا يستبقي في وظيفة القاضي من فقد صفته كعالم، وها هو الشيخ علي عبد الرازق قد أخرج بالفعل من زمرة العلماء ، وبقي أن يخرج من زمرة القضاة العاملين الشاغلين لوظيفة القضاة .

كان عبد العزيز فهمي باشا هو وزير الحقانية في ذلك الوقت، وهو في ذات الوقت من حزب الأحرار الدستوريين المؤتلف في وزارة زيور باشا الثانية بثلاثة وزراء منهم رئيس الحزب الذي هو عبد العزيز فهمي باشا نفسه، وكانت عائلة عبد الرازق (وليس الشيخ علي فقط) من أقطاب الحزب، بل من أركانه، وكان رئيس الوزراء زيور باشا غائبا وقد حل محله في رئاسة الوزارة بالنيابة يحيى إبراهيم باشا، وهو رئيس وزراء سابق، ورجل قضاء كبير كان متقدما في سلك القضاة علي زيور وعبد العزيز فهمي باشا وقد طلب رئيس الوزراء القائم بالعمل من عبد العزيز

فهومي باشا أن ينفذ القانون فتمهل أو تباطأ أو قل إنه أرجأ الامر متعللاً بأنه يبحث قانونية الموضوع، ومن العجيب أن يصدر مثل هذا التصرف عن وزير للعدل لقب بعد ذلك بلقب قاضي القضاة منذ أصبح أول رئيس لمحكمة النقض، ومن الأعجب من هذا ولكن الناس لا يعرفونه أن رئيس الوزراء بالإنابة يحيي إبراهيم كان قد وصل قبله إلى مكانة قاضي القضاة ، فقد كان رئيساً لمحكمة استئناف القاهرة لفترة طويلة، وهو المنصب الأول في القضاء قبل إنشاء محكمة النقض واحتلال رئيسها مكانة قاضي القضاة.

### موقف يحيى إبراهيم منه

وإذا فلم يكن الرئيس الذي يأمر عبد العزيز فهومي باشا بإمضاء القانون بأقل علما من عبد العزيز فهومي باشا بالقانون، ولا بأقل منه مكانة في وجدان القانونيين، ومع هذا فإن عبد العزيز فهومي باشا امتنع عن تنفيذ طلب هذا الرجل العظيم الذي كان يتولى منصب رئيس الوزراء بالإنابة، وهكذا لم يجد يحيى باشا إبراهيم بدا من أن يطلب من الملك فؤاد أن يقيل الوزير فصدر المرسوم الملكي بهذا..

وكان هذا المرسوم فاتحة خير علي الحركة الوطنية، فقد مضت تداعياته علي النحو التالي: رأي بعض زعماء الأحرار الدستوريين أنه لا بد من خروج وزرائهم من الائتلاف الحاكم.. أو لا بد من إقالة يحيى إبراهيم رئيس حزب الاتحاد علي نحو ما أقيل زعيمهم، واجتمع مجلس إدارة الحزب وأصدر أوامره إلى الوزيرين الدستوريين بالاستقالة تضامنا مع رئيسهم، وكان الوزيران هما محمد علي علوبة وتوفيق دوس، واستجاب الوزيران، سواء أتم هذا عن رضا منهما أم عن اضطرار، بل واستقال معهم إسماعيل صدقي باشا، وهو الرجل القوي في الوزارة، وقد بعث باستقالته من أوروبا حيث كان يصطاف، وأصبح هذا الموقف الجديد مدعاة لأن يتقارب زعماء الأحرار الدستوريين مع الوفد، بعد أن تركوا التحالف مع حزب الملك السوري المسمى بحزب الاتحاد ، وهو التقارب الكبير الذي حدث وشاركهما الحزب الوطني فيه، وكان من نتيجته إجراء انتخابات جديدة ١٩٢٦ وتكوين برلمان جديد رأسه سعد زغلول باشا حتى توفي، على حين رأس الوزارة الائتلافية عدلي يكن فثروت باشا فالنحاس باشا .

### قضية مأمور البداري

أما الموقف الثاني فإنه ربما لا يقل أهمية عن الأول، وقد حدث في عهد وزارة إسماعيل صدقي الأولى التي هي أقسى وزارات عهد الملكية استبدادا ، وأشقها علي الحركة الوطنية، فقد عرضت علي محكمة النقض دعوى لنقض حكم الإعدام الذي صدر في حق الرجل الذي قتل مأمور البداري انتقاماً من التعذيب الذي ناله علي يديه، فما كان من عبد العزيز فهومي باشا إلا أن سجل في حكم محكمة النقض عبارته الشهيرة في وصف ممارسات الإدارة (أي الوزارة) التي دفعت القاتل إلى القتل، وهي أن هذه التصرفات كانت إجراما في إجرام. وأشار حكم المحكمة إلى أنه ليس بوسعها (أي بوسع المحكمة) ولا من سلطتها أن تنقض الحكم بالإعدام، لأنه صحيح من الناحية القانونية

لكنها طلبت إلى المسؤولين أن يحققوا في الموضوع كله.

كان من نتيجة هذا أن عبد الفتاح يحيى وزير الحقانية وعلي ماهر وزير المعارف آثرا أن يترك مركب وزارة إسماعيل صدقي التي كانت توشك علي الغرق، وهكذا اضطرت الوزارة إلى الاستقالة ، وشكل إسماعيل صدقي وزارته الثانية من دونهما، وهي الوزارة التي لم تلبث إلا شهورا، وأعقبتها وزارة عبد الفتاح يحيى نفسه، لكن المهم أن العهد الصدقي بدأ بالفعل في الأفول بسبب هذا الحكم وبلاغته وإصابته الهدف بأبلغ عبارة واعتماد القوي الوطنية عليه في هجومها علي صدقي باشا.

### رأينا في حكمه الذي عني بالبلاغة أكثر من الإنسانية

ومع هذا فإنني لا أستطيع أن أقتنع هذا الحكم الذي أصدره عبد العزيز فهمي على الرغم من إدراكه لهذا السبب القاهر الذي أثبتته هو ببلاغته ، معتنيا بالبلاغة عناية فاقت عنايته بالحق و الإنسانية ، نسأل الله العافية .

### أزمة التعيين في مجلس الشيوخ

ونأتي الآن إلى مواقف أخرى لا بد من الإشارة إليها سريعا ، فبسبب عبد العزيز فهمي باشا حدثت أزمة التعيين في مجلس الشيوخ بين الملك من ناحية، ووزراء الوفد من ناحية أخرى، الذين اتخذوا قرارهم بتفضيل فخري بك عبد النور على عبد العزيز فهمي باشا لكرسي عضوية مجلس الشيوخ، وهي الأزمة التي كانت في النهاية أحد المسامير التي صورت علي أنها دُقت في مسيرة وزارة الوفد في بداية عهد الملك فاروق.

### ثناء الدكتور مصطفى كمال كيرة على أدائه

أحب أن أنقل للقارئ هنا نصا جميلا كان الدكتور مصطفى كمال كيرة رئيس محكمة النقض الأسبق قد نشره في «الأخبار» ضمن سلسلة مذكراته التي كتبها تحت عنوان «رحلتي مع القضاء» وفي الحلقة ٢٢ التي نشرت بتاريخ أول أكتوبر ٢٠٠٢ تحدث عن عبد العزيز فهمي باشا فقال: «تميزت أحكامه بلغة عربية مبنية رفعت من المستوي العلمي للمحكمة (يقصد: محكمة النقض)، وعلم القضاة كتابة الأحكام فأنشأ صياغة خاصة انفردت بها محكمة النقض وتناولتها أجيال تعاقبت جيلا بعد جيل ونسجت علي منوالها الجهات القضائية التي نشأت بعد ذلك، وحذت حذو ذلك المحاكم العربية، وأضرب مثلا علي ذلك عبارة استقرت في أحكام المحكمة، إذ عبر عن سبب الطعن بقوله: «ينعي الطاعن علي الحكم المطعون فيه» وقد أثارت هذه الكلمة ينعي اعتراضا من أحد قضاة المحكمة العليا الشرعيين في محكمة عربية وأبدي استغرابه لها من الناحية اللغوية، وكان ردي عليه أن عبد العزيز فهمي باشا هو الذي ابتدعها وقد درس هذا في الأزهر، فعاد القاضي الشرعي بعد ذلك وقد رجع إلى الكشف عن هذه الكلمة في معاجم اللغة العربية وأبدي تأييده لها وسطرها في أحكامه اعترافا بفضل عبد العزيز فهمي باشا في اللغة العربية.»

«كما كانت لديه الشجاعة في مواجهة السلطة وهي في قمة جبروتها وأصدر حكمه المشهور



في قضية البداري سجل فيها إدانته للنظام القائم في هذا الوقت ووصفه بأنه إجرام في إجرام».

### مذهبه في القذف الصحفي والاعتراف

«كما وضع مبدأ في خصوص القذف في الصحف وقال عنه: إنه عمل جنائي مركب: فعل القاذف وفعل الناشر، وأنه يجب اختصامهما معاً، وقد استفدتُ من هذا الحكم في قضية رُفعت علي القاذف ولم تختصم فيها الصحيفة».

«كما وصف اعتراف المتهم الذي تأخذ به المحكمة بأن يكون نصا في ارتكاب الجريمة ، وكلمة نص واضحة الدلالة بأن يكون منصبا علي ارتكاب الجريمة وأنه ليس اعترافا أن تجمع المحكمة من أقوال المتهم نتفا متفرقة وتعتبرها اعترافا».

«كما استحدث نظرية القدر المتيقن وهي من النظريات التي ابتدعتها محكمة النقض وظهرها شراح القانون».

### هو الذي ابتكر اسم محكمة النقض

«وجدير بالذكر في هذا المقام أن عبد العزيز فهمي باشا هو الذي ابتكر اسم محكمة النقض وذلك علي خلاف ما درجت عليه بعض التشريعات العربية وهو محكمة التمييز، أي تمييز الخطأ من الصواب، وقد رجع في هذا التعبير إلى القرآن الكريم في «سورة النحل» لا تكونوا كالتي نقضت غزلها» (الآية ٩٢)».

### قصة استقالته من رئاسة محكمة النقض

«ولا يمكن إغفال دوره في التمسك بكرامة القضاء والحرص علي مهابته والواقعة المشهورة ..... إذ حدث في أثناء زيارته إلى محكمة النقض أن أحد أعضاء مجلس النواب قدم سؤالا عن راتب رئيس محكمة النقض فأمر سائق السيارة بالذهاب إلى قصر عابدين وقابل كبير الأمناء وقال له: لقد جئت في هذا الوقت المبكر لأقابل جلالة الملك [ الملك فؤاد في ذلك الوقت]»  
" فأبدي كبير الأمناء دهشته وقال له: ولكنك ترتدي الملابس العادية وليس هناك طلب بالمقابلة، فقال عبد العزيز فهمي باشا : بلغ جلالة الملك أن قاضي القضاة يلتبس بمقابله الآن بملابسه العادية لأمر يتعلق بكرسي العدالة، وبعد دقائق عاد كبير الأمناء وأبلغ عبد العزيز فهمي باشا أن الملك مستعد لمقابله في الحال"

" واستغرقت المقابلة ساعة كاملة وانصرف عبد العزيز فهمي باشا إلى المحكمة وعقد الجلسة وأثبت في محضر الجلسة ما يأتي: «لقد تشرفت بمقابلة جلالة الملك، هكذا بملابسي العادية، بعدما قرأت في الصحف أن مرتب رئيس المحكمة كان موضع نقاش في مجلس النواب، وقد أبلغت الملك أنني أحس مما قرأته أن كرسي العدالة يهتز من تحتي ولهذا صممت علي الاستقالة من مناصبي وقد استأذنته في ذلك ، وسأذهب الآن إلى الوزارة لأقدم استقالتي».

يعلق الدكتور كبيرة فيقول :

"لقد أثبت عبد العزيز فهمي باشا في منهجه وسلوكه أن الرجال مواقف، وهي مواقف دلت

علي قوته واستمساكه بالمبادئ، وغضبه لأي مساس بكرامة القضاء، وكانت هذه الصفات هي التي أجلسته علي عرش القضاء المصري" ..

### حبه للحبوية الفكرية

وقد كان لعبد العزيز فهمي باشا وجود بارز في كثير من وقائع الفترة التي عاشها، ومواقفه المتعددة الشهيرة أكثر من أن تحصى، وربما يختلف المؤرخون والنقاد والسياسيون في أهميتها ، وهذا دليل علي مدى الحبوية الفكرية التي كان هذا الرجل يحب أن يتمتع بها أو يحب أن يوصف بها ، لكنني أفضل على الحديث عن مواقفه السياسية أن أذكر موقفين فكريين غريبيين تبناهما هذا الرجل ولم يصب فيهما التوفيق، لكنهما يدلاننا علي مدي ما كان هو نفسه يريد لعقله (المحافظ) أن يتمتع به من جراءة شديدة لم يكن يتمتع بها أو يندفع إليها غيره من أقطاب الفكر.. ومع هذا فإنه لم يكن راديكاليا أبدا رغم هاتين الفكرتين اللتين تبدوان غير قابلتين للصدور إلا عن راديكاليين.

### دعوته إلى منع تعدد الزوجات

الفكرة الأولى غير مشهورة علي الإطلاق، وقد تعرفت عليها بسبب الدراسة التي أعدتها عن مجلة الثقافة (وهي الدراسة المنشورة في كتابي «مجلة الثقافة تعريف وفهرسة وتوثيق»)، وقد صادفت في أثناء إعدادي لهذه الدراسة الضخمة دراسة قيمة وغير مشهورة لعبد العزيز فهمي باشا عن تعدد الزوجات انتهى فيها بعد تليل و تفريع إلى قوله بأن الإسلام لم يحل تعدد الزوجات، وقد أقام أدلته المنطقية والعقلية علي هذه الفكرة من الآية القرآنية التي يقول فيها الحق جل جلاله: «فإن لم تعدلوا فواحدة».

ولا أظن هذه الدراسة تغير شيئا من اعتقاد الفقهاء والعلماء لأنها في حقيقة الأمر تخالف المنطق وقواعده والاستنتاج وسلامته ، وهو أمر يسير الإدراك على العلماء والمشتغلين بالعلوم الطبيعية الذين يعرفون حدود مظلة المنطق ، ويجيدون نقض المقدمات بفضل إحاطتهم بما يعنيه اللفظ بعيدا عن ضيق الأفق الذي يرسمه الكاتب للفظه ، والحق أن القراءة المتأنية لدراسة عبد العزيز فهمي قد قادتني إلى هذا منذ أربعين عاما وذلك علي الرغم مما بدا لي للوهلة الأولى من أن منطق عبد العزيز فهمي باشا في عرض فكرته متماسك وجيد، وعلي الرغم من أن المقدمات التي أوردها قد تفضي إلى النتيجة التي توصل إليها ، وعلي الرغم مما بدا من الدقة المتناهية في بناء الأدلة القانونية الدالة علي صواب ما انتهى إليه عبد العزيز فهمي باشا .

### مقال الأستاذ إبراهيم بدوي حول تحريم تعدد الزوجات

كتب الأستاذ إبراهيم زكي الدين بدوي [وقد عرف نفسه بأنه المتخصص في الشريعة الإسلامية والقانون من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد] مقالا في مجلة الرسالة في ١٩ ابريل ١٩٤٨ بعنوان " : لا، لا نملك تحريم تعدد الزوجات " علق به على مقال للأستاذ عبد المتعال الصعيدي بدا فيه و كأنه يدل عبد العزيز فهمي باشا على طريق يمكن للحاكم به أن يقرر منع تعدد الزوجات .

وفي الحقيقة فان وجهة نظر عبد العزيز فهمي باشا كما ذكرت في اكثر من موضع لا تستند إلا الى طريقته في التكييف المتتالي لتوظيف قواعد المنطق الارسطي مع ما يعثور هذا المنطق من نقص في القدرة على الرؤية ، وما يعثور استنتاجات عبد العزيز فهمي باشا نفسها من حيود عن الحق والصواب .

بيد ان مقال هذا العالم الجليل الشيخ إبراهيم زكي الدين بدوي تكفل بفتح عيوننا على كثير من حقائق التشريع والتقنين ومدى قدرة المشرع على الوفاء بحاجات المجتمع وهو امر يختلف عما تطرق اليه عبد العزيز فهمي باشا في اقتراحه .  
و سنقرأ هذا المقال بكل توقير للعلم الغزير الذي يقدمه .

### **قضية من قضايا بينة الخسران**

يقول الأستاذ إبراهيم زكي الدين بدوي :

" لم أكد ألمح بين مواد فهرس الرسالة الصادرة في ٥ أبريل الجاري هذا العنوان (نعم نملك تحريم تعدد الزوجات) حتى ساءلت نفسي: ترى من هذا الذي تطوع للدفاع عن قضية بينة الخسران؟ وما أن رأيت العنوان مقرونا باسم صديقنا فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي حتى انتابني إشفاق على المدافع وخشيت عليه مغبة الأمر".

" لكن سرعان ما تبددت مخاوفي حين طالعت المقال فوضح لي أن العنوان لا يترجم له. ويخيل إلى أن الأستاذ قد أغرى بمعارضة عنوان مقالاتنا المنشورة بمجلتي (المجتمع الجديد) (والرسالة) تحت عنوان (هل نملك تحريم تعدد الزوجات) فأوقعه ذلك ، دونما قصد ، فيما ظنه مأخذاً علينا من عدم المطابقة بين العنوان والمقال.

### **الشرع أباح التعدد و لم يحرمه بأي نوع**

" فالأستاذ يقرنا على أن الشرع قد أباح تعدد الزوجات إلى أربع ولم يحرمه بأي نوع من أنواع التحريم، ويؤيدنا في إنكارنا علي معالي عبد العزيز فهمي باشا ، أسبغ الله عليه ثوب العافية ، ما ذهب إليه من القول بأن الشرع يحرم ذلك، وما ارتكبه دفاعاً عن هذا القول من (تعسف لم يقع نظيره من مسلم) بتأويله أي القرآن بما لا تحتمله، ورده السنن الواردة بالإباحة وتسفيهه الإجماع المنعقد عليها قولاً وعملاً في جميع العصور. الخ "

### **استعمال ولي الأمر لسلطانه**

" لكنه (أي الأستاذ الصعيدي) يرى - مع ذلك - أننا (نملك تحريم تعدد الزوجات، ولكن بطريق ما كان يصح أن يخفى على حضرة صاحب المعالي العالم العلامة عبد العزيز فهمي باشا. ) ولم يبين لنا هذا الطريق صراحة وإن كان قد أشار إليه بما يفهم منه أنه طريق التشريع الوضعي القائم على استعمال ولي الأمر ماله من سلطان على عماله قضاة كانوا أو مآذونين بمنعهم من تحرير وثائق رسمية لعقود الزواج المتضمنة للتعدد أو سماع الدعاوى المترتبة على هذه العقود" .

"فإن كان هذا معناه - ولا يمكن أن يكون قد عنى سواه - فقد أخطأ القصد إلى التحريم وإلى حقيقة هدف الباشا وما خفي وما لم يخف على معاليه. ذلك أن الطريق الذي أشار إليه قد لجأ إليه الشارع المصري حقيقة في نظائر لتعدد الزوجات تحقيقاً لمقاصده الإصلاحية بما يناسب تطور الزمن وتغيير الأوضاع.

### **اللجوء إلى طريق غير طريق الحل والحرمة**

" ومن هذه النظائر مسائل إثبات النسب، والنفقة، والعدة، وتحديد سن الزواج الذي أشار إليه الأستاذ لكن هذا الشارع لم يتناول هذه بتحريم قط، وما كان له أن يفعل إذ الحل والحرمة حكمان دينيان، والحاكم هو الله وحده جل شأنه، وإنما سلك الشارع المصري طريقاً سلبياً لا علاقة له بحل ولا حرمة، وهو كما قدمنا - طريق منع القضاة والمأذونين من سماع بعض الدعوى وتحريم بعض الوثائق الخاصة بهذه الأمور.

" فلا ينبغي على ذلك أن ينقلب الحرام منها حلالاً أو الحلال حراماً حتى يصح القول بأننا (نملك التحريم) وكل ما هنالك أنه عطل من الآثار المترتبة على هذه الأمور ما يستلزم الوصول إليه قضاء القاضي أو تحرير الوثيقة وترك الناس بعد ذلك أحراراً يتزاجون ويقر بعضهم لبعض بالنسب ويؤدون لزوجاتهم ما عليهم لهن من نفقات غير مقيدتين في ذلك إلا بأحكام الدين".

### **فكرة الآثار المعطلة**

" ويعتبر صحيحاً كل ما ينشئون بينهم من علاقات على هذا النحو، وتترتب عليه جميع الآثار الشرعية عدا ما ذكرنا من الآثار المعطلة. فلو طلق مسلم مصري زوجته ثم ولدت بعد الطلاق بأكثر من سنة ولم ينكر المطلق الولد ثبت نسبه منه شرعاً وتترتب للولد والوالدة كافة الحقوق من نفقة وحضانة وولاية وتوارث وغيرها. ولو تزوج من يقل سنه عن ثماني عشرة سنة بمن يقل سنها عن ست عشرة سنة فزواجهما صحيح شرعاً تترتب عليه كافة الآثار الشرعية عدا المعطل منها. وكذلك الحال في باقي الأمور التي سلك فيها الشارع هذا الطريق السليبي.

### **التعطيل لا ينفي الصحة**

" بل إن العلاقات التي تنشأ من هذا القبيل في حدود الأوضاع الدينية صحيحة قانوناً أيضاً وتترتب عليها كافة الآثار عدا ما نص على تعطيله. ومن ذلك أن موافقه الزوج لزوجته التي يقل سنها عن ست عشرة سنة لا تعتبر جريمة، فلو لم يكن هذا الزواج صحيحاً قانوناً لاعتبرت جريمة هناك عرض ولا نطبق على الزوج حكم المادة ٢٦٩ من قانون العقوبات "

### **حكم النقض فيما يتعلق بذكر سن غير حقيقية**

" ومن ذلك أيضاً أن محكمة النقض والإبرام قد أصدرت في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٠ برياسة معالي عبد العزيز فهمي باشا نفسه حكمها المشهور بعدم اعتبار ذكر الشهود سناً غير حقيقية لأحد الزوجين في وثيقة العقد مع علمهم بسننه الحقيقية، جنابة تزوير بناء على أن واقعة السن ليست من الأركان الأساسية في عقد الزواج لأنه يصح وينفذ وتترتب عليه آثاره الشرعية بدونها.

### فكرة المعنى السلبي

" ولهذه الاعتبارات المتقدمة نرى الشارع المصري يعبر عما تناوله من هذه الأمور بتعبير يتفق وحقيقة ما قصد إليه من معنى سلبي لا يتعرض فيه لحل ولا حرمة، فيقول مثلاً (لا تسمع الدعوى لنفقة عدة تزيد عن سنة من تاريخ الطلاق، كما أنه لا تسمع عند الإنكار دعوى الإرث بسبب الزوجية لمطلقة توفى عنها زوجها بعد سنة تاريخ الطلاق) (المادة ١٧ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩) بخلاف الأحكام التي أوردها متفقة وأحكام الشريعة ولو في بعض المذاهب فقط، كقوله (لا يقع طلاق الكران والمكره) (المادة ١ من المرسوم بقانون سالف الذكر). "

" على أن سلوك المشرع المصري لهذا الطريق السلبي مبنى على قاعدة شرعية مقررّة وهي (تخصيص القضاء بالمكان والزمان والحادثه) إلا أن تطبيق هذه القاعدة في مصر محل نظر ليس هنا مجال التبسيط فيه.

### تحويل ولي الأمر في تنظيم الولاية القضائية

" وحسبي أن أجتزئ ببيان أن المقصود بهذه القاعدة وما يتفق مع ما حدث من تطبيقها في جميع عصور الإسلام المتقدمة، هو تحويل ولي الأمر، بما له من الولاية القضائية العامة، الحق في تنظيم هذه الولاية بين قضااته بما يتفق والصالح العام ومصصلحة المتقاضين وحال القضية من أن بعضهم أكثر صلاحية للحكم في بلد دون آخر، وفي زمان معين دون زمان آخر، وفي بعض الدعاوى دون بعض.

" وليس المقصود بهذه القاعدة حرمان المتقاضين من التمتع بالآثار المترتبة على ما أحله الشرع، وإلا كان في ذلك تعطيل لبعض أحكامه الخاصة بترتب الآثار المتقدمة على تصرفات أجازها مما لا يدخل في نطاق هذه القاعدة ولا يمكن أن يكون مقصوداً بها.

" ولهذا قرر جميع من تعرضوا لبيان هذه القاعدة من أمثال ابن فروجون في تذكرته والماوردي في أحكامه السلطانية أنه إذا كف ولي الأمر جميع قضااته عن سماع الدعوى بناء على هذه القاعدة، وجب عليه أن يسمعها بنفسه كي لا تتعطل بعض أحكام الشرع، فليرجع إلى ذلك من شاء.

### عبد العزيز فهمي يريد التحريم لا التعطيل

" ومما تقدم يتبين بجلاء للأستاذ عبد المتعال الصعيدي أن الطريق السلبي الذي أشار إليه ليس طريقاً للتحريم بحال في وضعه الحالي، بل ولا يجوز (شريعاً) أن يترتب عليه تعطيل لبعض الأحكام المترتبة على تصرفات شرعية صحيحة ولذلك لم يقل به معالي عبد العزيز فهمي باشا في مسألة تعدد الزوجات، وما كان هذا الطريق ليخفى على مثل معاليه، ولكنه أراد شيئاً، مغايراً لما عناه الأستاذ، أراد (تقرير) التحريم بقانون على أنه حكم الشرع كما فهمه معاليه من النصوص القرآنية، لا (إنشاء) حكم جديد فعنوان مقالتي في الرد على معاليه يطابق موضوع النزاع بيني وبينه تمام المطابقة.

### اقتراحه الثاني : كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية

نأتي إلى الفكرة الثانية التي دعا إليها عبد العزيز فهمي باشا وهي التي تتعلق بكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، وعلي الرغم من أننا جميعاً مررنا بما يشبه نمطا من أنماط التفكير في مثل هذه الفكرة حين كنا نخطو بعض الخطوات الأولى في تعلم اللغات الأجنبية، وبخاصة الفرنسية والإيطالية ، و قد كنا نحكم تاعقل ثم نعدل عليها ونحمد ربنا علي لغتنا المقتصدة في الحروف المكتوبة.

وعلي الرغم من هذا فإني ألتمس العذر لعبد العزيز فهمي باشا في انخداعه بهذه الفكرة وإلحاحه عليها، وأتصور هذا العذر ناشئاً عن معاناته من قيامه بدور المعلم في تجربته لمحو الأمية، وأعتقد أنه لم يصدر في هذه الدراسة إلا عن روح صاحب العقليّة الناضجة الذي أراد أن يسهل علي تلاميذه الأميين من كبار السن تحريك شفاههم بالضمّة والفتحة والكسرة والمدّة والشدة. ويبدو لي أن عبد العزيز فهمي باشا وهو الرجل الذي لم يدرس الطب ولا العلوم بأي قدر ، ظنّ أو اعتقد أن تعلم القراءة والكتابة يخضع للمنطق وحده، وفاته بالطبع أن المتعلم يدرك ما تعلمه بطرق عديدة نصفها في الفسيولوجيا الطبية بأنها طرق كلية متأزرة مع بعضها : وهي طرق فسيولوجية و ذاكرتية (نسبة إلى الذاكرة) وشرطية و تمثيلية وتماتلية وتمثلية (نسبة إلى التمثل) ... وليس بطريقة منطقية فحسب.

ويبدو لي أيضا أن عبد العزيز فهمي باشا لم يكن واعياً بالقدر الكافي لحقيقة أن اكتساب اللغة واكتساب التعلم لا يتأتى بالطريقة التي تصورها هو، ومع هذا فإن أحدا لم يحاول أن يقتنع عبد العزيز فهمي باشا بمثل هذا الذي بسطته في سطرين، فد كان هذا صعباً في زمانه ، علي الرغم مما قد يبدو من بساطة الفكرة التي يفهمها معظم القراء اليوم بفضل تطور المعرفة الإنسانية نفسها.

### تشبعه وتشبثه بفكرة كتابة العربية بالحروف اللاتينية

ظل عبد العزيز فهمي باشا متشبعاً ومتشبثاً بفكرته عن كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية (حتى من دون ان يفكر فيما عانى منه الاترك من جراء هذه المغامرة الأتاتوركية ) حتى انه كان يظن ان الحياة اللغوية أصبحت تتمحور حول هذه الفكرة ، ويبدو لي أن تقدم سنه كان عاملاً من عوامل هذا التشبث .

ويبدو لي أيضا أن مستوى تكنولوجيا الطباعة في ذلك الوقت كان يهيئ لعبد العزيز فهمي باشا ان هذه هي نهاية الدنيا و لم يكن يتصور أنه سيأتي على الناس وقت تتاح فيه حركات التشكيل بالسهولة التي نجدها اليوم ولا كان يتصور ان تكون هناك برامج لتشكيل النصوص ، و لا أن تكون هناك ما نعرفه الآن من الإفادات البسيطة التي تقدمها تطبيقات الذكاء الصناعي.

### لم يكن يتصور المسخ المشوه

والحق أن اللغة العربية (أو أية لغة ) لا تستعصي علي أن تكتب بالحروف اللاتينية، أو بأية حروف لكنها لسبب يرتبط بشفرة اللغة الوراثية تصبح مسخاً مشوها علي نحو ما حدث للغة

التركية علي يد أتاتورك، ولماذا أذهب إلى مثل بعيد لا يعرف تفصيلاته من أهل قومي إلا القليلون؟ ولماذا لا أقول إنها تصبح علي نحو ما يحدث لأية لغة أوروبية حين نكتبها بالحروف العربية خاصة في الكتب التي تحمل عنوان تعلم الإنجليزية في أسبوع، وتعلم الفرنسية في خمسة أيام، وتعلم الألمانية في عشرة أيام.. وهكذا.

وعلى كل الأحوال فسوف نتناول فكرة هذا الرجل العظيم من خلال أربع زوايا.

#### **أولا : رأي الأستاذ العقاد في اقتراحه**

يمثل هذا الرأي مع تركيزه الشديد صورة من عبقرية الأستاذ العقاد في إلمامه العميق بعلم اللغة وإدراكه لفقها في التواصل و الاتصال على حد سواء ، وهو مستوى من الفهم لم يكن غريبا على الأستاذ العقاد حتى و إن لم يطنطن به من نشأوا في محرابه، لكن العقاد اللغوي كان شيئا عظيما جدا ، و قد تصرفنا في نص الأستاذ العقاد بقدر يسير جدا حتي نحفظ ما يساعد على تواصل الفكرة الذكية التي يعرضها مقاله القيم باقتدار يجعل القارئ المحايد يحس بقامة العقاد العملاق في مواجهة الباشا قاضي القضاة .

وقد نشرت مجلة الرسالة للأستاذ العقاد رأيه هذا في مقال في ١٨ سبتمبر ١٩٤٤ .

#### **يترك الصعوبة الأصلية ويعني بالمتفرعة عنها**

"علم القراء أن صاحب المعالي الأستاذ العلامة عبد العزيز فهمي باشا قد اقترح على مجمع فؤاد الأول للغة العربية اقتباس الحروف اللاتينية وبعض الحروف المشابهة لها لتيسير الكتابة العربية وقد خالفه كثيرون، وعاود معاليه الكرة للرد على هؤلاء المخالفين، ومنهم كاتب هذه السطور.

" وكننت قد خالفت رأي معاليه لأن اقتراحه يترك الصعوبة الأصلية قائمة ويعني بالصعوبة المتفرعة عليها، وهي تابعة لها باقية ببقائها فلا صعوبة عندنا في كتابة حرف من الحروف مضموماً كان أو مفتوحاً أو مكسوراً إذا عرفنا أنه مضموم أو مفتوح أو مكسور، ولا صعوبة كذلك في قراءته مع هذه المعرفة سواء أكان مشكولاً أم غير مشكول إنما الصعوبة الأصلية أن نعرف ما يضم وما يفتح وما يكسر، ثم نكتبه ونقرأه على صواب ، وترجع هذه الصعوبة إلى خواص في بنية اللغة العربية لا وجود لها في اللغات التي تكتب بالحروف اللاتينية، غريبة كانت أو شرقية.

#### **الفعل الثلاثي في اللغات السامية**

" ومن هذه الخواص الفعل الثلاثي واختلاف أبوابه وارتباط ذلك بالمصادر والمشتقات، ولا وجود لهذا الفعل الثلاثي في غير اللغات السامية، وعلى رأسها لغتنا العربية ومنها الإعراب، وهو على وجود القليل منه في لغات نادرة، قد اختصت اللغة العربية بأحكام مستفيضة فيه، لا نظير لها في جميع اللغات.

### حروف الحركة في العربية تبدل المعنى

ومنها (أي من الخواص) أن حروف الحركة في بعض اللغات الشرقية التي تكتب الآن بالحروف اللاتينية قلما تفيد معنى من المعاني غير إشباع الحركة أو خطفها والإسراع فيها، ولكنها في اللغة العربية تبدل معنى الكلمة أو تبدل قوة المعنى".

"فقراءة العربية قراءة مضبوطة لا تتأني بغير تصحيح العلم بهذه القواعد قبل كتابتها وقراءتها، وسبيل ذلك أن نختصر القواعد النحوية والصرفية حتى يحيط أوساط الناس بالقدر الكافي منها لمقاربة الصواب جهد المستطاع ونقول مقاربة الصواب لأن العصمة من الخطأ لن تتيسر في اللغة العربية ولا في غيرها من اللغات، ولن تتيسر أبداً في عمل يتناوله جميع من خاصة وعمامة".

### إن صحت للكتابة لا تصح للقراءة

"أما الكتابة بالحروف اللاتينية فإن صح أنها تضمن للقارئ أن يقرأ ما أمامه على صورة واحدة فهي لا تمنع الكتاب المختلفين أن يكتبوا الكلمة على صور مختلفة كلها خطأ وخروج على القواعد اللغوية، ومن هنا يشيع التبلبل في الألسنة ويتقرر الخطأ بتسجيله في الكتابة والطباعة بدلاً من تركه محتملاً للقراءة على الوجه الصحيح.

### خطأ النطق أهون من الخطأ المكتوب

ولا شك أن الخطأ في النطق أهون ضرراً من الخطأ المكتوب أو المطبوع، لأن كتابة الخطأ تبقى خطأ النطق، وتزيد عليه أنها تسجله وتضل من عسى أن يهتدي إلى الصواب".

"فقصارى ما نغنمه بهذا التبديل، أننا ننقل التبعية من القارئ إلى الكاتب ولا نمنع الخطأ ولا نضمن الصحة، وهي فائدة لا يبلغ من شأنها أن تبدل معالم اللغة وتفصل ما بين قديمها وحديثها"

### طريقته ليست بأيسر من طريقتنا

"وكان من أسباب مخالفتي لاقتراح الأستاذ العلامة - وهي كثيرة - أن طريقته ليست بأيسر من طريقتنا التي تجري عليها الآن في كتابة الكلمات العربية مضبوطة بعلامات الشكل المصطلح عليها، في موضع الحاجة إليها. لأن الطريقة اللاتينية المضاف إليها بعض الحروف العربية تعفينا من علامات الشكل، ولكنها تضطرننا إلى زيادة الحروف حتى تبلغ ضعفها أو أكثر من ضعفها في كلمات كثيرة، وتوجب هذه الكلفة على العارفين وهم غنيون عنها".

### طريقته لا تغنينا عن النقط والشكل

"ثم هي لا تغنينا بته عن النقط والشكل، لأنها تعود بنا إلى النقط في حروف، وإلى ما يشبه الشكل في بعض الحروف لتمييز الألف والثاء والذال والشين.

### الرسم لا يغني عن ضبط السماع

"على أن الأمم الأصيلة في الكتابة اللاتينية لا تستغني بالرسم عن ضبط السماع فاللغة الإنجليزية التي أستطيع الإتيان بالشواهد منها حافلة بالكلمات التي يختلف نطقها ورسمها، والتي



تنطق على وجه وتكتب على وجوه، كما أنها حافلة بالشواذ في صيغة الماضي والمفعول ومشتقات أخرى

"ومن أمثلة الصعوبات في الرسم أنهم ينطقون هذه الكلمات نطقاً واحداً وهي مختلفة في الكتابة والمعنى والاشتقاق، وهي وأنهم يكتبون حروف الحركة أحياناً على نمط واحد ويخالفون بين النطق بها في درجة المد وفي مخارج الصوت.

"ومن حروف الإنجليزية ما يكتب ولا ينطق به... ومنها ما يهمل حيناً وينطق حيناً بخلاف حرفه... إلى غير ذلك مما تدل عليه هذه الأمثلة ولا تحصيله، ويكفي أن نرجع إلى المعجمات التي وضعت لأهل اللغة أنفسهم لنعلم أنهم لا يستغنون عن اتباع كل كلمة بما يضبط نطقها ودرجة امتداد الحركات فيها وموقع النبرة في مقاطعها

"وقد رأينا أن نكتفي في مناقشة اقتراح اللاتينية بالأقوى والأظهر من الأسباب دون أن نذهب فيها إلى الاستقصاء والاستيعاب، وإلا فالأسباب التي تحول دون رسم العربية بالحروف اللاتينية أكثر من هذا الذي أجملناه بكثير.

### الحلقة المفرغة

"وتناول معالي المقترح اعتراضنا فقال بعد تلخيصه: (إنه على كل حال اعتراف خارج عن الموضوع. وما أشبهنا، إزاءه، بالباحثين عن طرفي الحلقة المفرغة تقوم الساعة علينا قبل أن نهتدي إلى المطلوب! إن مسألة البحث في أصول اللغة وتيسير قواعد نحوها وصرفها تلك التي يقول المعترضون إنها هي العلاج الشافي لأدواء العربية هي مسألة أخرى قائمة بذاتها، وهي مطروحة فعلاً على المجمع اللغوي يردد مداخلها ومخارجها، ويحاول ما وسعت قدرته تمهيد ما يقبل منها التمهيد.

### رده أشبه بالدفع القضائية منه بالدفع المنطقية

"ثم قال معاليه إن لائحة المجمع تجب اعتراضنا، ..... لأن: (نصها صريح في أن عليه البحث في تيسير رسم الكتابة العربية، ووزير المعارف عهد إليه بهذه المهمة بقرار منه خاص، وهو مكلف نظامياً بتنفيذ قرارات الوزير).

"وعندنا أن رد معاليه على هذا الاعتراض هو أشبه شيء بالدفع القضائية منه بالدفع المنطقية فالحق أن تيسير القواعد اللغوية مسألة غير مسألة الرسم وكتابة الحروف، ولكن اختلافهما لا يمنع العلاقة الوثيقة بينهما ولا يخرجهما عن حكم القضيتين اللتين لا تنتظر إحداها بمعزل عن الأخرى

### وجوب التيسير لا يوجب الترحيب بكل تغيير

"وكذلك على المجمع بموجب تكوينه أن يبحث في تيسير رسم الكتابة كما عهد إليه، ولكن هذا الوجوب لن يوجب عليه أن يرحب بكل تغيير أو يدين بأن التغيير أسهل من الطريقة التي نحن عليها الآن فتيسير الرسم العربي واجب لا شك فيه، ورفض الرسم اللاتيني كذلك واجب لا شك

فيه للأسباب التي قدمناها، وأولها أنه يبذل معالمنا دون أن يخرجنا من تلك الصعوبة التي تدعونا إلى التبديل

"وقد نظر المجمع في عشرات من المقترحات التي تقدم بها أعضاؤه أو تلقاها من الفضلاء المجتهدين في حل هذه المعضلة العسيرة فإذا قال قائل إن الرسم الحاضر أيسر من جميع هذه المقترحات، لأنه في الواقع أيسر منها. فاللائحة لا تفرض عليه أن يخالف الحقيقة ويقول: بل هي جميعاً أيسر من الرسم الذي نجري عليه.

### لكل لغة صعوباتها

"ولكل لغة صعوباتها التي لا يتساوى الناس في تذليلها ولو زالت صعوبات الرسم والكتابة جمعاء فلا بد من فارق في اللغة بين المتعلم وغير المتعلم وبين الموهوب وغير الموهوب وبين صاحب السليقة والدخيل عليها

### تيسير الكتابة بتيسير المعرفة

"وليس لغتنا العربية بدعاً بين اللغات في هذه الخاصة العامة. . . فمهما نصنع في تيسير رسمها أو قواعدها فلن نسوي بين الناس في كتابتها وقراءتها، ولن نغني الكاتب أو القارئ عن المزيد من الاستيفاء كلما ارتفع درجة أو درجات في مراتب الفهم والشعور والتعبير، ولهذا ينبغي أن نيسر كتابتها بتيسير معرفتها وتيسير فهمها مع التسليم طوعاً أو كرهاً بأن هذا التيسير لن يدفع كل عسر، ولن يزيل كل لبس، ولن يعصم من الخطأ كل العصمة، ولن يزال الباب بعده مفتوحاً للفتاوت بين قدرة الناس على الصواب واستعدادهم للخطأ من جهل أو سهو أو قصور

### العلم التقريبي بقواعد النطق خير من الرسم ذي الصورة الواحدة

"وإذا قيل أي العلاجين أدنى إلى تيسير الكتابة؛ فلا شك أن العلم التقريبي بالقواعد التي تقيم النطق خير من الرسم الذي يقرأ على صورة واحدة مع بقاء صور متعددة للكلمة تختلف باختلاف حظوظ الكتاب من قواعد الصرف والنحو والإملاء والهجاء، وهذا إن صح أن الحروف اللاتينية تضمن القراءة على صورة واحدة وهو غير صحيح، لأن جرس الحروف اللاتينية يخالف جرس الحروف العربية في المخارج والحركات وتوقيت الكلمة في أثناء نطقها، وهو شيء صميم اللغة كالمعنى ورسم الكتابة على السواء

" وأسلم ما يقال في هذا الباب إن الطريقة القائمة لا تزال أسهل وأقرب إلى بنية اللغة من كل مقترح علمنا به، ولا مانع من جديد يستدرك ما عز استدراكه إلى الآن"

### ثانياً : تعليقه على كتاب الدكتور علي عبد الواحد وافي

انتهاز عبد العزيز فهمي باشا فرصة صدور كتاب اللغة والمجتمع الذي ألفه الدكتور علي عبد الواحد وافي (عضو مجمع اللغة العربية فيما بعد) وكتب تعقيبا على ذلك الكتاب القيم، وضمن تعقيبه على الكتاب دعماً لنظريته التي فتن بها، وما كان له أن يفتن على هذا النحو الذي جعل تعقيبه على صدور كتاب لغوي ينحصر في السطر الذي مس مقترحه من بعيد!

وعلى كل الأحوال فقد نشرت مجلة الرسالة في ٢٥ فبراير ١٩٤٦ رأى عبد العزيز فهمي باشا في كتاب الدكتور علي عبد الواحد وافي وقدمت له بقدر كبير من التبجيل على النحو التالي :  
" تفضل حضرة صاحب المعالي الأستاذ الجليل عبد العزيز فهمي باشا فأرسل إلى الدكتور علي عبد الواحد وافي رأيه في كتابه (اللغة والمجتمع):

" تفضلتم فبعثتم إليّ بكتابكم (اللغة والمجتمع)، فتناولته مسروراً شاكراً، ثم قرأته بكل عناية واهتمام. وقد وجدتم تناولتم فيه موضوع تطور اللغات وبحثومه لا من (كل أطرافه) كما يقول الأدباء، بل فليتموه وفحصتموه من (شوشته إلى قدمه) كما يقول أهل قريتنا.

" ولقد نهجتم في عرضه طريقة البيان السهل الممتع الممتع، وزدتم التنوير والإيضاح بما تزيدتم من التشقيقات والتفريعات، وبما ضربتم الأمثال من ماضي اللغات وحاضرها وقاصي البيئات ودانيها، وانتهيتم من استدلالكم القيمة إلى تقرير تلك الحقيقة الأبدية وهي: (أن اللغات وما يتفرع عنها من اللهجات كانت وما زالت ولن تزال في تطور مستمر، وأن هذا التطور قانون ثابت يجري مجراه ويأخذ حكمه حتماً كلما توافرت دواعيه وعوامله، وأن هذه الدواعي حاصلة لا محالة وإن أبطأ ظهورها حيناً طويلاً أو قصيراً). وأن هذا القانون - الذي حصّلتُ ببيانكم إياه بالعبرة السابقة - هو قانون عام ما شذت ولا تشذ عنه أية لغة من لغات العالم قديمها وحديثها. فهو متمش على العربية كما تمشى من قبل على اللاتينية وغيرها، وكما هو متمش وسيتمشى حتماً على الألمانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها".

" كل هذا يا سيدي من جانبكم كلام صحيح معقول مقبول رضى الناس أو أبوا؛ فإن القوانين الاجتماعية لا تعرف المحاباة، ولا ترعى لبني آدم حرمة ولا عاطفة ولا شعوراً، بل هي كقوانين الطبيعة من نشوء وشباب وهرم وموت، تسري على الناس كافة بغير تفريق بين أجناسهم ولا دياناتهم ولا لغاتهم. وأكرر أن هذا خلاصة رأيك، وهو حق كل الحق، وجميل كل الجمال".

### **انزعاجه من القول بأن الرسم العربي ليس في حاجة إلى الإصلاح**

يقول عبد العزيز فهمي باشا مخاطباً الدكتور علي عبد الواحد وافي:

" غير أنني لاحظت أنك، وأنت في معرض الكلام على اللغات وتطورها، قد تعرضت ، وبحق ، إلى رسم كتابة اللغات. وهنا أشرت ، فيما أشرت ، إلى شكوى الناس قديماً وحديثاً من رسم الكتابة العربية. ولكن سعة علمك، وجميل منطقتك، وسلامة ذوقك، كل هذا أبقى عليك إلا الاحتراس في التقرير، فقلت في آخر صحيفة ٣٨: (ولكن الرسم العربي ليس في حاجة إلى كثير من الإصلاح، فهو من أكثر أنواع الرسم سهولة ودقة وضبطاً في القواعد، ومطابقة للنطق).

" يقطع النظر [كما نقول الآن: بصرف النظر] عن سلامة القول بأن في رسم العربية دقة وضبطاً في القواعد ومطابقة للنطق، أو عدم سلامته، فمن رأيك أن هذا الرسم محتاج للإصلاح، ولكن لا لكثير من الإصلاح. ما هو هذا الإصلاح الذي يستلزمه رسم العربية قلّ أو أكثر؟

" إن سيدي الأستاذ يعلم حق العلم أن الشكوى من رسم العربية ليست آتية من جهة أن أهلها يصعب عليهم إخراج نغماتها الصوتية، فإن كل الأطفال الذين يقرءون شيئاً من القرآن الكريم بكتاتيب القرى، وكل أطفال المدارس الأولية يعرفون كيف ينطقون نغمات الثاء والجيم المعطشة والذال والطاء والقاف، تلك النغمات الخمس التي ليست أصيلة ولا عامة عند أهل اللهجات العربية البعيدة عن الفصحى. أما سائر حروف الفصحى كالباء والتاء والحاء والخاء والذال والراء. . . إلى آخر الأبجدية، فنغماتها يعرف المصري وغير المصري من أهل البلاد العربية أن ينطق بها نطقاً لا شائبة فيه، بلا فرق في هذا بين متعلم وأمّي. لكن هذه النغمات ليست هي اللغة العربية الفصحى المراد خدمتها، وإلا لما تعذرت على أحد.

### اعتقاده أن الشكل قد أفلس

ثم يعبر عبد العزيز فهمي باشا عن فكرة قاصرة استولت عليه فيقول :  
"بل الفصحى هي هذه النغمات موجهة في الكلمة الواحدة توجيهاً مختلفة يقوم بها في اللغات الأجنبية حروف الحركات ولا يقوم بها عندنا إلا الشكل الذي أفلس. هذا هو موطن الصعوبة عندنا ومثار الشكوى"

"وما يهم فيما يتعلق بنا أن تكون كتابة اللغات الأجنبية فيها مساوئ أو لا يكون، إنما الذي يهمنا هو رسم كتابتنا دون غيرنا. فعندما تقول إن رسم العربية هو من أكثر أنواع الرسم (سهولة ودقة وضبطاً في القواعد ومطابقة للنطق)، اسمح لي أن أقول إن هذا لا يطابق الواقع إلا من جهة السهولة أي الاختزال المخلف فقط. أما من جهة الدقة وضبط القواعد والمطابقة للنطق، فإن هذا تجرّز في التعبير.

### معنى الكلمة العربية لا يتأدى بمجرد نغمات الحروف

ثم يقدم عبد العزيز فهمي باشا فكرة مشوشة الفهم فيقول :  
" إذ معنى الكلمة العربية لا يتأدى بمجرد نغمات الحروف، بل هذه النغمات محرّكة في اتجاهات مختلفة. وهذا الغرض لا يؤديه الرسم العربي مطلقاً، أو هو يؤديه ويؤدي كثيراً غيره في آن، مما يوجب التشوش والاضطراب".

"وهيئات أن يسعفنا هذا الرسم العاجز، ولو أضيف إليه الاضطلاع المتين بقواعد اللغة من صرف ونحو وغيرهما - وما تقوله في صدر صحيفة ٣٩ مما حاصله أن لجمود الرسم فائدة تخليد ما خلفته قرائح أهل اللغة من الآثار، فاسمح لي أن أقول إن هذا كلام جيد معقول، ولكن على شرط واحد وهو أن تكون هذه المخلفات ممكناً لأي عارف بالقراءة والكتابة أن يقرأها على الوجه الذي أراده واضعها. وما أظن السيد يعارض في هذا الشرط أو يرى سهولة تحقيقه، خصوصاً مع تطور اللغة وعدم استقرارها على حال واحدة، ذلك التطور الذي وضع كل كتابه لبيانه. وإدأً بقينا مرتطمين بالصعوبة التي نحن فيها الآن".

### ثالثاً : رأي الأستاذ شاکر في عبد العزيز باشا

كتب الأستاذ محمود شاکر بما عرف عنه من الهمة و العزة و الفهم والإخلاص مقالا مبكرا جدا ١٠ ابريل ١٩٤٤ تحت عنوان " الحرف اللاتيني والعربية.. في نقد فكرة عبد العزيز باشا فهمي".

ومن العجيب ان هذا المقال كان كفيلا لو نشر في وطن غير مصر (من الأوطان التي تقدر المسؤولية الأدبية للإنسان ذي الحيثية) بان يجعل من هو في مكانة عبد العزيز باشا فهمي يعتزل الحياة تماما ولابد .

ولست أقول هذا من فراغ ، فقد ألجأ الأستاذ شاکر عبد العزيز باشا فهمي إلى ركن منزو من أركان قلة الحيلة و ضعف التقدير، و انظر الى هذه العبارات الناصعة بالبيان والفكر و الثقة بالنفس و المحتفظة مع هذا باللباقة و التهذيب وخط الرجعة وفتح باب الأوبة :

### قوة مقدمة مقال الشيخ شاکر

يتحدث الأستاذ محمود شاکر في قوة و حكمة فيقول :

" رب رجل واسع العلم، بحر لا يزاحم، وهو على ذلك قصير العقل مضلل الغاية، وإنما يعرض له ذلك من قبل جرأته على ما ليس فيه خبرة، ثم تهوره من غير روية ولا تدبر، ثم إصراره إصرار الكبرياء التي تأبى أن تعقل. وإن أهدنا ليقدم على ما يحسن، وعلى الذي يعلم أنه به مضطلع، ثم يرى بعد التدبر أنه أسقط من حسابه أشياء، كان العقل يوجب عليه فيها أن يتثبت، فإذا هو يعود إلى ما أقدم عليه فينقضه نقض الغزل".

" ومن آفة العلم في فن من فنونه، أن يحمل صاحبه على أن ينظر إلى رأيه نظرة المعجب المتنزه، ثم لا يلبث أن يفسه طول التمادي في إعجابه بما يحسن من العلم، حتى يقذفه إلى اجتلاب الرأي فيما لا يحسن، ثم لا تزال تغريه عادة الإعجاب بنفسه حتى ينزل ما لا يحسن منزلة ما يحسن، ثم يصر ثم يغالي ثم يعنف ثم يستكبر. . . ثم إذا هو عند الناس قصير الرأي والعقل على فضله وعلمه".

### تشخيص الأستاذ شاکر لما طرأ على عبد العزيز باشا

يقترح الأستاذ محمود شاکر الموضوع بذكاء وجمال فيقول :

"فمن ذلك أني قرأت في عدد مجلة (المصور) ١٠١٥ بتاريخ ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٣ حديثاً لصاحب المعالي عبد العزيز فهمي باشا عن (الإسلام والحروف العربية) فرأيته يفتتح حديثه بهذه الكلمة، إذ يقول لسائله: (أني لا أعني البتة بالاطلاع على ما قد يقال من هذا الهراء الذي هو أهون عليّ من الغبار الذي يمس ردائي وحذائي، فما بالك أنت تهتم بما لا أكرث له؟)

"و عبد العزيز فهمي رجل كنا نعرفه بالجد والحرص والفقه وطول الباع في القانون، وكنا نلذنه رجلاً محكم العقل من جميع نواحيه، لا يتدهور إلى ما ليس له به عهد، ولا يرمي بنفسه في غمرات الرأي إلا على بصيرة وهدى. فلما قال ما قال عن الحروف العربية في المجمع، ونشرت

الصحف قوله ورأيه، قلنا: عسى أن يستفيق الرجل ويعود إلى سالف ما عهد فيه من الحكمة والمنطق، وأن يكون ما قال خالصاً لخدمة العربية، فإن يكن في رأيه شيء من الصواب فسيحقق الجدل الذي يدور بينه وبين الناس فضيلة رأيه على الآراء، وإن يكن أخطأ فهو خليق أن يرجع إلى صواب الناس غير معاند ولا لجوج"

### تعبير الأستاذ شاكر عن صدمته من حديث الباشا

و يعبر الأستاذ محمود شاكر عن صدمته فيقول:

"كان هذا ظننا فيه، فلما قرأت فاتحة حديثه التي رويتها قبل، علمت أن الرجل لن يستفيق، ولن يعود، ولن يعقل ما يقول الناس، وما ظنك برجل من رجال القضاء، رجل مارس العقل والفهم وتقليب الرأي، والتثبت من الحجج المتضاربة الموهمة، والحرص على أدق الصغائر لا تخدعه عن عدله وإنصافه؟ ما ظنك برجل هذه صفته يزعم أنه لا يطلع، بل لا يعني نفسه بأن يطلع على آراء خصمه!

### كيف يصف قاض ما لم يطلع عليه بأنه هراء

" ثم ماذا؟ ثم ترى هذا القاضي العادل، بعد أن شهد على نفسه وأقر أنه (لا يعني نفسه البتة بالاطلاع على ما قد يقال)، يصف هذا الذي لم يطلع عليه ولم يقرأه ولم يتعب فيه، بأنه (هراء)؟! فمن أين علم؟ وكيف حكم على شيء لم يقرأه؟

" ثم يزيد فيقول إن هذا الهراء الذي لم يقرأه، أهون عليه من الغبار الذي يمس رداءه وحذاءه! ثم يببالغ فيعنف سائله ويتعجب له ويسخر منه، ويقول له: ما بالك أنت تهتم بما لا أكثرت له؟ " وهذا التسلسل العجيب الذي كنا لا نظنه مما ترضى عنه بصيرة رجل مفكر، فضلاً عن قاض حريص، فضلاً عن رأس من رؤوس القانون، فضلاً عن نابغة من نوابغ مصر، قد كان، ورضى عنه عبد العزيز فهمي باشا، وجعله حجته ومنطقه في حومة الرأي والجدال. ولعل الغضب هو الذي احتمله حتى أضله عن مواطئ حجته، ثم تركه يتضرب في كلامه، حتى اقتترف من اللفظ والمنطق ما لا يليق به.

"ونحن سنرضى أن نكون في الغبار الذي يمس رداء الباشا، وفي الغبار الذي يمس حذاءه! ونسأل الله أن يجعله بركة للناس وخيراً، وأن يسبغ عليه من نعمه ما هو له أهل، وأن يسدد خطاه حيث ذهب، فحيثما اهتدى الباشا كنا من الغبار الذي يهتدي بهدي حذائه! وسواء علينا بعد ذلك أقرأ هذا الهراء أم لم يقرأه!

"نحن نسلم للأستاذ الجليل بما يقول عن صعوبة الحرف العربي المكتوب، وبأنه يعوق القراءة، وأنه يجعل العربية أبعد متناولاً عن عامة الناس، نسلم له بهذا، ثم ننظر كيف يكون الرأي الذي اعتسفه مظنة للتسهيل، ومدعاة لنشر العربية! وكيف يكون هو الذي يخرج الحرف العربي الغامض إلى البيان والوضوح، فلا يكون مضللاً ولا معوقاً، فإنه زعم أن: (ليس لدى المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربية وقت فائض يصرفونه في حل الطلاس)!"

" هذا هو محصول رأيه فما هذا التضليل الذي زعم؟ لقد قال من قبل إن الذي دفعه إلى هذا الرأي هو تيسير الكتابة العربية، (لأن حروف هذه اللغة ليس بينها حروف حركات! وكثيراً ما يحدث فيها التصحيف والتحريف لهذا النقص. فمهما تعلمها الإنسان فلا بد أن يخطئ في قراءتها، وقد عالج الأقدمون هذا المشكل الكبير بوضع الشكل، ولكن هذا الشكل قد أفلس، بل كان مجلبة لزيادة التحريف والتصحيف)

### الأستاذ شاكر ينيه الباشا للحروف المعجمة

ينيه الأستاذ محمود شاكر إلى نماذج عميقة المغزى لم تدر في خلد الباشا :  
"ودليل الاضطراب لم يزل يظهر في هذا المنطق كما ظهر في حديث محرر المصور، وهو سؤال وجواب لا عنت فيهما، فأول الوهن وأول الفساد في هذا المنطق أننا رأينا في اقتراحه قد أبقى الحروف المعجمة (المنقوطة)، وقصر ما ادعاه من التضليل والعسر على (حروف الحركات). وهذا عجب فالإعجام (النقط) هو في التصحيف والتحريف بمنزلة الشكل أو أقل منه قليلاً، فكان لزاماً عليه أن يبحث مسألة الحروف المعجمة، ويخلص العربية منها ليدراً عنها التصحيف والتحريف! ولكنه لم يفعل، ولم؟ لا ندري!  
"ومع ذلك، فلنفرض أننا أدخلنا ما سماه (حروف الحركات) في كلام عربي مكتوب باللاتينية، ثم لنفرض بعد ذلك أنه قد أجدى ونفى التضليل من هذا الوجه. ولكن يبقى أن ننظر: أينتفي التضليل البتة، أم هناك نوع آخر من التضليل يجره هذا العمل؟  
وأي التضليلين أهون شأنًا؟ فإذا تساويا بطلت الحجة المرجحة، وإذا غلب أحدهما كان الانصراف إلى أخفهما ضرراً هو الوجه الذي لا معدل عنه. أليس هذا هو منطق الناس يا صاحب الحروف اللاتينية، أم تراه ينبغي أن نسير على هدى منطقك!؟

### الأستاذ شاكر ينيه إلى قيمة تمييز المتقاربات

يضرب الأستاذ محمود شاكر المثل الشارح بذكاء :  
"فخذ إليك مادة من العربية مثل (قام)، ثم اجعلها فعلاً، ماضياً ومضارعاً وأمرأ، وألحق به ما يلحقه من الضمائر، وأدخل عليه ما يدخله من قبل أوله وآخره مثل (فليقمهن) وفي التثنية والجمع، والخطاب والغيبة، ثم أخرج جميع مشتقاته من الأسماء، وألحق بها ما يلحقها، وضعها في حالة الإضافة إلى الاسم الظاهر والضمائر، في التثنية والجمع أيضاً، ثم اجمع الأسماء على اختلاف صور الجموع الممكنة فيها، ثم افعل ذلك بالمادة حين يزداد فيها ما يزداد مثل (أقام وقوم واستقام)، وصرفها في الوجوه التي ذكرناها، وتبين حركات الإعراب في سياق الكلام، وضع كل ذلك أمامك مكتوباً بالحرف العربي، ثم بالحرف اللاتيني ذي الحركات التي تجعل الكلمة مرسومة كمنطوقة. ثم انظر إليهما، فهل تستطيع، غير معاند ولا لجوج، أن تميز بين كلمة وكلمة، وأن تتبين الشبه بين هذه المتقاربات من مادة واحدة في اللغة؟

"ونحن قد جربنا على أسلوب صاحب اللاتينية، فجربنا ذلك بأنفسنا فما اهدينا ولا أدرنا، وصارت الكلمة الواحدة التي لا تخطئها العين في العربية، ولا تخطئ الشبه بينها وبين صويحباتها، كلمات لا يدري ما هي! " وهذا شيء قائم على الحس والتجربة والعيان.

### أول التضليل ضياع ادراك اشتقاق اللفظ

ثم يتساءل الأستاذ محمود شاكر عن مجموعة من الأصول التي لم يحط بها الباشا :  
"فإذا عرف، من لا يستكبر عناداً ولجاجاً، أن ذلك مما يضل ويعمي، نظر فإذا هو يرى أن أول التضليل في رسم العربية باللاتينية، أن يضيع على القارئ تبين اشتقاق اللفظ الذي يقروءه، فإذا عسر عليه ذلك صار اللفظ عنده بمنزلة المجهول الذي لا نسب له، وصار فرضاً عليه أن يعتمد إلى رسم المادة الواحدة من اللغة في جميع صورها التي تكون في السياق العربي، ثم عليه أن يحاول تقريب الشبه بالذاكرة الواعية، ثم عليه أن يحفظ معاني ذلك كله. فإذا كان هذا شأنه في المادة الواحدة فما ظنك باللغة كلها؟ يومئذ تصبح العربية أجهد لطالباها من اللغة الصينية. نعم، وإذا ضل عن تبين الاشتقاق والتصريف، فقد ضل عن العربية كلها، لأنها لم تبين إلا عليهما.

### الاشتقاق والتصريف في العربية يسبقان بناء الكلمة

"وهي من هذا الوجه مخالفة لجميع اللغات التي تكتب بالحرف اللاتيني، لأن الاشتقاق والتصريف يعرضان لها من قبل بناء الكلمة كلها، حتى تختلف الحركات على كل حرف في كل بناء مشتق أو مصرف، ثم يزيد على ذلك ما يدخل على الكلمة من جميع ضروب الحروف العاملة وغير العاملة، ثم علل الإعراب والبناء والحذف. . . إلى آخر ما يعرفه كل مبتدئ في العربية

### عسر القراءة أهون من امتناع الفهم

"فإذا كان هذا هكذا، كان التضليل كائناً فيه، وكان هذا التضليل واقعاً في أصول الاشتقاق والتصريف، الذي يرد القارئ إلى أصل المادة اللغوية، وإذا كان الضلال عن أصل المادة ضلالاً عن معناها، فأبي السبيلين أغمض وأضل: سبيل عسر القراءة لعدم (حروف الحركات)، أم سبيل امتناع الفهم لامتناع الاهتداء إلى أصل الاشتقاق؟ ونحن لا نشك في أن كل رجل ذي بصيرة حسن المنطق، سيجد في هذا وحده من المشقة والعسر، ما لا يدع اختياراً في الاعتراف بالضلال المطبق الذي تجلبه الكتابة بالحرف اللاتيني، وأن التصحيف والتحريف الذي يدخل الحرف العربي أهون بكثير من الاختلال والفساد والمضلة والعبث التي يجرها الحرف اللاتيني

### الغموض الأعمى الذي يجلبه مشروعه

"وإذن فغاية المشروع الذي انتحلته، أن يبسر نطق الكلمة المكتوبة في حال إفرادها، غير ناظر إلى سهولة الاهتداء إلى الاشتقاق الذي هو أصل العربية، وأراد أن يأمن الخطأ في الإعراب، والتحريف في ضبط الكلمة، فنسى كل شيء، ولم ينظر ماذا يجلب مشروعه من التضليل والتنويه والتعسير والاستحالة، والغموض الأعمى الذي لا يهدي إلى شيء في هذه اللغة العربية! وهذا وحده عجب أي عجب



### الخطأ ليس من الحرف المكتوب وإنما من القارئ المخطئ

بييلور الأستاذ محمود شاكر الفكرة في لفظ جميل :

"... زعم الباشا أن الحروف العربية تعوق القراءة، فمهما تعلمها الإنسان فلا بد أن يخطئ! وأن هذا المشكل قد عالجه الأقدمون بوضع الشكل، ولكن هذا الشكل قد أفلس، بل كان مجلبة لزيادة التحريف والتصحيف! هما علتان، ثم علتان ملفقتان قد غلغل فيها البطلان، ونخرتهما المغالطة في الصميم وفي المنطق. ونحن لن نناقش اليوم هاتين علتين إلا من وجه واحد يظهر به فسادهما، أما سائر الوجوه فندعها حتى يحين وقتها ومكانها من الكلام. فالخطأ عندنا لا يعود إلى صعوبة الحرف المكتوب، وإنما يعود إلى القارئ المخطئ نفسه، وهذا هو وضع القضية عندنا: إذا كان المتكلم حين يتكلم يستطيع أن يسوق كلامه على العربية الصحيحة غير مخطئ، فمحال أن يخطئ فيها عند القراءة مهما اختلف الخط عليه سهولة وصعوبة، لأن النطق سابق للقراءة، فالذي لا يخطئ وهو يتكلم (أي كأنه يقرأ من حرف غير مكتوب)، لا يتأتى له أن يخطئ وهو يقرأ حرفاً مكتوباً ظاهراً مميزاً ببعض الدلالات. وإذا عولج بعض العسر بوضع الشكل على الحروف، فالخطأ عندئذ أشد استحالة لوجود دلالات صريحة لا تقل في إفصاحها وبيانها عن حروف الحركات التي أرادها صاحب هذا المشروع اللاتيني، ومن ثم فهي ليست مجلبة لزيادة التصحيف والتحريف كما زعم.

### قوله بإفلاس الشكل حكم باطل في قضية باطلة

"... أما قوله، في خلال ذلك، إن الشكل قد أفلس، فهذا حكم باطل في قضية باطلة بطبيعتها، وما دامت القضية في أصلها لا تصح على الوضع الذي لفقه، فالحكم نفسه لم يدخل إلا زيادة في التلغيف. لقد نسى صاحب الحروف اللاتينية أن الإعراب في العربية شيء يختلف اختلافاً كبيراً عن سائر اللغات المكتوبة بالحروف اللاتينية، وأن الخطأ فيه لن يكون من قبل الكتابة سهلة أو صعبة، بل هو راجع إلى المتكلم أو القارئ من قبل [من ناحية] الضعف والقوة والعلم والجهل ليس غير.

### أي طلاس يقصدها الباشا وهو الذي يصنعها؟

"أما الثالثة الأثافي، كما يقولون، فهو زعمه أن (ليس لدى المسلمين، وغيرهم من أهل البلاد العربية، وقت فائض يصرفونه في حل الطلاس! فأى طلاس؟ أي الطلاس التي تدخل على كل حرف من الحروف في المادة الواحدة، ألواناً من الحركات تكتب بين كل حرف وحرف، وفي أواخر كل كلمة، وتقف فواصل متباينات بين حروف مادة واحدة من لغة بنيت على الاشتقاق وعلى الاختصار، وجاء فيها الجموع المختلفة، والصفات والأينية ذوات المعاني، والبناء للمجهول، وأحكام المعتل في التصريف، واختلاف المصادر وأسماء الزمان والآلات، وللترخيم والنسبة، والإضافة والتقاء الساكنين، وأحكام الإعلال والإبدال والإدغام، إلى آخر هذا كله، مما يغير الأينية والأطراف والأوساط، هذا إلى كثير من أحكام النحو الأخرى التي تفزع من يتبعها إذا هو أراد جدال صاحب الحرف اللاتيني! أهذه هي الطلاس أم تلك؟ .

## فتنة الشيخ الصالح والدعاء له

وأخيراً يقول الأستاذ محمود شاکر :

"ولكنها فتنة! فتنة اغتر بها شيخ صالح، فاستغلها من لا يرى للعربية حقاً ولا حرمة، .....  
وأي مصرع يا صاحب المعالي! علمك الله الخير وهداك إليه وسددك وحفظك.

## رابعا : قصة معركة الدكتور عبد الوهاب عزام

كان من سوء حظ عبد العزيز فهمي باشا أن الدكتور عبد الوهاب عزام وهو عميد الدراسات الشرقية بلا منازع كان قد استعرض في الصحافة الثقافية منذ ١٩٣٥ بالتقييم والنقد الموضوعي تجربة الاثراك المحدثين في اللجوء الى كتابة لغتهم بالحرف اللاتيني بدلا من الحرف العربي وذلك ضمن سلسلة رائعة قيم فيها التجربة التركية وسماها نهضة تركيا الحديثة .

فلما ظهر اقتراح عبد العزيز فهمي باشا بدا للمتقنين المتابعين والاكاديميين الذين كانوا قد اطلعوا على دراسات الدكتور عبد الوهاب عزام ما جعلهم يتأكدون من ظنهم السريع ان الاقتراح لا يعدو ان يكون افتتاحا قاصرا بتجربة اتاتورك ، التي أصبح مفهوما لنا الآن أنه قصد بها الانسلاخ من الهوية و من الإسلام وليس التيسير الذي زعمه عبد العزيز فهمي باشا ، و لا التغريب الذي لا يزال الناس يظنونه ، و قد كان تمحيص عبد الوهاب عزام للتجربة التركية و نقده الموضوعي لها جاهزا في اذهان المثقفين الحقيقيين للرد على عبد العزيز فهمي باشا ردا رافضا لمقترحه ومفندا لنظريته .

وفيما يبدو فان عبد العزيز فهمي باشا بما هو معروف عنه من ضيق صدره و نفاذ صبره و تمسكه بظاهر النصوص والمعاني الحرفية و انحيازه المطلق لما يعتقد أنه صواب وانخداعه فيمن كانوا يجاملونه من فئات المجاملين العابرين قد تصور ان نص الدكتور عبد الوهاب عزام القديم موجه لنقده هو مع أنه سابق عليه بسنوات ، فاذا به في كتابه الذي ضمنه ردوده على من رفضوا اقتراحه يحاول الدفاع عن نفسه بأن ينهال بالسخرية على الدكتور عبد الوهاب عزام و شخصه لاجئا في هذا الهجوم المتعالي إلى طريقة من يتصورون انفسهم أصحاب حق بحكم الاقدمية العمرية و السطوة المعنوية .

ولم يكن في وسع الدكتور عبد الوهاب عزام ان يسكت عن هذا الشطط ، و ببساطة شديدة فقد نجح عبد الوهاب عزام فيما لم ينجح فيه سعد زغلول باشا في مقاربتة للتعامل مع عبد العزيز فهمي باشا والرد عليه ، فقد استطاع بجهد ضئيل أن يهون من شأن شخصية عبد العزيز فهمي باشا ومن طريقة تفكيره وتعبيره حتى جعل مقامه أقل من مقام أي انسان أمسك بالقلم ، وقد فعل هذا من دون حمية ولا حماسة ولا عصبية ولا تجاوز .

وقد نشر الدكتور عبد الوهاب عزام مقاله الأول في التعليق على مقترح عبد العزيز فهمي باشا هذا الموضوع تحت عنوان " الحروف اللاتينية لكتابة العربية " في مجلة الرسالة في ٢ أكتوبر ١٩٤٤ بعد ان كانت مجلة الرسالة قد نشرت رأي الأستاذ العقاد والأستاذ محمود شاکر .

### عناية الباشا بتجريح من انتقدوه

في هذا المقال الأول الذي سننقل كثيرا من فقراته دليل بالغ القوة على ما كان الدكتور عبد الوهاب عزام يتمتع به من العبقرية والفهم وحسن المقاربة و التأويل و الجدل والبيان. يقول الدكتور عبد الوهاب عزام :

"سمعت منذ شهرين أن سعادة عبد العزيز فهمي باشا الذي اقترح على مجمع اللغة العربية أن تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية، يطبع كتابا يجب فيه على المعترضين على رأيه، فقلت لمن أخبرني: جدير بكل ذي رأي أن يدفع عنه حتى يتبين للناس إنه مصيب أو يتبين له هو إنه مخطئ

" ثم أرسلت إليّ نسخة من الكتاب منذ عشرة أيام فتعجالت النظر فيه آملاً أن أجد جدالاً يمليه الإنصاف، وتحوطه التؤدة والأناة، ويقصد إلى الغاية على طريق مستقيم لا يجور به الهوى، ولا تحيد عنه العصبية، ولا يقطع الكلام في غير الموضوع على غير وجه

" ثم عبرت الكتاب فإذا المؤلف يعدد في القسم الثاني من كتابه ثلاثة وعشرين عنوانا متواليّة على العدد، ويحاول بعد كل عنوان أن يذكر اعتراضا ويرده، ولو استقام البحث على هذه الطريقة لاستوعب المؤلف الاعتراضات كلها، وأجاب المعترضين جميعا غير معرج على الأشخاص، [لأغناه] عن الجدل في الرأي إلى الاستهزاء بصاحبه والافتراء عليه.

" ولكن الأستاذ عرض في بعض هذه العنوانات لذكر أشخاص بأوصافهم أو بأسمائهم. وأطال في تجريحهم بأشياء توهمها لا تتصل بموضوع الجدل صلة قريبة أو بعيدة، على حين أوجز في الفصول التي ردّ فيها الاعتراضات غير مبال بالأشخاص. فتم صنعه عن قصده إلى الانتقام من ناس خالفوا رأيه، ودل فعله على أن تجريح هؤلاء ينال من اهتمامه نصيبا أكبر من الاعتراضات التي جادل فيها"

"وقد قرأت الفصل الخامس عشر الذي تكلم فيه عن كاتب أرسل إليه بالبريد صحيفة فيها مقال يجادله فيه. قرأت هذا الفصل متعجبا مشدوها لا أكاد أصدق أن هذا الهجوم الحاقد والطعن المتدارك خطه قلم الأستاذ الجليل. وحسبت أن الأستاذ ترك الموضوع إلى هذا الطعن والتجريح في أمور لا صلة لها بالموضوع عقابا لرجل يعرف الباشا إنه يستحق ما يرميه به، ويرى ألا يضيع الفرصة للانتقام منه. وحسبت أن الرجل لو لم يكن جديراً بهذا ما رماه به المؤلف. ثم عرفت الرجل المقصود من بعد فإذا هو رجل مجاهد مخلص يعمل دائماً صامتاً لا يماري ولا يفترى. "

" فلبثت حيران لا أدري ما وراء هذا من سر. وللرجل قلم هو أولى الأقلام وأقدرها على الدفاع، فلست محاولاً الدفاع عنه، ولكني أجعل الطعن فيه والبغي عليه مقياساً لما في كلام المؤلف من تثبت وتورع عن ظلم الناس والعدوان عليهم ، وكان العنوان: (الحادي والعشرون) نصيبي من رد سعادة الأستاذ."

### كتبت في الموضوع قبل أن يُختار عضواً في المجمع

يقرر الدكتور عبد الوهاب عزام حقيقة تاريخية مهمة فيقول :

"وأنا أقدم قبل مجادلته فيما أدعي، أنني كتبت في هذا الموضوع قبل تسع سنين حينما نشرت في مجلة الرسالة مقالاتي عن النهضة التركية الحديثة. وأني عنيت به منذ غير الترك العثمانيون كتابتهم. وحدثت فيه وجادلت في مصر والبلاد العربية وفي تركيا و أوربا قبل أن يختار الأستاذ عضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية. وقد اخترت موضوع محاضرتي: (الخط العربي. مزاياه وعيوبه) قبل أن ينشر تقرير الأستاذ الذي قدمه إلى المجمع. ونحن نسجل موضوعات المحاضرات العامة أول العام الدراسي ثم نلقيها في أوقاتها. ولم يكن سعادة الأستاذ يشغلني كثيراً وأنا أكتب محاضرتي وإنما عمدت إلى البحث الصرف غير مبال بالأشخاص لاسيما سعادة الكاتب الذي لم يبتدع هذه البدعة بل تبع فيها دعاة هم أولى بأن يجادلوا فيها"

### توهم نفسه إماماً في هذه الدعوة

يصور الدكتور عبد الوهاب عزام الوهم الذي استولى على الباشا فيقول:

"ولكن المؤلف توهم نفسه إماماً في هذه الدعوة، وحسب كل مجادل فيها يعنيه لا يعني غيره، وظن أن كل مخالف عدو، وأن العدو ينبغي أن يحارب، وأن الحرب تبيح كل عدوان"  
"ويعلم الله أنني حين قرأت ما كتب الأستاذ عزمت على ألا أجادله بأساً من جدوى الجدل الذي يبتدئ على هذه الطريقة. وقلت كيف أجادل كاتباً حديد الطبع، تحمله الحدة على التسرع، وينسيه التسرع التثبت، ومن نسي التثبت كان حرياً أن يسير على غير طريق إلى غير غاية، جديراً أن يقول غير سديد، ويطعن غير مقتصد، ثم أشار علي بعض الإخوان، كما أشار عليه بإجابة المعترضين (بعض المهتمين بهذه المشكلة)

"وأبدأ بمجادلة الأستاذ في الخطة التي ارتضاها لنفسه، وأقول غير متردد: إنها خطة جائزة منكرة تكفل لصاحبها ألا يهتدي إلى صواب، ولا يبتعد عن ضلال، خطة تعنى بأصحاب الآراء أكثر مما تعنى بالآراء، ثم لا ينال أصحاب الآراء من هذه العناية إلا الاستهزاء والبغي والافتراء، وسواء على صاحبها أن يقارب الحق أو يباعده، وأن يصف خصمه بصفاته أو بما يناقضها"

### عبد العزيز باشا يتوهم صفاته و لا يدرك حقيقته

يستعرض الدكتور عبد الوهاب عزام قدرته الجدلية :

"توهم الأستاذ لي صفتين أحسب أن وصفي بهما لا يكون إلا ميلاً مع الهوى، وجورا مع الغضب، ورجماً بالأوهام ... عرضت لعيوب الكتابة الأدبية، وبينت من شناعتها ما لا تذكر معه عيوب كتابتنا. ثم قلت إن الكتابة الأوربية محمية بالأساطيل والطائرات والفتنة والهيبة اللتين تأخذاننا من كل جانب. وهي كلمة حق تجمل ما نحن فيه من افتتان بكل ما يأتي من أوربا وازدراء لكل ما عندنا. وما قصدت بهذه الكلمة الأستاذ عبد العزيز باشا ولا جماعة في مصر، ولا المصريين وحدهم، ولا البلاد العربية فحسب. بل أردت بها ما يعم أقطار الشرق كلها من هذه الفتنة. فأثارت

هذه الكلمة ثائرة الأستاذ، وقد اعترف هو بهذه الفتنة في نفسه حين قال وهو آخذ بمخنق الكاتب الذي أرسل إليه مقالاً بالبريد.

" قال هو يعرب عن إكباره وإعجابه بالقوانين التي أخذناها عن أوربا: "اعلم معلماً أن العقول التي كشفت لك عن عجائب الكهرباء. وهيات للناس التلغراف واللاسلكي. كما كشفت لك عن معجزات الطيران الذي طبق عليك وعلي وعلى جميع الناس أرجاء السماء - هذه العقول لها أخ من أبويها يشتغل إلى جانبها بمسائل القانون ويسمو في بيئته إلى ما يسمو إليه اخوته الآخرون، ولكنك لا تراه لأن نظرك قصير" وكان يمكن الأستاذ أن يطرد القياس، فيقول: ولهم كتابة هي ولاشك أفضل من كتابتنا، وهي العلاج الوحيد للغتنا. الخ.

### **صلتي بالوطنية هي العمل الصامت الدائب**

ينقض الدكتور عبد الوهاب عزام فكرة الباشا فيقول:

"أليس قياس القانون على الطائرات ونحوها هي الفتنة التي ذكرتها فغضب الأستاذ. ولا أدري لماذا ثار الأستاذ فقال عني: (هنا خلع العلم ثوبه وارتدى ثوبا سواه، الوطنية اللفظية، ولحمة أناشيد أرباب الحناجر). ومضى يكرر هذا المعنى إلى أن قال: (بل لعلي واهم فيما أخشاه على الأستاذ من إمكان حمل عباراته على معنى تعمد مسابقة أرباب الحناجر في حلبة الوطنية اللفظية) "وجوابي أن الله يعلم وأصحابي وتلاميذي يعلمون أنني لست من أولى الوطنية اللفظية، ولا ممن ينشدون أناشيدها ويكدون حناجرهم فيها، بل كل صلتني بالوطنية العمل الصامت الدائب الذي لا يبغي من الناس جزاء ولا شكورا، وأن اتهام مثلي بهذا جدير بأن يلقي الشك في كل ما يزعم المتهم وينفي الثقة عن كل كلامه

### **عبد العزيز باشا وصفني بما فيه هو لا بما في**

ثم يقول الدكتور عبد الوهاب عزام بهدوء الواصل:

"ثم انتقل الأستاذ في غضبه وانطلاقه مع الغضب غير متند ولا متثبت، فوصفني وصفا آخر يناقض الوصف الأول في معناه، و يوافق في إنه باطل مثله. وصفني الأستاذ غير عارف، أو متجاهلاً تجاهل العارف بأني رجل متوفر متزمت. ثم لبث يشرح التزمت ويبين آثاره في خلقه صاحبه وخلق، وفي الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج؛ فكتب صفحتين في هذا كأن مقصده الأول الكلام في التزمت لا الدفاع عن بدعة الحروف اللاتينية.

وأنا أعرض على القارئ مقدمة كلام الأستاذ في التزمت ثم أسأله كيف يسمي هذا الكلام، وما ظنه بمن يرمي به وهو يجادل في الحروف اللاتينية، ويلفظه وهو يجادل رجلاً بعيداً كل البعد عن التزمت، قال الأستاذ: (والتزمت، أبارك الله، متى أخذ بخناق الرجل نكر خلقه، إنه يورث اقعنساساً فيبدو مقعر الظهر، محدب الصدر، منتفخ الأوداج، محتقن الوجه، بارز الحدقتين. في الأوج هامته، وفي الحضيض همته. إن لم يكن كالمعلق بحبل المشنقة، فهو على الأقل ضابط صف معلم بأورطة الأساس، يمشي متسامخاً مدلاً بكفايته بين أنفار القرعة المستجدين. هكذا يفعل التزمت. ثم هو

يخرجه من تصرفاته عن التعابير المألوفة بين الناس. يجعله متى أراد إخراج الكلمة من فيه رطلا خرجت على الرغم منه قنطاراً. وإذا أرسل صوته يمينا التوى فذهب شمالاً، وإذا بصق أمامه على استواء نكص البصاق إلى الوراء، هو يخرجه من فيه، فيرتد لما فيه فيعجبه.. الخ

"هذا أيها القارئ مقدمة كلامه في التزمت ووراءه كلام طويل تناول الموضوع والصلاة والصيام والزكاة والحج، وإن أراد الكاتب أن يضحك باكياً فليقرأ بقية الفصل ويرى كيف تعب المتزمت في كيل الزكاة وخنق دجاج الدار حين جاء يلتقط الحب، ثم طلق امرأته إذ أمرها بإخراج الدجاج الميت فلم تمتثل. وكيف فعل في الصلاة والصوم والحج، ثم ليدلني القارئ على صلة عاقلة أو مجنونة بين هذا وبين الحروف اللاتينية واللغة العربية.. وأنا أنشد الأستاذ... أن يسأل نفسه هادئاً إن استطاع: أهذه الأوصاف تنطبق عليّ أو عليه خلقة وخلقا. ثم أنشده الله الحق: ألا يشعر بشيء من التناقض والتهافت والتهافت في أن يصف إنساناً في مقال واحد بأنه من أرباب الحناجر وأناشيد الوطنية اللفظية، وبأنه متوقّر متزمت، ثم أنشده الله الحق مرة أخرى: أحسب نفسه صادقاً حين وصف بهذه الأوصاف رجلاً يعلم الله وكل من يعرفه من الناس إنه من أبعد خلق الله عنها.

#### د. عزام يكشف تناقضات عبد العزيز فهمي باشا

يجار الدكتور عبد الوهاب عزام بالحقيقة :

" إن كان قد عُمي على الأستاذ وصف إنسان يعاصره ويعايشه في بلد واحد، وخفي عليه سيرة رجل قريب منه يستطيع أن يعرفه باللقاء والمحادثة، ويستطيع أن يسأل عنه أصحابه وتلاميذه، إن كان قد ذهب عنه هذا كله احتقاراً بالناس أو احتقاراً للحق أو ولو عا بالافتراء، وجموحاً مع الهوى؛ فهل يثق عاقل بكلامه في الأمور المعنوية المعيبة، الأمور التاريخية والاجتماعية واللغوية الدقيقة، هل يظن عاقل أن من يجري مع الهوى وطلق الجموح، ويساير الباطل هذه المسابرة يكلف نفسه عناء في بحث موضوع أو وزن دليل، ونقد حجة؟ إنني لا أنال من سعادة الأستاذ بمثل أن أدعو القارئ إلى قراءة هذا الفصل المضحك المبكي فهو أبلغ شيء في وصف نفسه ووصف كاتبه"

"وليت شعري أهذا شيء حديث عرض لسعادة الأستاذ أم كان بهذه الطريقة نفسها يعالج قضايا الناس محامياً ونائباً وقاضياً؟

" وبعد؛ فقد قرأت في كتاب فارسي هذه القصة : ذهب رجل إلى طبيب وشكا إليه أنه يحس في صدره عقداً، قال الطبيب ما صناعتك؟ قال شاعر. قال نظمت شعراً منذ قليل؟ قال نعم. قال أنشدته أحداً؟ قال لا. قال فأنشدنيه ؛ فأنشده. فاستعاده مرات. ثم سأله كيف تجدك الآن؟ قال أشعر براحة، قال الطبيب هذا شعر كان معقداً في صدرك لعل سعادة الأستاذ استراح بعد أن أخلى صدره من كلام تعقد فيه زمناً طويلاً، وقد بعد عهده بمجادلته في المجمع التي ضج منها الأعضاء ولا يزالون يضحجون ويشكون، وكان في مجادلة المجمع عوضي عن مجادلات ألفها المؤلف طول عمره. فإن كانت عقد صدره قد انحلت بما لفظه علينا من البغي والافتراء، فليحمد الله الذي شرح صدره"

### مقال الدكتور عبد الوهاب عزام الثاني في الرد على عبد العزيز باشا

كان الدكتور عبد الوهاب عزام قد وعد القراء في نهاية مقاله الأول أن يناقش عبد العزيز باشا فهمي في الكلمات القليلة، التي كتبها في الموضوع أسفاً على أنه أخرجه عن البحث كارهاً مشمئزاً ولا ذنب للمكره، وللناس والأقلام محن تكره فيها على ما لا تود، وتكلف ما يشق عليها، و قد قام الدكتور عبد الوهاب عزام بهذا الواجب العلمي خير قيام في مقاله الذي نشر في الرسالة في ٣٠ أكتوبر ١٩٤٤ .

### كلما ذكرت مقدمة قال الباشا : هذا أمر معروف

في هذا المقال يلفت الدكتور عبد الوهاب عزام النظر إلى تعسف الباشا : " ذهب الأستاذ عبد العزيز باشا فهمي مذهباً عجباً في نقد محاضرتي اللتين نشرت خلاصتهما في مجلة (الثقافة)، بعد أن حشر ما حشر من الكلم الجافي الذي ذكرت نبذة منه في المقال الأول، وإجمال هذا المذهب العجيب : أنى كلما ذكرت مقدمة يقتضيها سياق الكلام قال هذا أمر معروف، وكلما عرضت لمزية من مزايا الخط العربي إيفاء لبحتي في (الخط العربي مزاياه وعيوبه) قال هذا ليس في الموضوع .

### وكلما عرضت لمزية قال الباشا : هذا ليس في الموضوع

و بصور الدكتور عبد الوهاب عزام التعسف فيقول:  
" فالموضوع في رأي الأستاذ هو الاعتراف بقصور الخط العربي وسقمه والعدول عنه فوراً إلى الخط اللاتيني. هذا هو الموضوع، فمن جادل فيه فقد حاد عن الموضوع.  
" بينت حاجة البشر إلى الإبانة عما في أنفسهم، ونقلت جملة من كلام الجاحظ في هذا. فقال الأستاذ: (أما وصدقنا، لا لأن الجاحظ أو غير الجاحظ قاله. بل لأن هذا ضرورة ماسة واقعة يدركها كل إنسان، سواء أرادها الجاحظ وغيره أو لم يريدوها. . . وليس هؤلاء المفكرون إلا مجرد مسجلين للواقع المقضي بالضرورة. وهذا التسجيل أستطيعه أنا وأنت وكل عالم متمكن وكل ناقصي التعليم. الخ). ولست في حاجة إلى أن أدحض هذا الرأي فهو داحض بنفسه.  
" وبينت تاريخ الخط في العالم وتسلسل الخطوط من الخط الفينيقي إلى الخط العربي، فاستبان أن الأصل القريب للخط العربي هو الخط النبطي. فقال الأستاذ: (وهو تقرير يستطيعه كل إنسان يعرف لغة أجنبية فيطلع على معجم من معاجمها المطولة. الخ).

### أليس الاستدلال هو الاستعانة بالمعروف على معرفة المجهول

و هنا يقول الدكتور عبد الوهاب عزام :  
" أفكان حتما علي أن أترك هذا الحديث وأحذف مقدمة لا بد للبحث منها من أجل أن كل إنسان يعرف لغة أجنبية يستطيعه ؟ وهل من الحق أن كل من عرف لغة أجنبية استطاع أن يكتب في هذا الموضوع ؟ "إن الأستاذ يكلف الناس علمه وذكاءه فيكلفهم شططاً"

" وقلت إن الخط العربي خط أمم منتشرة في أصقاع مترامية، وأن هذه الأمم على اختلاف لغاتها، أخذت هذا الخط فزادت فيه ما احتاجت إليه وأحكمته وجملته. فقال سعادة الأستاذ: (وهذا التقرير معروف الموضوع عند الجميع. . . فهو هنا مجرد حشو وتزويد لا غناء فيه).  
"وكذلك ادعى الأستاذ في مسائل أخرى تحتاج إلى البيان أو يحتاج إليها الاستدلال: أنها معروفة ، وأن ذكرها حشو وتزويد كأن كل مستدل يلزمه أن يحذف المقدمات المعروفة، ويأتي بدعواه منكرة يعوزها الدليل. أليس الاستدلال يا سعادة الأستاذ هو الاستعانة بالمعروف على معرفة المجهول  
وهنا يقول الدكتور عبد الوهاب عزام :

"لم أستطع والله أن أنسى وأنا أقرأ هذا الكلام وشبهه قصة جحا المشهورة، إذ صعد المنبر فقال: أتعرفون ما سأقول؟ - إلى آخر القصة التي يمنعني من ذكرها أنها معروفة يعد ذكرها حشواً وتزييداً

### سامع اللاتينية لا يستطيع أن يضبط كتابتها بالسماع

ويعصور الدكتور عبد الوهاب عزام القضية فيقول:  
"وقلت إن من مزايا الخط العربي أن السامع يستطيع أن يكتب به ما يسمع دون عناء. ولا كذلك الخطوط اللاتينية؛ فإن سماع الكلمة من بعض لغاتها لا يستطيع أن يضبط كتابتها بالسماع، ولا بد له أن يراها مكتوبة أو يعلم كتابتها، ومقصدي أن أبين مزية من مزايا الخط العربي واللغة العربية، وموضوعي هو تبين المزايا والعيوب. فقال الأستاذ: (إن حضرة المحاضر في هذه القطعة ينسى نفسه تماماً".

" أن ذكر الأستاذ أن هذه الكتابة التي تسهل على السامع يشكل على القارئ قراءتها الخ. فهل إشكال القراءة وهو مسألة أخرى ينفي هذه المزية، مزية السهولة واليسر على الكاتبين. أقول الكتابة العربية سهلة على الكاتب. فيقول الأستاذ: لا تقل هذا فإنها صعبة على القارئ. فهل هذا جدل يساير (أدب البحث والمناظرة). ومن الذي نفسه في هذا الجدل.

### ملائمة فكرة حذف الحركات للغات السامية

و يقول الدكتور عبد الوهاب عزام :  
"وقد رأيت - وهو رأي لم أسبق إليه، وإن عده الأستاذ معروفاً عند الناس أو في غير الموضوع - أن حذف حروف الحركات من الكلمة ملائم للغات السامية، والعربية خاصة. ورددت هذا إلى اشتقاق هذه اللغات، والتفريق بين الأصول والزوائد فيها. وقلت لو كتبت الحركات أثناء الكلمات لاضطرب أصل الكلمة، وبان في صور مختلفة، وضربت مثلاً مادة كتب وقلت لو كتبنا: (كاتابا يا كتوبو، في الماكتابي، كيتابن). بدل: (كتب، يكتب، في المكتب كتاباً) لالتبست مادة الفعل، وهي أصل الاشتقاق والعمدة في التصريف، وظهرت في صور تلبس الأصلي بالزائد - ولهذا كان خيراً أن تشكل الكلمات العربية شكلاً خارجاً عن بنية الكلمة . قلت هذا فقال سعادة الأستاذ ما خلاصته: إن اشتقاق العربية وتغيير المادة فيها تغييراً كثيراً يجعلانها أولى بالضبط من اللغات الأخرى التي



لا تتغير موادها أو التي يقل فيها التغيير الخ)، وما كانت دعواي أن العربية باشتقاقها غنية عن الشكل؛ بل كانت الدعوى أن الشكل الذي وضعه الخليل ابن أحمد أقرب إلى طبيعة العربية من إدخال حروف الحركات في ثنايا الكلمة، فنسى الأستاذ هذه الدعوى وذهب يجادل في غيرها. ثم ختم كلامه بقوله: (وعلى كل حال فإن الكلام في هذا الصدد هو كما ترى من قبيل الأدلة الخطابية المتخاذلة التي إذا عصرتها لم تجدها شيئاً، ولم تدرك لها أية فائدة فيما نحن فيه)

"ولست أدري كيف سمى الأستاذ الاستدلال بالاشتقاق والتصريف والحروف والحركات أدلة خطابية. إنها أدلة برهانية واضحة، ليست من قبيل الخطابيات، ولكن الأستاذ يجادل كما يشاء، ويدعي على مجادلي ما يشاء، ويسمي الأشياء كما يشاء؛ فكيف يستقيم معه جدال؟ لم أرد الاستقصاء في هذا الجدل ولكن التمثيل. وحسبي ما ذكرت، وإني أعترف أنني عاجز عن الجدل على هذه الطريقة، بل الجدل على غير طريقة، وقد رجعت إلى نصيحة صديق لي من زعماء فلسطين نصحني ألا أحفل بالرد على مثل هذا الكلام

#### ترجمته «مدونة جوستينيان في الفقه الروماني»

بقي لعبد العزيز فهمي باشا في المكتبة العربية أنه ترجم عن الفرنسية «مدونة جوستينيان في الفقه الروماني». كما بقيت له رسالته في كتابة العربية بالحروف اللاتينية، وكتابه في الرد على من سفهوا فكرته أو انتقدوها، وبقي كذلك أنه سجل بعض ذكرياته في كتاب صدر عن دار الهلال تحت عنوان "هذه حياتي".

#### من رثاء الأستاذ الزيات لعبد العزيز فهمي باشا

كتب الأستاذ احمد حسن الزيات في مجلة الرسالة ١٢ مارس ١٩٥١ مقالا رائعاً في رثاء عبد العزيز فهمي باشا، قال فيه:

"..... والرجولة والعظمة صفتان تجمعان ما أوتي عبد العزيز فهمي باشا من مناقب مصدرها خلقه، ومواهب مظهرها عمله. كان رجلاً بالمعنى الرفيع الذي يفهمه المهذب من لفظ الرجل، وكان عظيماً بالمعنى الجميع الذي يدركه المثقف من كلمة العظيم. ولو ذهبت تحلل حياة أول القضاة في سجل القضاء، وثاني الزعماء في سجل السياسة إلى عواملها الأولية، لوجدتها في الخلال الصدق والصراحة والإباء والشجاعة وهذه هي الرجولة، وفي الأعمال العمق والشمول والإتقان والتفرد وهذه هي العظمة.

#### ركن و حصن و كنز

" فقد رجل كهذا الرجل حياته تأريخ، وعمله رسالة، وخلق قذوة، وكفايته ثروة، خسارة إنسانية لا خسارة قومية، ومصاب أمة لا مصاب أسرة، وفجيعة منفعة لا فجيعة عاطفة. فإذا جزع الشعب لموته هذا الجزع فإنما يجزع لركن هوى لا لغصن ذوى، ولهاد مضى لا لصديق قضى. والجزع على العظماء لا يكون بالعبرات التي تطفئ، وإنما يكون بالحسرات التي تحرق، والخطب الذي

بيكي العيون، أهون من الخطب الذي يدمي القلوب. ومن يقف أمام الحصن الذي ينسف، أو الكنز الذي يخسف، يجد في نفسه الروح الذي يذهل، لا الحزن الذي يعول.

### سمو العالم ونزاهته

" كان عبد العزيز فهمي جزءاً ضخماً من ثروة مصر العلمية. وهذه الثروة لا تزال من حيث الكيف ضئيلة. فإن العباقرة الذين هيأتهم إلى العلم الصحيح طبائعهم الحرة وملكاتهم الأصيلة لا يزالون بيننا آحاداً. وقل من هؤلاء الآحاد من جمع إلى العلم سمو العالم ونزاهة المصلح كما جمعهما الفقيد.

" واجتماع هذه المزايا فيه لا يعمله معال من نشأته وبيئته ودراسته. فإن هذه العوامل نفسها أو شبهها أثرت في غيره من أهل جيله، ولكن مصر لم تظفر من بينهم بمثله.

### مفتاح السر أنه تلقى في الأزهر

" هناك أمر قد يكون مفتاح السر وطريق المجهول: ذلك أنه تلقى دراسته الأولى في الأزهر كما تلقاها فيه محمد عبده وسعد زغلول وإبراهيم الهلباوي. وهؤلاء جميعاً قد تشابهوا في قوة الشخصية ونفوذ العقلية، فدرسوا الفقه بعمق، وعالجوا البيان بحدق، وزاولوا المحاماة ببراعة، وتولوا القضاء بجدارة، ومارسوا السياسة بخبرة.

### الرجولة

"ولكنه أنفرد من دونهم جميعاً بخصائص خلقية جعلت ذلك التشابه تغايراً في بعض نواحي الرجولة. كان رحمه الله لا ينافق ولا يمالق، ولا يداهي ولا يداحي، ولا يدلس ولا يلبس، ولا يقول إلا ما يصح في معتقده، ولا يعتقد إلا ما يصح في رأيه. وهذه الصفات قد تجعل المصلح عظيماً، ولكنها لا تجعله زعيماً. وأريد بالزعامة هنا زعامة العامة لا زعامة الخاصة، فقد كان الفقيد زعيماً في المحاماة، وزعيماً في التشريع، وزعيماً في الشورى؛ وفي كل هذه الأمور كان هو وسعد يتعاوران الأولية، فلما دخلا معاميدان السياسة، دخلها هو بعقل القاضي ولسان المحامي. والقاضي أداته قانونه ونزاهته، والمحامي آله دليله وبلاغته. وإذا تجهزت للزعامة السياسية في أمم الشرق بالقانون والضمير والنطق والصراحة والصدق، هاجمك خصمك بالأباطيل الغاشية فيظهر عليك، ووقف منك جمهورك على الحقائق العارية فينفر منك.

### حظ الحكيم لا حظ الزعيم

" لذلك كان حظ عبد العزيز من القضية المصرية على فصاحته في الخطابة وبلاغته في الكتابة، حظ القائد الحكيم الذي توضع الخطط على رسمه، لا حظ القائد الزعيم الذي نتوج (الأوامر) باسمه. وظل طول عمره السياسي راضياً بهذا الحظ حتى عجز آخر الأمر عن التوفيق بين هواه والعامة، وبين خلقه والسياسة، وبين ضميره والحكم، فارتد إلى القضاء وقد آتاه الله فيه الحكمة وفصل الخطاب، فوضع المبادئ، وقرر الأحكام، وأضاف إلى الفقه المصري مادة ضخمة من علمه وحكمه زادت في ثروته ورفعت من قيمته.

## الأديب الناقد

" ثم اختير بعد اعتزاله القضاء عضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية، فأضلى ذرعه للنظر في علوم اللغة والأدب بعين الفقيه المجتهد والأديب الناقد، حتى بلغ منها مبلغ الأعلام الذين وقفوا على تحصيلها العمر والجهد. وتقدم إلى المجمع بمشروع اقتباس الحروف اللاتينية للكتابة العربية، مقرّونا بالأسباب، معززا بالمزايا، مؤيدا بالأسانيد ثم أعقبه بكتاب ألفه في الرد على معارضيه ومنتقديه، جمع إلى بلاغة الأسلوب قوة العرض ومثانة الحجّة، فكان آية على سمو طبقة في الكتابة وبعد غيته في الأدب.

" فلما أقدته العلة رضوان الله عليه كانت غرفة مرضه ملتقى أقطاب الفقه والأدب والسياسة، يستفيدون من علمه، ويستزيدون من أدبه، ويستضيئون بفكره؛ وهو في كل ما يعرض عليه أو يتعرض له تطلق البديهة، محكم الرأي، جيد الاستنباط، حاضر الدليل.

## نقد شرح البخلاء

"كنت فيمن يزورونه الحين بعد الحين، فكان في كل زورة يكشف لي غير عامد عن سر من أسرار عبقريته. دفع إلي مرة بضع مقالات في نقد شرح وضعه أستاذان جليلان لكاتب البخلاء، وشرط علي أن أنشره غفلا من الإمضاء. فلما ظهر النقد في الرسالة كان حديث الأندية ومثار الظنون، لأن الناس عجبوا أن يستتر الناقد وهو على هذه الكلمة من ثقب النظر، وقوة التوجيه، وصحة الاستدلال، وعفة اللفظ.

## مطارحة بينه وبين المفتي الجزائري

" وأفضى إلي مرة أخرى بأنه يقرض الشعر منذ الحداثة، إما مناقلة بينه وبين نفسه؛ وإما مساجلة بينه وبين إخوانه. ثم أنشدني مطارحة من جيد النظم جرت بينه وبين الأستاذ المفتي الجزائري، وقصيدة دالية من المطولات وصف فيها فساد الطباع في الناس، وسقوط الأخلاق في المجتمع. فلما طلبت إليه أن يهديها إلى قراء الرسالة سوّف هرباً من سقوط الأضواء ثانية عليه وهو مضطجع على أعراف المجد يسترفه من مكاراة الواجب وتكاليف النبوغ.

## أرجوزته على قبر زوجته

" وما زال الناس يرددون هذه الأرجوزة القصيرة التي نظمها وكتبها على قبر زوجته وقد نعم بالعيش معها سنة واحدة ثم توفاه الله بحمي النفاس فلم يتصل بامرأة بعدها حتى لقيها:

يا وردة عاشت حياة الورد ... عمراً قصيراً وثوت في اللحد  
لولا بريء غافل في المهدي ... يرضيك أن أحيا ليحيا بعدي  
لعجّلت بي زفرات الوجد

" رحم الله المحامي المدرة، والقاضي المجتهد، والوزير النزيه، والدستوري الحر، والفقيه الحجّة، والخطيب المفوه، والكاتب البليغ، والشاعر المجيد، والناقد البصير، والأديب المطلع، وألهمنا على فقده جميل الصبر، وعوضنا من بعده خير العوض!

## المحتويات

٥	هذا الكتاب
٩	الباب الأول
٩	عبد العزيز جاويش
٩	الزعيم الوحيد الذي اكتتب الشعب لتتويجه وساما من الذهب
٩	الاشتبك بقضايا الوطنية
٩	رموز النهضة القومية
١٠	قيمه العملية
١٠	الخطاب السياسي الذي أبدعه الشيخ جاويش
١١	مكانة الشيخ جاويش في تاريخ الفكر السياسي
١١	المقارنة بين زعامة سعد زغول وزعامة عبد العزيز جاويش
١٢	خطابان مختلفان
١٢	مقاربتان مختلفتان
١٣	عوامل نجاح سعد
١٣	بقاء الحزب الوطني مع الوفد
١٣	صراع سعد زغول و عبد العزيز جاويش
١٣	قيمة جاويش في نظر سعد
١٤	دلالات المراسلات السرية
١٤	صواب قرار سعد
١٤	التجربة المهمة
١٥	مقارنته بالأستاذين الأفغاني ومحمد عبده
١٥	تأثره بالأستاذ الإمام محمد عبده
١٥	كتابه المبكر "الإسلام دين الفطرة"
١٥	مقارنة العقاد بين عبد العزيز جاويش و محمد رشيد رضا في تأثرهما بالأستاذين
١٦	مكانته في الحزب الوطني
١٦	اتصاله بالحزب الوطني وخالقته لمصطفى كامل في رئاسة تحرير اللواء
١٧	أول مقالاته حين رأس تحرير اللواء
١٨	ملخص للقضايا التي اتهم بها وهو في رئاسة تحرير اللواء
١٨	الحكم عليه بالسجن ستة أشهر بسبب مقاله عن دنشواي بعد حكم البراءة
١٩	قصة وسام الشعب
١٩	دور رجل الدولة
١٩	توجهاته الاقتصادية والاجتماعية
١٩	تطبيق أحكام الشريعة
١٩	بصماته في المجتمع المدني
٢٠	الحكم عليه بالسجن الثاني
٢٠	سفره إلى ألمانيا
٢٠	نشأته وتكوينه
٢١	مواهبه
٢١	سماته الشخصية
٢١	أدواره التربوية
٢٢	رائد التربية الحديثة
٢٢	الأستاذية المشاركة في أكسفورد
٢٢	ريادة الشيخ جاويش المبكرة لتقنيات فن الترجمة

٢٣	إبعاده إلى تركيا و نشاطه فيها وفي أوروبا
٢٣	الانقلابيون الأتراك يسلمونه لمصر
٢٤	اختيار أتاتورك له ليرأس نشاط النشر في تركيا
٢٤	مديرا للتعليم الأولي بعد عودته لمصر
٢٤	تبلور فكره التربوي
٢٤	دعوته المبكرة للتعليم المتخصص
٢٥	المدرسة الإعدادية التي أنشأها
٢٥	فكرة التعليم الوطني الموازي
٢٥	إنشائه أول المعاهد الحرة لتعليم اللغات
٢٥	أول بعثة أزهريّة مولتها الأمة
٢٥	سعيه لإنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
٢٦	رواية الشيخ المغربي عن دوره في المدرسة الصلاحية بالقدس
٢٨	التاريخ حفظ صورته في تلميذه طه حسين
٢٩	حديث طه حسين في الأيام عن فضله
٣٠	علمه الحماس و الغلو
٣٠	مقارنته الشيخ جاويش واستاذ الجيل
٣١	السبب في رسوب طه حسين في العالمية
٣٣	ثنائية اللين والعنف في شخصية جاويش
٣٤	حديثه عن عداوة عبد العزيز جاويش لسعد زغول
٣٤	تصوير الزيات تحريض الشيخ جاويش لطه حسين على المنفلوطي
٣٥	مسئولية الشيخ جاويش عن نقده للمنفلوطي
٣٦	فضله في إقناعه بالسفر الى أوروبا
٣٦	الشيخ جاويش جعل الجامعة وسيلة له بعد أن كانت غاية
٣٧	الشيخ جاويش هو الذي قدمه للناس شاعرا
٣٨	الشيخ جاويش هو الذي علمه الكتابة في المجالات
٣٨	الشيخ جاويش هو الذي أتاح له الأستاذية في المدرسة
٣٩	فضل الشيخ جاويش في تعلمه الفرنسية
٣٩	مجمل فضل الشيخ جاويش عليه
٣٩	قوة شخصيته وعقيدته
٤٠	من كلمة الشيخ جاويش أمام جنّمان الزعيم محمد فريد في ألمانيا
٤١	توجهاته في السياسة الخارجية ومقاله السنوي
٤١	اتهامه المفيرك بالتعصب
٤٢	رد الشيخ عبد العزيز جاويش على اتهام صحيفة الجازيت
٤٢	رواية الشيخ محمد رشيد رضا عن تحرش القبط به
٤٣	العقاد يتحدث عن الشيخ عبد العزيز جاويش باستعلاء وفدي مفهوم
٤٤	آثاره
٤٤	أبرز الكتب عنه
٤٤	أبرز الفصول والدراسات عنه
٤٤	نقل جنّمانه
٤٤	رثاء الشعراء الكبار له
٤٤	رثاء أمير الشعراء
٤٥	قصيدة الشاعر على الجارم في رثاء الشيخ عبد العزيز جاويش
٤٨	من أقواله الشهيرة

٤٩	الباب الثاني
٤٩	عدلي باشا يكن
٤٩	أيقونة الزعامة الممشوقة
٤٩	حسن الخاتمة
٤٩	صاحب زعامة حقيقية
٥٠	تسامحه أبرز سماته
٥٠	ثنائية سعد و عدلي : أزمة الوفد الكبرى
٥١	الفارق بينه وبين ثروت باشا
٥٢	لم يكن محبوبا في الشعارات
٥٢	نوع نادر من الحرية
٥٢	الاعتداد بالذات
٥٣	ترك الحكم في المرات الثلاث بإرادته هو
٥٣	وصف الشيخ عبد العزيز البشري له ولتاريخه
٥٤	تصويره لمنهجه في معاملة الاحتلال البريطاني
٥٥	التحفظ في شخصيته
٥٥	رمزية شوارع عدلي ومعاصريه من الوزراء
٥٦	مقارنة بمكانة رشدي باشا في التخليد
٥٧	تكوينه السياسي و تفوقه
٥٧	تولى شئون مديريات عديدة
٥٨	وكيل الجمعية التشريعية
٥٨	الوزارات التي تولاها
٥٨	رفضه التفاوض مع بقاء وزارة نسيم
٥٩	تشكيله وزارة الثقة في ١٩٢١
٥٩	سعد ز غلول اقترح وزارة الثقة واسمها
٦٠	تحبيذ سعد ز غلول لفكرة حكومة ذات نظام دستوري
٦١	مقارنة الرافي ووزارة الثقة بوزارة شريف باشا
٦١	رئاسة الوفد الرسمي للمفاوضات
٦١	عودة سعد من منفاه في أثناء وزارته
٦١	فكرة أن جورج الخامس يفاوض جورج الخامس
٦١	عدلي و كيرزون ومفاوضات الشهور الخمسة
٦٣	استقالته
٦٣	دوره في الاستقلال وتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢
٦٣	رئاسته حزب الأحرار الدستوريين
٦٤	عودته لرئاسة الوزارة
٦٤	وزارته الثانية
٦٤	وزارته الثالثة
٦٤	تولى إعادة العمل بالدستور
٦٥	إنجازات وزارته
٦٥	الإصلاح الزراعي
٦٥	كهربية الجيزة
٦٥	المتحف الزراعي
٦٥	تطوير مدينة الأقصر
٦٥	إقامة تمثال نهضة مصر

٦٥	أداؤه الاقتصادي في وزارته .....
٦٦	كبرياؤه في استقالته من وزارته الثانية .....
٦٦	نقد النائب الدستوري أحمد عبد الغفار لميزانية السراي .....
٦٦	السبب المباشر لاستقالته : تعليق لعبد السلام جمعة باشا .....
٦٧	ثناء الراجعي على استقلالية عدلي يكن .....
٦٧	ثناء الراجعي على موقفه من انقلاب صدقي باشا .....
٦٨	احتجازه على احتلال الجيش للبرلمان .....
٦٨	استقالته من رئاسة الشيوخ في أكتوبر ١٩٣٠ .....
٦٨	المؤتمر الوطني والميثاق القومي مايو سنة ١٩٣١ .....
٦٩	ذريته .....
٦٩	قصيدة الشاعر على محمود طه في رثاء عدلي يكن باشا .....
٦٩	في استقبال السفينة التي تحمل الجثمان .....
٦٩	موته في الغربية .....
٧٠	جدوى الدموع .....
٧٠	ذكرى سعد و ثروت .....
٧٠	وصفه الشعاري لعلاقة عدلي يكن بسعد زغلول .....
٧٠	وفاته .....
٧١	<b>الباب الثالث .....</b>
٧١	<b>عبد العزيز فهمي باشا .....</b>
٧١	<b>القاضي الأول والزعيم الثاني .....</b>
٧١	نشأته و صعوده .....
٧١	في الجمعية التشريعية .....
٧٢	توليه الوزارة .....
٧٢	سهل الاستشارة .....
٧٢	كان محظوظا .....
٧٣	مكانته بين المحامين .....
٧٣	تجربته في قريته .....
٧٣	خصامه لسعد زغلول .....
٧٤	تصوير الدكتور هيكل لموقفه من سعد باشا .....
٧٤	تصوير سعد زغلول لعلاقتهما .....
٧٤	مقارنته بأستاذ الجيل .....
٧٥	أحمد لطفي السيد باشا وصف صداقتهما .....
٧٥	روايات عن تفوقه في المحاماة .....
٧٥	لم ينتم للأغلبية أبدا .....
٧٥	تعقيب الدكتور عبد العظيم رمضان على إقالته .....
٧٦	الموقف الذي أقبل بسببه .....
٧٧	موقف يحيى إبراهيم منه .....
٧٧	قضية مأمور البداري .....
٧٨	رأينا في حكمه الذي عني بالبلاغة أكثر من الإنسانية .....
٧٨	أزمة التعيين في مجلس الشيوخ .....
٧٨	ثناء الدكتور مصطفى كمال كيرة على أدائه .....
٧٩	مذهبه في القنف الصحفي والاعتراف .....
٧٩	هو الذي ابتكر اسم محكمة النقض .....

٧٩	قصة استقالته من رئاسة محكمة النقض
٨٠	حبه للحبوبة الفكرية
٨٠	دعوته إلى منع تعدد الزوجات
٨٠	مقال الأستاذ إبراهيم بدوي حول تحريم تعدد الزوجات
٨١	قضية من قضايا بينة الخسران
٨١	الشرع أباح التعدد ولم يحرمه بأي نوع
٨١	استعمال ولي الأمر لسلطانه
٨٢	اللجوء إلى طريق غير طريق الحل والحرمة
٨٢	فكرة الآثار المعطلة
٨٢	التعطيل لا ينفى الصحة
٨٢	حكم النقض فيما يتعلق بذكر سن غير حقيقية
٨٣	فكرة المعنى السلبي
٨٣	تحويل ولي الأمر في تنظيم الولاية القضائية
٨٣	عبد العزيز فهمي يريد التحريم لا التعطيل
٨٤	اقتراحه الثاني : كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية
٨٤	تشبعه وتشبثه بفكرة كتابة العربية بالحروف اللاتينية
٨٤	لم يكن يتصور المسخ المشوه
٨٥	أولا : رأي الأستاذ العقاد في اقتراحه
٨٥	يترك الصعوبة الأصلية ويعني بالمتفرعة عنها
٨٥	الفعل الثلاثي في اللغات السامية
٨٦	حروف الحركة في العربية تبدل المعنى
٨٦	إن صحت للكتابة لا تصح للقراءة
٨٦	خطأ النطق أهون من الخطأ المكتوب
٨٦	طريقته ليست بأيسر من طريقتنا
٨٦	طريقته لا تغنينا عن النقط والشكل
٨٦	الرسم لا يغني عن ضبط السماع
٨٧	الحلقة المفرغة
٨٧	رده أشبه بالدفع القضائية منه بالدفع المنطقية
٨٧	وجوب التيسير لا يوجب الترحيب بكل تغيير
٨٨	لكل لغة صعوباتها
٨٨	تيسير الكتابة بتيسير المعرفة
٨٨	العلم التقريبي بقواعد النطق خير من الرسم ذي الصورة الواحدة
٨٨	ثانيا : تعليقه على كتاب الدكتور علي عبد الواحد وافي
٨٩	انزعاجه من القول بأن الرسم العربي ليس في حاجة إلى الإصلاح
٩٠	اعتقاده أن الشكل قد أفلس
٩٠	معنى الكلمة العربية لا يتأدى بمجرد نغمات الحروف
٩١	ثالثا : رأي الأستاذ شاكر في عبد العزيز باشا
٩١	قوة مقدمة مقال الشيخ شاكر
٩١	تشخيص الأستاذ شاكر لما طرأ على عبد العزيز باشا
٩٢	تعبير الأستاذ شاكر عن صدمته من حديث الباشا
٩٢	كيف يصف قاض ما لم يطلع عليه بأنه هراء
٩٣	الأستاذ شاكر يبنه الباشا للحروف المعجمة
٩٣	الأستاذ شاكر يبنه إلى قيمة تمييز المتفاربات



- ٩٤..... أول التضليل ضياع ادراك اشتقاق اللفظ.
- ٩٤..... الاشتقاق والتصريف في العربية يسبقان بناء الكلمة
- ٩٤..... عسر القراءة أهون من امتناع الفهم
- ٩٤..... الغموض الاعمى الذي يجلبه مشروعه
- ٩٥..... الخطأ ليس من الحرف المكتوب وإنما من القارئ المخطئ
- ٩٥..... قوله بإفلاس الشكل حكم باطل في قضية باطله
- ٩٥..... أي طلاس يقصدها الباشا وهو الذي يصنعها؟
- ٩٦..... فتنة الشيخ الصالح والدعاء له
- ٩٦..... رابعا : قصة معركة الدكتور عبد الوهاب عزام
- ٩٧..... عناية الباشا بتجريح من انتقدوه
- ٩٨..... كتبت في الموضوع قبل أن يُختار عضواً في المجمع
- ٩٨..... توهم نفسه إماماً في هذه الدعوة
- ٩٨..... عبد العزيز باشا يتوهم صفاته و لا يدرك حقيقته
- ٩٩..... صلتي بالوطنية هي العمل الصامت الدائب
- ٩٩..... عبد العزيز باشا وصفني بما فيه هو لا بما في
- ١٠٠..... د. عزام يكشف تناقضات عبد العزيز فهمي باشا
- ١٠١..... مقال الدكتور عبد الوهاب عزام الثاني في الرد على عبد العزيز باشا
- ١٠١..... كلما ذكرت مقدمة قال الباشا : هذا أمر معروف
- ١٠١..... وكما عرضت مزية قال الباشا : هذا ليس في الموضوع
- ١٠١..... أليس الاستدلال هو الاستعانة بالمعروف على معرفة المجهول
- ١٠٢..... سامع اللاتينية لا يستطيع أن يضبط كتابتها بالسماع
- ١٠٢..... ملائمة فكرة حذف الحركات للغات السامية
- ١٠٣..... ترجمته «مدونة جوستينيان في الفقه الروماني»
- ١٠٣..... من رثاء الأستاذ الزيات لعبد العزيز فهمي باشا
- ١٠٣..... ركن و حصن و كنز
- ١٠٤..... سمو العالم ونزاهته
- ١٠٤..... مفتاح السر أنه تلقى في الأزهر
- ١٠٤..... الرجولة
- ١٠٤..... حظ الحكيم لا حظ الزعيم
- ١٠٥..... الأديب الناقد
- ١٠٥..... نقد شرح البخلاء
- ١٠٥..... مطارحة بينه وبين المفتي الجزايري
- ١٠٥..... أرجوزته على قبر زوجته

**Prof. Mohamed El Gawady**

ISIN : 0000 0001 2122 604X

**The Fighting Partners in  
Egyptian Revolution 1919**





ليس هذا الكتاب كتابا واحدا فحسب، و لا ثلاثة كتب متآزرة ومتوازية يجمعها مجلد واحد، وإنما هو في حقيقته كائن حي يستهدف مقاربة التاريخ العربي المعاصر عبر فضاءات مختلفة، وهو على الرغم من كل الضغط الذي مارسناه على حجمه أكبر من أن يكون جمعا لكتب منفصلة (أو متصلة) عن ثلاث شخصيات متباينة الأداء و التكوين والتاريخ والأثر والمكانة، ومع هذا فإن في وسع القراء أن يجدوا بين دفتي هذا العمل ثلاثة كتب يقدم كل منها كل ما يريدونه من دراسة جادة ومتعمقة للشخصية التي يتناولها كتابها، وذلك من دون أن نتعسف و نخضع أيا منهم لقاعدة لا تسري عليه.



• الشيخ عبد العزيز جاويش

• عدلي يكن باشا

• عبد العزيز فهمي باشا

